

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر - باتنة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها



المعجم اللغوي لمقامات محمد البشير الإبراهيمي - دراسة دلالية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي
تخصص: دراسات دلالية

إشراف الدكتور:
لخضر بلخير

إعداد الطالبة:
قتيحة بن عمومة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	رئيسا
د. لخضر بلخير	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	مشرفا ومقررا
أ.د. عمار شلواي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد خيضر - بسكرة -	عضوا مناقشا
د. الجودي مرداسي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1433 - 1434هـ

2012-2013م

إهداء

إلى نبراس الحياة قرة عيني أبي حفظه الله و رعاه

والملكة الحنون أمي أطال الله في عمرها

الكواكب المنيرة إخواني: محمد لمين وصابر

إلى توأمي روجي أختاي: وناسة وسارة.

اليد البيضاء، زوجي فوزي قوارق

شكرا، حبا، وعرفانا

مقدمة

مقدمة:

إن حركة التأليف المعجمي عند العرب ضرب من ضروب الوعي الفكري والنضج اللغوي بقضية المعنى كقضية جوهريّة، اهتم بها العلماء منذ القديم، فجاءت هذه المعاجم لتحرر العربي من الوقوع في الخطأ واللحن بعد اتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية واختلاط العرب بالعجم، حيث تمثلت باكورة العمل المعجمي في معجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي" والذي كان إرھاصة لتوالي صناعة المعاجم بنشئ أنواعها، معاجم الألفاظ والمعاني والمعاجم اللغوية.

إن المعجم بوصفه مرجعية لغوية تمثل رصيد الأمة الفكرية و الثقافي و الحضاري، بما يحمله من مفردات جمعت لضرورة علمية أراد بها علماء اللغة الحفاظ على هذا الزخم اللغوي و المعرفي و تقديمه للمستعمل أداة تجعله محيطاً بدقة بمفردات اللغة .

ومعلوم أن المفردات قوام المعجم و نظريته باعتبارها وحدة معجمية و كياناً معقداً له تأليفه الصوتي الخاص، وبنيته الصرفية و المعجمية و الدلالية، تحقق له و جوداً في المعجم و انتماءً لغوياً.

وتأسيساً على ماسبق يتضح أن المعجم اللغوي يقتضي وجود المدونة مجال تقوم وفقه الدراسة، بالتركيز على :

1- دلالة المفردة بذاتها، خارج السياق، صوتياً و صرفياً.

2- دلالة المفردة في الجملة، من خلال السياق .

3- دلالة التركيب، أي السياق كله.

ولعل هذه الوشائج الوثيقة بين الصوت والصرف والدلالة والنحو تتمثل لتزويد المعجم بالمعلومات الدلالية المتعلقة بالمدونة، باعتبارها المصدر الموثوق لهذا المعجم اللغوي، والتي ارتأيت أن تكون مدونة جزائرية تحت عنوان " **مقامات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي** " بإخضاعها للدراسة الدلالية وفق المستويات اللغوية، ماعدا المستوى الصوتي لأن المقامات تمتاز بجرس موسيقي يؤهلها لأن تُفرد بالدراسة في بحث مستقل.

إن اختيار مقامات البشير الإبراهيمي مدونة هو راجع أولا إلى شغف قديم العهد بالأدب الجزائري شعره ونثره لتمييز مواضيعه، وإحساسي بصدق التجربة الأدبية، لمحاكاتها واقعا جزائريا تعيشه جميع شرائح المجتمع باختلاف أنماط تفكيرها.

ثم التعرف على شخصية الإبراهيمي عن كثب باستقراء أفكارها وآمالها، من خلال هذه المقامات التي اتخذ منها منبرا إصلاحيا يشع على العرب أجمع، باعتبار الرجل ملتزما بقضايا الوطن والأمة.

وقد زاد من اهتمامي بهذه المقامات لغتها الخاصة والتي تنم عن ثراء في المعجم المفرداتي للبشير الإبراهيمي بفعل ثقافة الرجل المتشعبة، وإطلاعه الكبير على أمات الكتب العربية، إلا أن الدراسات اللغوية التي اتخذت من مقاماته مجالا خصبا لإجراء الدراسة هي نادرة وقليلة.

وانطلاقا من جميع هذه المعطيات، حاولت في بحثي هذا والموسوم بـ: **"المعجم اللغوي لمقامات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - دراسة دلالية"** : النظر في مقامات الإبراهيمي لاكتشاف خصوصية لغته، وطريقة تأليفه، ونوعية الألفاظ التي يعتمد عليها في إنتاج نصوصه، فكان هذا التحليل الدلالي بغية الوصول إلى الدلالات العميقة والمختزنة في أصغر وحدة معجمية، وكيف ينظر إليها ككيان مستقل؟ وما مدى مناسبتها لسياقها بما لها من دلالات فنية هي محصلة لتلك الدلالات الصرفية والتركيبية ؟ ثم الوقوف على الميزات اللغوية لبناء وما مدى تماسكها؟ بالبحث في العلاقات الواردة بين أجزاء التركيب اللغوي باعتباره وحدة معجمية متكاملة.

واعتمدت المنهج الوصفي بهدف الكشف عن النسيج اللغوي في النص كهيكل متكامل البناء، والاعتماد على تقنيات البحث بإخضاع معطيات النص للتصنيف ثم الوصف والتحليل وفقا لمقتضيات المعجم بشقيه الإفرادي والتركيب.

كما تخلل ثنايا الدراسة المنهج التاريخي في تأصيل بعض مفاهيم الظواهر اللغوية خاصة ما كان منها قديما.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى : مدخل وثلاثة فصول تطبيقية.

تُضمّن المدخل تحديدا للمفاهيم ما اختص منها بالمعجم والمقامة من حيث المعاني والأنواع وكذا روادها إلى العصر الحديث، خاصة المقامة فكانت لي وقفة مع نشأة فن المقامة في الجزائر وأهم أنواعها.

وقد حوى الفصل الأول-**المعجم الإفرادي وأثره في تحقيق الدلالة**- الدلالة الصرفية بتقصي أهم الصيغ الصرفية، وذلك بتصنيف الكلم إلى أقسامه، ثم إخضاع هذه الأقسام للدراسة والتحليل بالتركيز على الأوزان الصرفية مثل أوزان الأفعال، وذلك بوضعها ضمن خط زمني تكون فيه الأولوية للفعل الماضي ثم المضارع والأمر، ثم المشتقات وأنواعها كأوزان المصادر، اسم الفاعل، اسم مفعول، الصفة المشبهة واسما الزمان والمكان، والإفراد بفروعه.

أما الفصل الثاني، فخصصته **للمعجم التركيبي وأثره في تحقيق الدلالة**، بدءا بالجملة باعتبارها أهم وحدات المعنى، وذلك بالكشف عن العلاقات الداخلية بين المفردات التي يتألف منها التركيب، وما تؤديه من وظائف في إنتاج الدلالة، ثم البحث في أنواع الجملة التي تشكل النسيج اللغوي في مقامات البشير الإبراهيمي، والإشارة إلى الأساليب التركيبية التي استعملها الكاتب بكثرة في نصه، انتهاء بالظواهر التركيبية الطارئة عليه كالتقديم والتأخير والحذف والاعتراض.

واهتم الفصل الثالث **بالحقول والمساحات الدلالية وأثرها في تحقيق الدلالة** في مقامات البشير الإبراهيمي وذلك من خلال جوانب مختلفة هي : العلاقات الدلالية القائمة بين مفردات المقامات من تقارب وتقابل دلاليين بالإضافة إلى المشترك اللفظي وأثر هذه الظواهر في إبراز الدلالة، ثم خصصت الشق الثاني من هذا الفصل لتصنيف المفردات ضمن حقول دلالية تحكمها طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، ثم الكشف عن الدلالة الرمزية للرموز وأهم الدلالات الإيحائية والتأويلية التي تحملها، والمفردة ضمن سياق لغوي يكسبها معنى جديد ومحدد.

وانتهى البحث إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هاته الدراسة .

وقد استفاد البحث من الكثير من الكتب وعلى رأسها الكتب اللغوية، ثم الأدبية بالدرجة الثانية، أما اللغوية فأذكر منها : الكتاب لسيبويه، الخصائص لابن جني، التعريفات للجرجاني، البيان والتبيين للجاحظ. الكشف للزمخشري، الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، أبنية الصرف في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي، علم الدلالة

لأحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، دراسة في الفعل لعبد الهادي الفضلي، دلالة التراكيب دراسة بلاغية محمد أحمد موسى، مقدمة لنظرية المعجم لإبراهيم بن مراد، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم لشكر محمود عبد الله.

أما الكتب الأدبية فأذكر منها: الشعر والشعراء لابن قتيبة، زهر الآداب للحصري، الرمزية لتشارليز تشادويك - ترجمة نسيم إبراهيم يوسف، تطور النشر الجزائري الحديث لعبد الله الركيبي، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925- 1945) لعبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي لعبد الملك مرتاض، رأي في المقامات لعبد الرحمان ياغي، فنون النشر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب لمحمد مسعود جبران.

وفي الأخير الشكر بادئ الأمر لله سبحانه وتعالى على نعمه، ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ النمل، الآية 19

ويحتم علي واجب الوفاء أن أزجي عميق شكري وتقديري إلى أعز أساتذتي الدكتور لخضر بلخير، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، إذ كان له السبق في إغناء فصولها وسد ثغراتها، وصرف فيها رهافة حسه الدقيق، وفهمه العميق، فجزاه للمعني خير جزاء، ومّته الله بما يملك من اصطبار العالم.

ويقتضي وجوب الاعتراف بالجميل أن أسجل أسمى آيات الشكر و أرقى مراتب التقدير أولاً إلى والدي العزيز "عبد الله بن عمومة"، ثم أكرم أساتذتي الدكتور الجودي مرداسي رئيس مشروع علم الدلالة 2009/2010، والأستاذ الدكتور محمد بوعمامة، بما أوتيا من حلم العالم و حصافة المفكر.

وفي نفسي الاحترام الخالص لجميع جنود العلم، زملائي و زميلاتي، ولكل من أسدى ولو بحرف واحد في إنجاز هذا البحث، الذكر الطيب بالخير والدعاء المجاب بالثواب.

والله ولي التوفيق

مدخل: في مفهوم المعجم والمقامة

1- مفهوم المعجم

شروط المعجم

وظيفة المعجم

التأليف المعجماتي

طرق شرح المعنى

أنواع المعاجم

2- مفهوم المقامة

موضوع المقامة

فن المقامة في الجزائر

أنواع المقامة

مقامات البشير إبراهيمي

تعد المفاهيم صوراً خلفية تمدنا بمعالم العلم وفروعه وشعبه، وتحميننا من مغبة الوقوع في الخطأ أو الخلط، نظراً لكثرتها وتشعبها، وهي بذلك تعد حدوداً فاصلة يظهر أثرها على المستوى المفاهيمي، فتوضح الصورة وتجعل المتلقي على دراية بكنه الموضوع وأبعاده العلمية، فارتأيت أن أستهل الرسالة بهذا المدخل والذي أوردت فيه المفاهيم سواء ما اختص منها بالمعجم أو المقامة كقراءة في عنوان الدراسة.

1- المعجم

أورد ابن منظور مادة عَجَمَ في قاموسه بمعنى: "العَجَمُ والعُجَمُ خلافُ العَرَبِ وجمعه عجم". والعُجَمُ جمع الأعجم الذي لا يفصح، ويجوز أن يكون العُجَمُ جمع العَجَمِ، والأعجم الذي لا يفصح عن كلامه وإن كان عريق النسب، والأنثى عجماء، وكلام أعجم وأعجمي بين العجمة وفي التزليل ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل، آية 103، ومن قرأ أعجمي بهمزة وألف فإنه منسوب إلى اللسان الأعجمي، ونقول هذا رجل أعجمي إذا كان لا يفصح. والعجم النقط بالسواد ويقال أعجمت الحرف بالسواد، واستعجم عليه الكلام إذا استبهم — وصلاة النهار عجماء لإخفاء القراءة فيها⁽¹⁾.

أما المعنى الأكثر ترجيحاً فهو الغموض والإبهام، فعند إضافة الهمزة يصير معنى (أعجم) أزال العجمة أو الغموض، ومن هنا أطلق عليه لفظ الإعجام لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض مثلاً "حرف ب" يحتمل أن يقرأ ب، ت، ث، فإذا وضعنا النقط أي أعجمناه زال الاحتمال وارتفع الغموض⁽²⁾.

المعنى الاصطلاحي: أورد أحمد مختار عمر مصطلح (المعجم) في كتابه "صناعة المعجم الحديث" و"البحث اللغوي عند العرب" فعرفه بقوله: "المعجم بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً، إما

(1) لسان العرب، لابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (دت) و (د ط)، مادة عجم، ص 2825.

(2) صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر - نشر وتوزيع عالم الكتاب، ط 1، 1998م - 1418هـ، ص 19.

لأنه مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية) وإما أنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه، فهو معجم مزال ما فيه من غموض".⁽¹⁾

ثم يعرف المصطلح في موضع آخر على أنه " كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي".⁽²⁾

شروط المعجم: حددها أحمد مختار عمر بقوله:

(1) الشمول.

(2) الترتيب.⁽³⁾

وهذان شرطان لابد من توفرهما في أي كتاب يجمع مفردات اللغة، فالشمول يعني الإلمام بمفردات اللغة إلماما تاما يتيح للباحث الوصول إلى تحديد المعنى المقصود، أما الترتيب فيسمح بإخضاع المادة المعجمية إلى نمط معين من الترتيب يسهل عملية البحث في ذلك المعجم .
للمعجم عدة وظائف يقدمها لمستعمليه وهي:

1- شرح الكلمة وبيان معناها: وذلك إما بمعرفة معناها في العصر الحديث أو معانيها عبر عصور مختلفة، ويتم ذلك بوضعها في سياقات مختلفة وجمل متعددة لإزالة اللبس عن تلك المفردة⁽⁴⁾.

2- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة: وذلك بإبراز سماتها إن كانت اسما أو فعلا أو حرفا وتحديد زمن الفعل أهو ماض أو مضارع أو أمر، لازم أو متعد، مجرد أم مزيد.

3- بيان كيفية كتابة الكلمة: إذ أن للكتابة دور كبير في ضمان النطق الصحيح، ومن ذلك الخلط بين الضاد و الظاء، وكذا كتابة بعض الألفاظ كلفظ الجلالة الله، الرحمن، السموات.

(1) المرجع السابق، ص 20.

(2) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط 8، 2003، ص 163.

(3) المصدر نفسه، ص 165.

(4) "وهي دراسة تاريخية يقوم بها اللغوي لدراسة الألفاظ ليبين منها تلك التي نمت دلالتها، وتلك التي انكمشت فيها تلك الدلالة أو اختفت بمرور الأيام" ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط 3، 1982، ص 8 .

4- بيان كيفية نطق الكلمة: وهو ضبط لحركاتها وموازيتها، وهو ما اعتمده جل اللغويين العرب في معاجمهم، إذ يلجأون إلى تشبيهها بألفاظ أخرى على نفس الوزن وذلك ضمانا لنطق سليم.

5- تحديد مكان التبر في الكلمة: والنبر هو الضغط على أحد المقاطع الصوتية قصد إبرازها، ويتضمن هذا الجزء الإشارة إلى الجانب الصوتي " (1).

ظهر التفكير المعجماتي عند العرب لحاجة منهم إلى تدوين ألفاظ لغتهم، وكذا الحفاظ على هذا الزخم المعرفي وحمايته من الضياع والاضمحلال، "فكانت النواة الأولى التي قامت عليها صناعة المعجم العربي قديما هي تلك الرسائل والكتب الصغيرة التي جمعها الرواة وعلماء اللغة من أفواه العرب الخالص في الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث تقريبا، وكانت هذه الرسائل والكتب تجمع الكلمات المتصلة بموضوع واحد لا تكاد تتعداه فكان منها رسائل وكتب الخيل والإبل والشاة والشجر" (2).

لقد كانت هذه الرسائل بمثابة اللبنة الأولى التي بني عليها الفكر المعجماتي القادم بعد عمليتي الرواية الشفوية، ثم الانتقال إلى تدوين هذه الألفاظ "فلم يختلف علماء العربية في أهمية الرسائل اللغوية في الحقل الدلالي" (3).

ثم توالى المؤلفات وكان العين فيها المعجم الأول الذي مثل قمة التفكير المعجماتي آنذاك "وقد بدأت حركة جمع اللغة، أو التراث القولي للعرب بناء على دوافع دينية من ناحية ولغوية علمية من ناحية أخرى، فقد زحف اللحن من الكلام إلى النص القرآني مما شكل تهديدا مباشرا لحياة المسلمين، ولأن القرآن نزل على طريقة العرب في الكلام، فكان من الضروري استنباط القواعد والأصول اللغوية لهذا الكلام حفاظا على القرآن وتيسيرا لفهمه واستنباط

(1) المصدر نفسه، ص 165-166 .

(2) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر 2003، د ط، ص 303.

(3) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين ززال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م - 1429 هـ، ص 228، ينظر، التفكير اللغوي الدلالي، حمدان حسين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 2002، ص157.

أحكامه، ثم إتاحة الفرصة لهؤلاء الذين لا يحسنون العربية لكي يتعلموها. واعتمدت حركة الجمع هذه على السماع والرواية، كما اعتمدت بقية معارف المسلمين فيما يتصل برواية القراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف، ثم حلت الكتابة محل الرواية⁽¹⁾، "أما الركن الثاني من ركني التأليف المعجمي هو ركن الوضع، والوضع هو إنجاز المعجم المدون أو تأليفه، فتصبح الوحدات المعجمية المخصصة التي جمعت المداخل المعجمية⁽²⁾ ووظائفها في كتاب مدون بعد أن كانت مخزنة في مكتر ما"⁽³⁾.

ويقوم الوضع على أساسين هما: الترتيب والشرح أو التعريف.

1- "الترتيب: ويقصد به ترتيب المداخل وكذا ترتيب المشتقات في المعاجم اللغوية تحت الجذر الواحد أو المدخل، ويتمثل ذلك بعد ترتيب المداخل في وضع المشتقات أيها يأتي أولا وأيها يأتي تاليا".⁽⁴⁾

2- "الشرح أو التعريف: والمقصود به شرح المعنى أو بيان دلالة الكلمة أيا كان نوعها ويتفق علماء اللغة والمعاجم قديما وحديثا على أن يكون هذا الشرح واضحا لا لبس فيه ولا غموض".⁽⁵⁾

3- مادة المعجم هي الألفاظ التي تكون هذا المعجم، فهي كلمات "لها كيان مستقل في الكتابة والطباعة، كما تتمتع بذاتية واستقلال في المعجم"⁽⁶⁾، و"الوحدات المعجمية من حيث هي صيغ ورموز لغوية"⁽⁷⁾ قد تكون خاضعة للاستعمال العامي أو اليومي، وقد تكون رهينة المعجم

(1) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، ص 99.

(2) "إن التصنيف المعجمي يمثل ضربا من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر العربية الفصحى به أخذت تتكامل من صورة مفردات اللغة على نحو ينظر ما كان من إقامة أركان النحو والصرف"، ينظر، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت) و (د ط)، ص 206.

(3) "يتم ترتيب ألفاظ المعجم باعتماد أحد المناهج المتبعة منها ما يقوم على ترتيبها ترتيبا صوتيا، ألفبائيا أو موضوعاتيا"، ينظر: مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد - دار الغرب الإسلامي ط 1، 1997، ص 95.

(4) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، ص 22.

(5) المصدر نفسه، ص 23.

(6) المصدر نفسه، ص 33.

(7) مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص 35.

وذلك لاتسامها بالطابع الفصيح، وقد تستعمل لغرض علمي أكاديمي غير ذلك "فهذه الوحدة المعجمية أي اللفظ قبل أن تكون مكونا من مكونات الجملة أي أنها موجودة في المعجم قبل أن توجد في التركيب النحوي، ولا يمكن لها أن تنتظم في التركيب النحوي ما لم يكن لها وجود حقيقي في المعجم، وهذه الخاصية تجعلها قابلة للتصنيف الجدولي، إما بحسب صيغتها وإما بحسب مضمونها الدلالي، ومتى صنفنا اكتسبت ماهية تمكنها من التفرد..... فالوحدات المعجمية إذن قد تحمل مضمونين دلاليين:

الأول نتاج معجمي، وهو ثابت يستفاد من المعنى الحقيقي وخاصيته الاستقلال عن السياق **والثاني** نتاج تأليفي يستفاد من المعنى المجازي وخاصيته الارتباط بالسياق".⁽¹⁾

طرق شرح المعنى المعجمي:

يلجأ المعجمي في شرحه لمادته اللغوية إلى طرق وجدت لتسهيل عملية الفهم والوصول إلى المعنى الجوهرية للفظ من الألفاظ، تعددت الطرق واختلفت، كل معجمي اعتمد على طريقة معينة تمكنه من جعل القارئ يتحكم في "مهارتين لغويتين أساسيتين مهارة الاستعمال وكذا مهارة الاستقبال"⁽²⁾، أكثر هذه الطرق شيوعا واعتمادا هي :

أ. **الشرح بالتعريف:** وللتعريف في المعجم عامة صنفان كبيران:⁽³⁾

1- التعريف اللغوي أو اللفظي: يختص به المعجم العام لأنه أوفق لتعريف ألفاظ اللغة عامة.

2- التعريف المنطقي أو الموسوعي: ويتم ذلك "بتحديد جنس الشيء وفصله النوعي وخاصته"⁽⁴⁾، و"قوام التعريف المنطقي في المعجم المختص هو الإخبار عن خصائص الشيء أو الموجود الذهني المسمى في المعجم من نواح عدة، منها الجنس أو النوع أو ما له صلة بالهرمية

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 38.

⁽²⁾ صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص 120.

⁽³⁾ مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص 96.

⁽⁴⁾ صناعة المعجم الحديث، ص 126 .

المقولية التي ينتمي إليها، الشكل و الأبعاد والحجم والمقدار والزمان و المكان اللذان يوجدان فيهما".⁽¹⁾

ب. الشرح بتحديد المكونات الدلالية: "وتقوم فكرة المكونات الدلالية على تحليل المحتوى الدلالي للكلمة إلى عدد من العناصر أو الملامح التمييزية التي من المفترض ألا تتجمع في كلمة سوى الكلمة المشروحة وإلا كان اللفظان مترادفين"⁽²⁾ و"تفيد نظرية العناصر التكوينية أو النظرية التحليلية صانعي المعجم في :

1. تحليل كلمات كل حقل دلالي، وبيان العلاقات بين معانيها.

2. تحليل كلمات المشترك اللفظي إلى مكوناتها أو معانيها المتعددة .

3. تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة".⁽³⁾

ج. الشرح بذكر السياق: " كلمة سياق context: استعملت حديثا في معان مختلفة والمعنى الوحيد الذي هو مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"⁽⁴⁾، إذ أن الكلمة هي عنصر ضمن نسق لغوي تسهم في إعطائه دلالة معينة و"السياق هو الذي يهب للكلمة معناها الدقيق"⁽⁵⁾، ويكسبها شيئا من التخصيص والالتزام وذلك هو "التعيين الأساسي لدلالاتها"⁽⁶⁾ لأن اللفظة في كثير من الأحيان قد تحمل أكثر من معنى واحد "فتعدد معنى الكلمة في المعجم يعود إلى صلاحيته في الدخول في أكثر من سياق لغوي وثبت ذلك لها يسبق استعمالها في نصوص".⁽⁷⁾

(1) مسائل في المعجم، ص 96.

(2) صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص 126 .

(3) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ط1، 1982م - 1402هـ، ص 114.

(4) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع ، (د ت) و(د ط)، ص 68.

(5) إشكالية الدلالة في المعجمة العربية، علي قاسم، المنظمة الإسلامية للدراسات والعلوم والثقافة، الرباط ، اسيسكو، (د ت)، ص 1.

(6) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العربي، مكتبة الأسد، 2001 م، ص 172 .

(7) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسن، عالم الكتب القاهرة، ط 5، 2006 م - 1427هـ، ص 323.

"ولذلك أكثر المعجمي العربي من إيراد التعابير السياقية والاصطلاحية والاستعمالات المجازية الأخرى وبالغ في الإتيان بشواهد عديدة من القرآن الكريم والحديث الشريف والكلام شعرا أو نثرا".⁽¹⁾

نستنتج مما سبق أن الألفاظ بوصفها نظاما لغويا يتأسس على علاقة كل لفظ بما يحيط به من الألفاظ الأخرى.

د. الشرح بذكر المرادف والضد: وهو الاعتماد على الضد أو الضد المغاير للوصول إلى المعنى الحقيقي ولقد اعتمدت هذه الطريقة من طرف علماء العربية، للتدقيق أكثر في ماهية المعنى المراد الوصول إليه " بشرح دلالة الكلمة باستخدام كلمة ضد أو خلاف".⁽²⁾ ولا نجد ذلك في مادة عجم إلا في قوله: "العجم ضد العرب"⁽³⁾ أما الشرح باستعمال المرادف فهو شرح اللفظ بلفظ مرادف له في المعنى، واعتمدت هذه الطريقة منذ القدم ربما لأنها الأقرب إلى إيصال المعنى خاصة عند فئة معينة من الدارسين.

أنواع المعاجم: أوردها أحمد مختار عمر في كتابيه "البحث اللغوي عند العرب" و"صناعة المعجم الحديث" تحت قسمين أولهما: معجم الألفاظ والثاني أطلق عليه معجم المعاني.

1. معجم الألفاظ: وهي تلك المعاجم التي تشرح ألفاظ اللغة وكيفية ورودها في الاستعمال بعد أن ترتبها وفق ترتيب معين حتى يسهل على الباحث الرجوع إليها لمعرفة ما استبهم من معانيها، أو هي تلك المعاجم التي تركز نشاطها في البحث والكشف عن أسرار الوحدات اللغوية من الوجهة الدلالية خدمة لغرض ديني وآخر لغوي".⁽⁴⁾ ويضم هذا النوع الأصناف التالية:

(1) إشكالية الدلالة في المعجمية العربية، علي القاسم، ص 1.

(2) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 174.

(3) العين، للخليل، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس. (د.ت) و(د.ط). مادة "عجم"، ص 237.

(4) الألفية في الدراسات المعجمية، العمري بن رابع القلعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، ص 44.

أ. **معجم ألفاظ القرآن الكريم⁽¹⁾**: كان الداعي الرئيسي للتأليف في هذا المجال الحفاظ على القرآن الكريم ولغته من اللحن والضياع، وحفاظا على ألفاظه ومعانيه من التحريف وسوء الفهم، وكانت هذه "المعاجم تعنى بألفاظ القرآن الكريم فترتبها تبعا للصور كما وردت في القرآن الكريمفتبين المدني منها والمكي".⁽²⁾

ب. **معاجم الحديث النبوي الشريف**: كان الغرض من تأليف معاجم الحديث النبوي الحفاظ على أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام من اللحن والضياع، وكذا شرح ألفاظه بغرض فهم معانيه، وكان هؤلاء الكتاب في الكثير من الأحيان يتبعون منهجا معينا، وذلك بذكر الحديث وسنده، ثم يشرح اللفظ بالاستشهاد على المعنى من القرآن والشعر.

ج. **معجم العرب والدخيل**: وهي معجمات وجدت للإعتناء بالمعرب من الألفاظ، والدخيل منها، للحفاظ على اللغة العربية نظرا للإنتشار الكبير للهجات، واختلاط العرب بالعجم، فكانت هذه المعاجم بمثابة الحد الفاصل بين الألفاظ العربية والألفاظ المعربة الدخيلة.

1. **معاجم المصطلحات العربية**: وهي المعاجم التي تهتم بجمع المصطلحات العربية وترتيبها وفق نظام معين منها التعريفات للجرجاني.

2. **معاجم المعاني**: أو المعاجم المبوبة كما سماها ابن سيده وتسمى كذلك بمعاجم الموضوعات وسميت كذلك بالمعاجم الخاصة على أساس أن مؤلفيها "كان همهم جمع اللغة لغرض خاص يختلف باختلاف المصنفات"⁽³⁾، و"معجم المعاني هو المعجم الذي يرتب ألفاظه على معانيها وموضوعاتها وذلك بوضع الألفاظ التي تدور في فلك واحد حول موضوع واحد في كتب وأبواب وفصول أو ما نطلق عليه حاليا الحقول الدلالية، فمهمة جمع المعاني وتقديم اللفظ المناسب للمعنى المناسب، للمعنى الذي نريده على العكس من معجم الألفاظ فإنه يقدم لنا شرح اللفظ الذي استغلّق علينا

⁽¹⁾ كانت المؤلفات في هذا الغرض، كثيرة غرضها الحفاظ على القرآن الكريم منها: اللغات في القرآن، لعبد الله بن عباس، غريب القرآن، لأبي عبيدة عمر بن المثنى، تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة.

⁽²⁾ المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة والنشر، ط2، 1968، ج1، ص42.

⁽³⁾ الألفية في دراسة المعجمية، العمري بن رايح بلا عدة القلعي، ص46-47.

مفهومه ومعناه؛ وهذا النوع من المعاجم يفيد الشاعر والكاتب والمترجم على إيجاد اللفظ العربي الفصيح للمعنى الذي يريده، والفرق الرئيسي بين معاجم المعاني هو اعتماد الأول على الترتيب الهجائي واعتماد الثاني على الترتيب الموضوعي في عرض الألفاظ»⁽¹⁾

"ويبدو أن فكرة هذا النوع من المعاجم الذي يرتب ألفاظه بحسب الموضوعات كانت أسبق في الوجود، أو معاصرة لأولية المعاجم العربية المرتبة على الألفاظ، وإن أخذت البداية شكلا خاصا يتمثل في كتيبات صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحدا من الموضوعات." ⁽²⁾

3. المعاجم التأصيلية أو التأثيلية: وهي معاجم هدفها الأساسي الرجوع بالكلمات إلى أصولها، وقد يتصل هذا الجانب بالجانب التاريخي لأن التأليف في المعاجم التأثيلية يستدعي من المعجمي إلقاء نظرة أو الرجوع إلى المنهج التاريخي وذلك لمعرفة أصل اللفظ، "فاللفظ بالضرورة قد يكون أعجمي الأصل نظرا لعلاقة اللغة العربية باللغات الأجنبية المجاورة كالفارسية والحبشية والرومانية ويشير المعجمي في معجمه إلى اللفظ كونه غريبا أو دخيلا على اللغة العربية" ⁽³⁾، ولم يبعث الدرس التأثيلي والتاريخي بعد ذلك إلا مع نهاية القرن الثالث عشر إلى الثامن عشر هجري في أوروبا بفضل اللغوي الفرنسي دي سويسر De Saussure.

ويعني مفهوم التأثيلية (Etymologies) في الدرس المعجمي ⁽⁴⁾، دراسة أصول الكلمات من حيث انحدارها من لغة أم، أو دخولها بالاقتراض.

"وقد سلك المعجميون عدة طرائق في تأصيلهم للألفاظ أهمها:

أ. النص على أصل الكلمة بذكر اللسان الذي انحدرت منه، مع الإشارة إلى نطقها ورسمها الإملائي ودلالاتها والتغيرات التي طرأت عليها.

ب. الإشارة إلى اللفظ إن كان أثيلا.

⁽¹⁾ مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، أحمد فرج ربيعي، تقديم: عبده الراجحي، مركز الاسكندرية للكتاب، 2001 م - 1420 هـ، ص 24-25.

⁽²⁾ البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 288.

⁽³⁾ الأثيل والدخيل، الجيلالي حلال، ت إ ط 24-02-2010. ينظر: www.arabisation.org.com/majallah/48

⁽⁴⁾ المصدر نفسه.

ت. الإشارة إلى اللغة التي انحدرت منها الكلمة إن كانت فارسية، بابلية، وإن كانت معربة".⁽¹⁾

فالمعجم التأثيلي أو التأصيلي إن صح التعبير يهتم بأصل الكلمة وتطورها عبر العصور خاصة إذا تعرضت إلى تغيرات معينة سواء على المستوى الصوتي أو المستوى الدلالي باستخدامها بغرض تأديتها لمعنى معين.

4. المعجم التاريخي: وهي تلك المعاجم التي تهتم "بسرود تاريخ الكلمات أو الوحدات اللغوية في إطار حياة اللغة، كما يوضح ميلاد المفردات والمعاني الجديدة واختفاء بعض المفردات من الاستعمال وزمان كل منها، كما يقارن بين المفردات من حيث أصلها داخل لغة واحدة"⁽²⁾ أي أن المعجم التاريخي "يدرس مراحل تغير معنى لفظ من الألفاظ عبر العصور سواء في الشكل أو المضمون".⁽³⁾

فهذا التغير قد يطرأ على الألفاظ أو المفردات بفعل عوامل مختلفة وكذا بفعل التأثير والتأثير الحاصل بين مختلف اللغات، والمعجم التاريخي هنا وظيفته تتبع هذا التغير الحاصل، وهنا نستنتج أن "المعنى قد كان النواة الثانوية خلف كل الاستقرارات التاريخية، حتى ينتهي بنا المطاف إلى اعتبار المعاجم التاريخية نافذة معرفية نطل منها على علوم فقه اللغة وعلى إشكالية الدلالة في حركتها المتعاقبة على محور الزمن".⁽⁴⁾

5. المعاجم العلمية المختصة: المعجم المختص هو كتاب يحمل بين دفتيه "رصيدا مصطلحيا لموضوع ما مرتبا ترتيبا معيناً ومصحوبا بالتعريفات الدقيقة الموجزة ومعززا ما أمكن ببعض الوسائل البيانية المرافقة من كشافات وسياقات وصور وجداول التي تساعد على توصيل المفهوم إلى المتلقي بأفضل صورة ممكنة، فهو معجم ذو طبيعة تأليف خاصة، لا يشتمل على ألفاظ اللغة عامة بل على

⁽¹⁾ المصدر نفسه

⁽²⁾ مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، ص 18.

⁽³⁾ المعجم العربي تطور وتاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، البدرائي زهران، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2009م-1430هـ، ص 22.

⁽⁴⁾ العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، (د ط)، ص 54.

مصطلحات العلوم والفنون، على درجة عالية من الدقة، بمقاييس ومعايير مضبوطة تلبية لمواصفات الإنتاج والتسويق".⁽¹⁾

نستنتج مما سبق ذكره أن هاته المعاجم تمتاز بالوحدة الموضوعية إن صح التعبير فهي كتاب يحوي ألفاظ ومفردات مجال معين وذلك بغرض معالجة "شريحة معينة من النشاط الإنساني وهو بذلك ينتمي إلى المعجمية المختصة التطبيقية"⁽²⁾ فقد تكون في ميدان الأدب، الطب، الدين والسياسة.⁽³⁾

6. المعجم الخاص بالطفل العربي: وهي محاولة طيبة نافعة بلا شك، إلا أن أكثر ما ألفت إلى الآن لم يخضع بعد للمقاييس العلمية التي يجب أن تعتمد عليها وأكثر، هذه المعاجم الخاصة بالطفل و الطلاب اعتمدت على المعاجم القديمة مع التفات يسير إلى ما أحدث في أيامنا من الدلالات والمفاهيم العلمية والتقنية

فالرصيد من اللغة التي يجب أن تعلم للطفل هو مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سن معينة من عمره؛ حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة، ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة"⁽⁴⁾، وتكون المعجمات الخاصة بالأطفال مصحوبة بصور تعينهم على سرعة الفهم واكتساب معاني المفردات⁽⁵⁾

7. المعجم الأحادي و الشائبي: المعجم الأحادي وهو معجم موجه إلى المتكلمين الوطنيين أي "المتكلمين الأصليين"،⁽⁶⁾ للغة من اللغات.

(1) دراسة في المعاجم العلمية المختصة، جيلالي بن يشو، مجلة دراسات أدبية، العدد 2 جانفي 2008م/ محرم 1430هـ، ص 09.

(2) المصدر نفسه، ص 09.

(3) "ومن المعاجم المختصة، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد بلغ عدد صدورها 23 جزء سنة 1982" ينظر الألفية في الدراسة المعجمية، العمري بن رابع، ص 12.

(4) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمان حاج صالح، موفم، للنشر، الجزائر 2007م-1428هـ، ج 2، ص 120.

(5) إن الخطوات الأولى التي يركز فيها الطفل على تعلم لغته هي ربما بالإشارة إلى الأشياء ثم تسميتها وكذا عند تعليمه الحروف الأبجدية فإن الوثيقة التي تحمل الحروف تكون مصحوبة بصورة تعينه على الفهم

(6) "هاته المعاجم هي منتشرة وهي تعرف الأجانب ويجب على متصفحها أن يكون على علم بألف باء اللغة المراد تعليمها وهي تستعمل أكثر في المدارس قصد تعليم الناشئة قواعد اللغات الأجنبية". ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص 41.

"أما المعجم الثنائي فهو الذي تختلف فيه لغة الشرح عن لغة المدخل، ويهتم بتقديم المعلومات المشروحة أكثر ما يهتم باللغة الشارحة"⁽¹⁾، فاللغة المشروحة بالنسبة للمتعلم هي لغة مبهمة تحتاج إلى إيضاحها وإزالة الغموض عنها وذلك يتأتى باللغة الشارحة؛ بتحديد الرسم الخطي ثم كيفية النطق وأخيرا المعنى الذي تحمله المفردة باعتبارها كيانا مستقلا مع وضعها في سياقات معينة "فالتصفح لهذه المعاني المختلفة لا يمكن أن يتحقق إلا بالتصفح لكل المواقع التي تقع فيها الكلمة أي في الكثير من سياقاتها"⁽²⁾.

فن المقامة:

مفهوم المقامة: أوردت جل المعاجم العربية لفظ المقامة بمعنى "الجلس من حيث هو مجلس أو الجماعة من الناس، مقام الناس مجالسهم"⁽³⁾، كما ورد اللفظ في القرآن الكريم في مواضع عديدة بدلالات مختلفة ولكن معظمها يشير إلى دلالة المجلس أو النادي وهي بمعنى:

1- المكان أو الوطن:

في قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ مريم، الآية: 73

2- المكان أو المجلس المستقر فيه:

في قوله تعالى ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ النمل، الآية: 39

3- المحل في الشهادة:

في قوله تعالى ﴿فَاخْرَاجِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ المائدة، الآية: 107

4- المنزل الرفيع:

في قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ الإسراء، الآية: 79

5- الإقامة:

⁽¹⁾المصدر نفسه، ص 41.

⁽²⁾بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن حاج صالح، ج2، ص 166.

⁽³⁾لسان العرب، مادة قوم، ص3781.

في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ الأحزاب، الآية: 13

6- المترلة في الربوبية:

في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ إبراهيم، الآية: 14

7- ورد اللفظ بتاء مربوطة مرة واحدة في التثنية المحكم في قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾³⁵ فاطر، الآية: 35 وهو هنا بمعنى المترلة الرفيعة والمقام الحمود وكذا الإقامة.

أما في الشعر العربي فقد ورد اللفظ في مواضع عديدة، ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس أو مقامة ومنه قول لبيد:

وَمَقَامَةٍ غَلَبَ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ * * جَنُّ لَدَى طَرْفِ الْحَسِيرِ قِيَامٌ⁽¹⁾

وهي هنا بمعنى أهل المجلس إذ يصف الشاعر هنا هيئته أهل هذا المجلس.

وقال ابن بري منشدا لزهير:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ * * وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ⁽²⁾

ولفظ المقامة هنا يقصد به المجالس التي كان يحض فيها على الخير والصلاح بين الناس.

ارتبط مفهوم لفظ المقامة قديما بالمكان أو المجلس، حيث عرفه الزمخشري بقوله: "المقام أو المقامة

كالمكان أو المكانة: موضع القيام فأتسع فيهما حتى استعمالا استعمال المكان أو المجلس".⁽³⁾

أما الجاحظ (ت255هـ) فقد أشار إلى المصطلح في كتبه المتداولة، حيث لا نكاد نجد ذكر لفظ

مقامة بهاء التأنيث إلا في كتابه "البيان والتبيين"، وذلك في قوله "وفي مقامات الصلح"⁽⁴⁾، والمتبع

للنص يجد أن اللفظ إنما أريد به المكانة أو المترلة. كما ورد لفظ المقامة في كتاب "الشعر والشعراء

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت) و(د ط)، ص 161.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدمه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م-1424هـ، ص 87.

(3) مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1982م-1402هـ، ص 16.

(4) البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، (د ت) و(د ط)، ج3، ص 269.

لابن قتيبة (ت276هـ) " في قوله : "للشعر أوقات يبعد فيها قريضه، ويستصعب فيها رريضه، وكذلك الكلام المنشور في الرسائل والمقامات و الجوابات "(1)

لفظ المقامة في ظاهر سياق الكلام لا يخرج عن مفاهيم ثلاث أشار إليها الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه "فن المقامات في الأدب العربي" وهذه المدلولات هي كالآتي:

1- مجلس أو موضع يقام فيه.

2- جماعة من الناس يجتمعون في مجلس.

3- موقف للفصل في خصومة أو حض على الخير"(2)

كان هذا شأن لفظ المقامة قبل ظهوره كفن قائم على يد بديع الزمان الهمذاني، والذي بدوره عرّفَ المقامة بقوله "فالمقامة تعبير جامع لأحداث أدبية، أنيقة الأسلوب، سياقها سرد قصص ومدارها على الكدية وعرض جوانب من اللغة والعلم والاجتماع"(3).

أما المحدثون فقد تطرقوا إلى هذا الفن انطلاقاً من أنه فن انبثق عن القصة، وأفردوه بمؤلفات خاصة جيء بها للإلمام بجوانب هذا الفن، وكان من هذه المؤلفات كتاب "فن المقامة لشوقي ضيف" والذي أشار فيه إلى أن "المقامة من أهم فنون الأدب العربي خاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير، وهي صيغ حليت بألوان البديع وزينت بزخارف السجع وعنيت أشد العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية وأبعادها ومقابلاتها الصوتية."(4)

والمقامة إذن كما عرّفها عبد الملك مرتاض في كتابه "فن المقامات في الأدب العربي" بقوله: "والمقامات فن أدبي قائم بذاته لا يعني الجلوس ولا الجالسين وإنما يعني أقصوصة ظريفة، أو حكاية أدبية مشوقة أو نادرة من النوادر الغريبة، ويضطرب فيها أبطال ظرفاء يتهادون الأدب ويتبادلون

(1) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1404هـ - 1982 م، ج1، ص 25.

(2) فن المقامات في الأدب العربي، عبد الملك مرتاض، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، (د ط)، ص 17.

(3) رأي في المقامات، عبد الرحمان ياغي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1985م، (د ط)، ص 12.

(4) فن المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 3، (د ت)، ص 02.

النكت في ابتسامه ثغر وطلاقة وجه، فقد أصبحت المقامة تعني منذ ظهور فن البديع الأقصوصة أو الحكاية أو النادرة المصوبة في ألفاظ أنيقة وأسلوب مسحوع. "(1)

إن الإرهافات الأولى لظهور فن المقامات هي ذات طابع اجتماعي بالدرجة الأولى، وترجح جل المصادر أن الأسبقية كانت لبديع الزمان الهمذاني⁽²⁾ في هذا الفن، إذ كانت مقاماته تروي مغامرات الكديين⁽³⁾ هؤلاء الذين كانوا أعرابا، قوما متشردين يمتازون بالجشع والبراعة في السؤال، وقد كانت لهم حيلهم الخاصة التي يلجؤون إليها للنصب والاحتيال وكذا اقتناص المال "فقد كانوا يغرون بالأجواء والأغنياء، وربما عامة الناس أيضا، إغراء شديدا، يظهرونهم على ذلك ألسنتهم الفصيحة ولهجاتهم المليحة، وطمعهم في نيل بعض الدراهم بدون ما عمل." (4)

و كان هؤلاء المتسولون على علم بطرق فنية كثيرة لاستخلاص الأموال والطعام مستغلين بذلك ظروفًا معينة، فقد كانوا يتقنون أساليب اللغة أيما إتقان، كانت أحاديثهم تتسم بالأناقة اللفظية قصد التأثير في المستمعين واستمالتهم، فيلجؤون إلى كل حيل المكر والدهاء للاستجداء وكسب العطف، "وكانت هذه الأحاديث قصيرة في معظمها، أما الأبطال ولهجتهم فشيء واحد، إذ أنهم لا يعدون أن يكونوا فصحاء ينثرون الدّر من أفواههم و يلفظون السحر من ألسنتهم." (5)

ولقد شكلت أحاديث الجاحظ في "البخلاء"، رافدا هاما ساهم في ظهور المقامات كفن قائم، إذ ترجح بعض الكتب أن بديع الزمان الهمذاني قد اطلع عن كثب على هذه الأحاديث في كتب الجاحظ. فقد كانت "أحاديث الجاحظ أساسا من أسس فن المقامات من حيث فكرتها العامة "الكدية"⁽⁶⁾، فحوت هذه الرسائل الكثير من حيل الشحاذين وأساليبهم المبتدلة للوصول إلى المال

(1) فن المقامات في الأدب العربي، عبد الرحمن ياغي، ص 23.

(2) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني، وهو عربي الأصل كاتب بارع ومكتشف فن المقامة، ينظر: بديع الزمان الهمذاني، مصطفى الشكعة، دار عالم الكتاب، لبنان، (د)، ط 1، ص 153.

(3) أصحاب الكدية هم طائفة برزت في عصر البديع وكانهم يعرفون بالساسانيين نسبة إلى ساسان، وهو شخص احترف الكدية قديما، ينظر: فن المقامة شوقي ضيف، ص 20.

(4) فن المقامات في الأدب العربي، عبد الملك مرتاض، ص 35.

(5) المرجع نفسه، ص 41.

(6) المرجع نفسه، ص 64.

من أسرع الطرق، ولعل اطلاع بديع الزمان الهمذاني على هذه المؤلفات مده بنظرة أكثر توسعا و شمولية حول صنعة الكدية وأبعادها المادية والنفسية.

ولعل رافدا هاما من هذه الروافد ساهم بقدر وفير في ظهور المقامات "أحاديث ابن دريد" تشكل هذه الأحاديث "باكورة حسنة من بواكير فن المقامات"⁽¹⁾ فبدى أثرها أكثر في أسلوب بديع الزمان في مقامات، فلما رأى البديع "أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي، أغرب بأربعين حديثا، وذكر أنه استنبطها من معادن فكره وأداها للأبصار وأهداها للأفكار والضمائر في معارض أعجمية، وألفاظ حوشيه فجاء أكثرها أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ولا تروغ حجيها الأسماع، وتوسع فيها: إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متفرقة، عارضها بأربعمئة مقامة في الكدية".⁽²⁾

نستنتج مما سبق أن مقامات البديع جاءت كرد فعل على أحاديث ابن دريد إما إعجابا بها لأنها كانت تمتاز بأسلوب راق يعتمد فيه على الزخرف اللفظي والغريب من اللفظ مما جعل الهمذاني يعجب بها ويحاول التقليد أو النسج على منوالها.⁽³⁾

موضوع المقامة: لم يقتصر موضوع المقامة عند البديع على غرض واحد، بل كان متعدد المواضيع "حقا إن أكثر المقامات موضوعها الكدية والاستجداء، إذ يظهر أبو الفتح الإسكندري في شكل أديب شحاذ يغلب الجماهير ببيانه العذب ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم وتراء بهذه الصورة في بلدان مختلفة ولعل ما دفع بديع الزمان أن يسمى المقامات بأسماء البلدان ومعظمها بلدان فارسية".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 44.

⁽²⁾ زهر الآداب للحصري، تحقيق: زكي مبارك و محمد محي الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1953، ص 273.

⁽³⁾ ولعل ما ساعد الهمذاني بقدر كبير ذكاؤه وفطنته فقد كان "يملي عليهم ارتجالا وبديها وكان يملئها (المقامات) في آخر مجلسه"، ينظر المقامات والتلقي، نادر كاظم مطبعة سيكو، بيروت لبنان، ط 1، 2003، ص 124.

إن اتخاذ البديع الاملاء سبيلا لإلقاء مقامات يدل على أنه كان يتسم بذكاء حاد وسرعة بديهية وذاكرة قوية، تسمح له بحفظ مقاماته وإعادة إملائها ويحكى أن "البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه اقترحوا غرضا نبني عليه مقامة، فيقترحون ما يشاؤون فيملئ عليهم المقامة ارتجالا في الغرض الذي اقترحوه"، ينظر: شرح مقامات الحريري، شرح وتحقيق: يوسف البقاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1985م، ص 12.

⁽⁴⁾ فن المقامة، ص 24.

فقد كان البديع يطلق على مقاماته إما أسماء أماكن كان يحل عليها، بغرضالكدية مثل: النيسابورية وقد كانت هذه المقامات ذات أبعاد معينة تتجلى من خلال سياق المقامة، منها المقامة الغيلانيةوالرصاصية، والحلوانية... إلخ، تتضمن هذه المقامات صورة لبعض العادات والتقاليد وكذا "طرق الحصول على المال السليمة والمستقيمة".⁽¹⁾

كما أن له مقامات اهتمت بالأدب والشعر وحملت في طياتها أساليب الوصف البارع والهجاء المقذع، وصورة نقدية لمذاهب أو فنون أدبية، كانت منتشرة في عهد الهمذاني منها: المقامة الحمدانية، المقامة الشعرية، المقامة القريضية والجاحظية.

أما المقامات الدينية فاقترنت بالجانب العقائدي أو البعد الديني ولعل أبرزها وأكثرها قصدا مقامات الزمخشري إذ كانت "معظم موضوعاتها في الزهد والتقوى"⁽²⁾، وقد كانت هذه المقامة تلقى في أماكن فسيحة مليئة بالناس بغرض نشر الوعي الديني. كما نجد مقامات أخرى كانت بغرض وصف أطعمة معينة كانت منتشرة آنذاك أو وصف بارع لحيوان ما بطريقة فنية راقية وألفاظ منتقاة بعناية قصد التأثير وتحقيق الغاية المنشودة وراء المقامة.

أما إذا أردنا الحديث عن هيكلية المقامة فذلك يستدعي منا ربطها بفن القصة "فلقد كانت المقامة إرهابية قصصية ومرحلة من مراحل النشر الفني مرت بها الأحاديث والأسمار نحو القصة، وربما يكون الطريق قد طال بها فاستغرقت أجيالا كان ينبغي ألا تستغرقها"⁽³⁾. فالمقامة في حقيقتها لبنة أساسية أدت على نحو ما إلى ظهور القصة كفن أدبي قائم. فهي في شكلها القديم قصة لأنها تحوي نفس عناصر القصة من حبكة وشخصيات، و عقدة وانفراج للعقدة.

إن أول ما يفتح به الهمذاني مقاماته ذكره لشخصيات من صنع خياله أطلق عليها أسماء معينة وهي من تقوم بتحريك أحداث المقامة "فعيسى ابن هشام وأبو الفتح الاسكندري، جعل الأول الراوي والثاني البطل المغامر ولم يحرص البديع على أن يظهر أبو الفتح في جميع المقامات بل

⁽¹⁾ رأي في المقامات، عبد الرحمن ياغي، ص 55.

⁽²⁾ المصدر السابق، ص 30.

⁽³⁾ مقامات السيوطي الأدبية والطبية، شرح وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ت) و (د ط)، المقدمة.

كان يقلل من شأن مغامراته"،⁽¹⁾ كان الهمذاني يفتح مقاماته بعبارة "حدثني عيسى ابن هشام"⁽²⁾، بمعنى روى عيسى ابن هشام أما شخصية الاسكندر في فقد علق عليها الشكعة في كتابه " بديع الزمان الهمذاني" قائلا: "هي شخصية كانت تدعو إلى الكثير من العجب والإعجاب فهو بطل في الكدية وبطل في المغامرات، وبطل في الفصاحة والشعر، شخصية فكاهية من الطراز الأول، عليها بني كيان المقامات ورونقها ونجاحها"⁽³⁾. كما يركز الكاتب على شخصية البطل بوصف "خلجاته ومشاعره وصفا دقيقا وتصويرا لمواهبه وملكاته ورحيله الدائم"⁽⁴⁾.

بعد البداية ينتقل الكاتب انتقالا آليا إلى سرد وقائع المقامة سردا وصفيا مليئا بالتفصيلات الزمانية والمكانية للدلالة على أحداث المقامة، وورودها بشكل منتظم. وقد تكون هذه الأحداث والآراء هي نافذة لآراء الهمذاني وأفكاره حاله في ذلك حال الإبراهيمي فالمقامات الهمذانية بغض النظر عن طابعها العام القائم على السخرية، فهو يحمل بين طياته آراء معينة أريد بها الإشارة إلى حال المجتمعات العربية في القرن الرابع الهجري.

إن الطابع العام لهيكل المقامة هو شبيه بالقصة ولكن ليس مطابقا له، لأن القصة إنما تأخذ حيزا زمنيا ومكانيا أطول، خاصة إذا كنا نتحدث عن القصة لا القصة القصيرة، ولكن المقامة تكون في ظرف أو زمان أقصر لا تنتهي بموت البطل ولكن يتمكن الكدي من نيل مراده والظفر بالمال أو الطعام. أما نهاية القصة فتكون إما نهاية درامية محزنة أو نهاية سعيدة.

تختلف مقامات العصر الحديث بكونها تناقش ظروفًا راهنة، وتنتهي بوصول الكاتب إلى نتيجة معينة حسب الموضوع الذي تحويه المقامة.

فن المقامة في الجزائر:

(1) بديع الزمان الهمذاني، مصطفى الشكعة، ص 340.

(2) جميع مقامات الهمذاني : تتخذ من هذه العبارة افتتاحية لها مهما كان موضوعها اجتماعيا، سياسيا أو دينيا .

(3) بديع الزمان الهمذاني، مصطفى الشكعة، ص 340 .

(4) فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1 ، 2004 م، ص 157.

لقد كان ظهور فن المقامة في الجزائر نتيجة لظروف سياسية واجتماعية خلفها الاستعمار الفرنسي وسياسته الجائرة في حق الشعب الجزائري ودخول الفرد الجزائري في صراع ايدولوجي بين الحفاظ على الهوية الوطنية بجميع رموزها، الدين واللغة والوطن، أو الانطواء تحت لواء الثقافة الغربية التي كان غرضها الأساسي المساس بالرموز الوطنية.

وكانت الارهاصات الأولى لظهور المقامة في عهد الدولة الحمادية على يد الوهراني⁽¹⁾، وهي "نصوص تمتاز في تاريخ الفن في الأدب العربي بميزات ترفعها إلى مقام عالي، ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوص فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب"⁽²⁾، تناول فيها الوهراني قضايا عصره السياسية⁽³⁾، والاجتماعية بشيء من التفصيل مع إضفاء لمسة فكاهية ليكسب مقاماته ومناماته شيئاً من خفة الروح، وهي ميزة من ميزات المقامة. تبدأ أغلب هذه المقامات بـ: "قال الوهراني: لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي وألقيت حبلي على غاربي..."⁽⁴⁾، وهي عبارة افتتاحية يستهل بها مقاماته للدلالة على بداية الرحلة. أما في العصر الحديث فالأمر أخذ منحاً آخر، إذ أصبح الكتاب منشغلين بقضايا مصيرية ذات بعد اجتماعي وسياسي غرضهم في ذلك الإصلاح، وهنا يمكننا التمييز بين ثلاثة أشكال للمقامات في النثر الجزائري:

1. المقامة الصوفية: "وقد عبر فيها أصحابها عن نزعاتهم الروحية مثلما عبروا عن ذلك بالشعر والنثر الصوفيين وكتبوا ما يمكن أن يعتبر مقامة أدبية صوفية"⁽⁵⁾، وقد برع الأمير عبد القادر في هذا النوع من المقامات وذلك بالاعتماد على استعمال ألفاظ صوفية معروفة مثل: عريف، مقدم...⁽⁶⁾

أما البطل فعادة ما يكون الكاتب نفسه ورحلته في البحث عن الحقيقة في غياهب الجهول، وهذه الرحلة إنما يقوم بها البطل بحثاً عن الذات الإلهية والوصول إلى الحقيقة الروحية وهذه المقامة أشبه ما

(1) الوهراني هو ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ولد وتوفي في وهران سنة 575هـ ، كاتب وفقه، ينظر " مقامات ومنامات الوهراني"، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007، المقدمة.

(2) المصدر نفسه، المقدمة.

(3) سئل الوهراني مرة قيل "فما تقول في الدولة المصرية؟ قلت : عجوز محتالة وطفلة مختالة وروضة زاهرة ، وامرأة عاهرة ... " ، كتب هذه المقامة تعبيراً عن أحوال مصر السياسية والاجتماعية آنذاك، ينظر: مقامات ومنامات الوهراني، ص 12.

(4) نسخ ورسائل الوهراني محفوظة في مكتبة آيا صوفيا باسطنبول ونسخة في مكتبة برنستون بأمريكا، تعليق: عبد العزيز الوهراني، المقدمة.

(5) تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، عبد الله الركيبي، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية، 1976، ص 74.

(6) كتب الأمير عبد القادر مقامة أسمها " معشوقة غير مرموقة "، يتحدث فيها عن البحث عن الذات الإلهية بأسلوب صوفي يصف فيها رحلة قام بها البطل للبحث عن هاته الذات، ينظر: المواقف، للأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، دمشق 1977، ج 1، ص 09.

تكون بالرحلة الدائرية من الأرض إلى السماء ثم من السماء إلى الأرض، والحركة فيها ليست حركة بالمعنى المألوف أي ليست بالجسم إنما بالروح، أما مضمونها فلا ينبغي أن ينظر إليه على أساس ما عرف لدى المتصوفة من فهم أو نظر للكون والطبيعة وما بعد الطبيعة لأن هذا هو طريقهم للمعرفة".⁽¹⁾

لقد كان الأمير عبد القادر في هاته المقامة يناقش المسائل الروحية بطابع صوفي وبشيء من التفصيل والتركيز على هاته المصطلحات، قصد إزالة اللبس عنها، والتعريف بالفكر الصوفي ومصطلحاته وأبعاده الفكرية، وهو هنا يلتقي مع الزمخشري في مقاماته الوعظية لأن كلتا المقامتين غرضهما الوعظ والإرشاد.⁽²⁾

2. المقامة الأدبية: أشار عبد الله الركيبي في كتابه "تطور النثر الادبي الجزائري" إلى أنه قد عثر على واحدة من هاته المقامات يعود تاريخها إلى عام 1903 كتبها عمر بن ابريهمات⁽³⁾، تحت عنوان "مقامة أدبية"⁽⁴⁾ وقد كان غرض هذه المقامة إصلاحيا يدعو إلى النهضة واليقظة، بل وتطورت هاته المقامات في أسلوبها أيضا بسبب هاته النهضة الأدبية التي ساعدت على إحياء اللغة العربية وجعلتها أداة للتعبير عما في الوجدان.⁽⁵⁾

(1) المصدر السابق، ص 75، 76.

(2) كان الأمير عبد القادر بعد الانتهاء من سرد المقامة يشير إلى النهاية بقوله "إلى هنا؛ انتهى تحرير المقام..." ينظر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، أحمد بن عبد القادر الجزائري، شرح وتعليق: ممدوح حقي. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1964م-1383هـ، ص 682.

(3) "عمر بن ابريهمات: من اللذين ارتبطوا بالتعليم في المدارس الرسمية التابعة للإدارة الفرنسية وكان يحسن الفرنسية وله كتابات ثرية"، ينظر: تطور النثر الأدبي في الجزائر، عبد الله الركيبي، ص 76.

(4) "مقامة تعالج موضوع الصراع بين المستشرقين والعلماء المسلمين فيما يتعلق بالثقافة والفكر والأدب والتراث العربي الإسلامي" ينظر: المصدر نفسه، ص 76.

(5) المصدر نفسه، ص 77.

وقد اهتم هذا النوع من المقامات بالجانب الإصلاحي فيما يخص الحياة الشعبية بجميع مشاربها "وركزت على الاختلافات حيث اختلفت اللهجات وتباينت المشارب، فهناك الرجل العصري الذي يلبس الطربوش والتقليدي الذي يلبس البرنوس".⁽¹⁾

3. **المقامة الشعبية:** عرّفها عبد الله الركيبي في كتابه "تطور النثر الجزائري" على أنها "مقامات أدبية صيغت بطريقة جديدة وأسلوب جديد، وهذا اللون الجديد في النثر الجزائري عاجله الكاتب (محمد بن علي)⁽²⁾"⁽³⁾. وقد أطلقت على هذه المقامات "المقامات العوالية في أخبار العلالية على اللغة المغربية"⁽⁴⁾. كتبت هذه المقامات بلغة متفاحصة تجمع بين العامية والفصحى".⁽⁵⁾ إن إطلاق صفة الشعبية عليها يعني أنها كانت تعنى بانشغالات الشعب وخاصة تلك الطبقة المتوسطة والكادحة التي غاب صيتها.

كما أنها عاجلت واقع البيئة الجزائرية آنذاك من انتشار للآفات، وكذا أشارت إلى ظاهرة مهمة طغت على الواقع اللغوي وهي "تعدد اللهجات في القطر الجزائري وبوجه خاص في غربه أين نشأ الكاتب محمد بن علي وتنقل بين ربوعه وخالط قبائل كثيرة"⁽⁶⁾، "ثم إن هذه الاختلافات في العاميات برمتها لا تخلو أن تكون علامات اختلافات يعود مصدرها إلى اختلاف لهجات الفاتحين والوافدين العرب، الذين نشروا كلماتهم اللهجية التي ورثوها بدورهم عن لهجاتهم القبلية المتباينة"⁽⁷⁾

(1) "ومن كتاب المقامات الجزائريين كذلك محمد الصالح حبشاش كتب مقامات إصلاحية نقد فيها الواقع الجزائري كانتشار الفقر والامية وكذا السبل التعليمية التي ينتهجها المعلمون في تلقين الدروس للطلبة"، ينظر المصدر نفسه، ص 80-81.

(2) محمد بن علي الحباري: من غرب الجزائر عمل قاضيا ألف قصائد كثيرة، تاريخ وفاته مجهول، ينظر: تطور النثر الجزائري، عبد الله الركيبي ص 86.

(3) المصدر نفسه، ص 86.

(4) "مقامة عاجلت قضايا المجتمع الجزائري ومشاكله كله وما كان يعانيه جراء الاستعمار وكان يرمز إلى ذلك رمزا وتلميحا"، ينظر: المصدر نفسه، ص 87.

(5) المصدر نفسه، ص 86.

(6) المصدر نفسه، ص 88.

(7) تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، 2004، ص 77.

وكان هدف هذه المقامات "إعادة الصفاء للغة العربية في ألفاظها وتعابيرها وصلقلها صقلا
يعيد لها بيانها المشرق".⁽¹⁾

⁽¹⁾ تطور النثر الأدبي في الجزائر، عبد الله الركيني، ص 88 .

مقامات البشير الإبراهيمي:

1. وقفة مع الإبراهيمي:

حياته:

"الرجال أعمال"⁽¹⁾ عبارة درج الإبراهيمي على توظيفها في التاريخ لما أثر زملائه من العلماء الأجلاء مستحضرا مواقفهم البطولية، وذلك بتسليط الضوء على أعمالهم مستقرا أبعادها الإصلاحية اجتماعيا، دينيا وسياسيا ومدى تأثيرها في الفرد الجزائري خاصة والشعب ككيان مصاب في عقيدته أولا ثم لغته وحرية وكرامته.

وليس المراد بهذا التقديم الموجز التعريف بالإبراهيمي⁽²⁾ بطريقة نمطية كما عهدنا في معظم البحوث الأكاديمية، ولكن الأهم هنا استقراء حياة "البشير الإبراهيمي" بالوقوف أولا على عوامل تكوين شخصيته ثم ذكر أعماله، التي تعد مرايا تعكس لنا فكره الإصلاحية الثلاثي الأبعاد إن صح التعبير الاجتماعي، الديني والسياسي.

ولد الإبراهيمي "بقريّة رأس الوادي ناحية مدينة برج بوعريّيج بالشرق الجزائري في 14 يونيو جوان 1889 في بيت أسس على التقوى من بيوتات العلم والدين"⁽³⁾، نشأ وترعرع في بيت ورث العلم أبا عن جد فكانت القاعدة الأولى فيه حفظ القرآن الكريم⁽⁴⁾ والاطلاع على علومه، ثم الانتقال إلى باقي العلوم الأخرى من حفظ لأمات الكتب العربية.

كما لا يفوتني هنا أن أذكر عمه محمد المكي الإبراهيمي عالم البيت وشيخ الوطن كما يلقب، فكان معلما ومرشدا استلهم منه الإبراهيمي صبره في التعلم وإصراره عليه.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 548.

(2) كتب الإبراهيمي عن سيرته الذاتية في عدة مناسبات حيث جاء في الجزء الخامس من الآثار ترجمتين كتبهما الشيخ عن نفسه، أما الترجمة الأولى فهي في الجزء الخامس ص 163-170 وقد جاءت بعنوان: من أنا؟ وهي في أصلها جواب عن أسئلة مجلة المصور المصرية ونشرت في 1955. وأما الترجمة الثانية فهي في ج 5 ص 262 - 291 من الآثار، وعنوانها: (خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية) وقد كتب هذه الترجمة بطلب من مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1961 عندما عين عضوا عاما فيها.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص 9.

(4) يقول الإبراهيمي في ذلك "حفظت القرآن الكريم حفظا متقنا في آخر الثامنة من عمري، وحفظت معه وأنا في تلك السن، نتيجة للتنوع الذي ذكرته ألفية مالك وتلخيص المفتاح وما بلغت العاشرة حتى كنت أحفظ عدة متون علمية مطولة" ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 164.

ومن أهم الروافد المساهمة في تكوين شخصية الإبراهيمي اطلاعه الواسع وحفظه لدواوين فحول المشاركة، ورسائل بلغائها فحفظ صدرا من شعر المتنبي، ثم استوعبه بعد رحلته إلى المشرق، وصدرا من شعر الطائيين وحفظ ديوان الحماسة، وحفظ كثيرا من رسائل سهل بن هارون وبديع الزمان الهمذاني⁽¹⁾.

كما كان لرحلتي الحجاز والشام الأثر البالغ في تكوين الإبراهيمي وتوسيع مداركه، وصقل موهبته في امتلاك "ناصية اللغة العربية فكان خبيرا بأسرارها، ضالعا في أساليبها، بارعا في فنونها وآدابها"⁽²⁾ فسخرها لتكون سلاحه المترجم لأفكاره.

اتخذ الإبراهيمي من الفكر الإصلاحى لواء له، شأنه في ذلك شأن المفكرين المسلمين، وقد تأسست جمعية العلماء المسلمين في 1931 كرد فعل على إرهابات ظهور النهضة الفكرية والعلمية في الجزائر، فكان شعارها خالدا موحدا للشعب، كان فيه الإسلام الدين الوحيد، والعربية اللغة الأساسية، والجزائر الأم والوطن.

فاتضحَت الرؤى بضرورة لم الشمل لاستنهاض العزائم، وشحذ الهمم.

مبادئه:

كان فكر الشيخ الإبراهيمي الإصلاحى يرتكز على أسس هي راسخة متجذرة فيه بفعل التنشئة المتميزة، والفكر الناضج الملتزم بقضايا الوطن باعتباره الهم والأم، ثم الأمة، وذلك الإحساس الرجل بالمسؤولية نحو كل ما يمت للإسلام، والعربية بصلة. كان مبدؤه الأول:

1. الإسلام: وهو دين سماوي، جعل الله من القرآن لسان صدق له، ومن المصطفى المختار عليه صلوات الله، الهادي والمبشر، مما أهله لأن يكون دين يسر ومحبة وسماحة فكان الإبراهيمي "مقتنعا أن في الإسلام علاجا لكل أمراض المجتمع، شريطة أن تستعمل الأسلحة الثلاثة

(1) المرجع السابق، ج 5، ص 165.

(2) أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954، بوعلام بسايح، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، (د ط)، ص 272.

في المعركة: العقل والعلم والعدل"⁽¹⁾ وذلك لتحقيق شروط المعرفة التي تضمن للشعب التمسك بالدين الإسلامي والمحافظة على حدوده من الاعتداء الأجنبي المنطوي تحت لواء نشر الحرية، والديمقراطية ولكن الحق الصليبي الدفين كان الداعي الأساسي للاستمرار في طمس معالم الإسلام.

2. **الأخلاق:** عدّها إبراهيمي لازماً أساسياً تبنى بها الأمم حضارتها فقال فيها: "وأما اللازم الثاني وهو الأخلاق فنحن أحوج ما نكون إليه في هذا الزمان الذي كثرت فيه المبادئ العاملة على هدم الأخلاق الخيرية، وكثرت فيه الأذواق المتطرفة التي تستمرئ الرذيلة على الفضيلة"⁽²⁾ وهو يقصد بالأخلاق هنا "الأخلاق الإسلامية المتوارثة، والتي نجد معظمها في القرآن الكريم في أوضح عبارة وأوضح بيان، ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم التي هي أنفس ما خلفوه لنا من التراث"⁽³⁾ الذي يعدّه إبراهيمي معينا يجب على الأجيال اللاحقة الاغتراف منه.

3. **الحفاظ على اللغة العربية:** إنّ اعتناء إبراهيمي باللغة العربية سببه جلالته وشرفها، فكان في كل مرة يشير إلى فضلها على العلم والمدنية، فكانت لغة الدين والأدب والحضارة التي تمثل "ترجمانا صادقاً لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم، وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات، وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز نظيرها في لغات البشر الاتساع في التعبير عن الوجدانيات، والوجدان أساس الحضارات والعلوم كلها"⁽⁴⁾.

4. **حب الوطن:** عاد إبراهيمي إلى الجزائر سنة 1920 ليبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة العطاء، التي كان شعارها إحياء الدين والعربية في شباب الجزائر، وقمع الضلال والابتداع في شعبها"⁽⁵⁾ ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى السياق التاريخي الذي تزامن مع عودة إبراهيمي إلى الجزائر،

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص74.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص50.

(3) المرجع نفسه ج1، ص53.

(4) المرجع نفسه ج1، ص374.

(5) النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2009، ص27.

التي كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الذي اتخذ من القضاء على الدين واللغة ومحاربة العلم السبيل الأنجع للسيطرة على هذا الشعب الأعزل الوحيد الذي شرده الاستعمار، فكانت سنة 1931 حافلة بالنسبة للإبراهيمي ونخبته حيث أعلنوا عن تشكيل جبهة مقاومة حرة، أخذت من العلم والمعرفة شعارا لها، وتجسد هذا المشروع بالميلاد الفعلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان شعارها "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا".

إن ما يجب الإحاطة به هنا هو أن أهمية هذه الجمعية العلمية تتمثل في كونها ذات بعد إصلاحي، بمعنى أنها تسعى إلى "إصلاح العقول التي أفسدها الضلال في الدين، وفي تصفية النفوس التي كدرتها الخرافات، وإعدادها لفهم حقائق الدين والدنيا، وغرس القابليات الصحيحة فيها للخير، ودك الحصون التي كانت مانعة لنا من الاتصال بالجيل الناشئ، حتى نستطيع تعليمه الحق، وتربيته على الحق"⁽¹⁾.

إن الإبراهيمي قد انطلق في فكره الإصلاحي من أرضية صلبة تمثلت في نشأته السوية، المتشبعة بالوطنية والمشعة بالفكر الإصلاحي الذي أصبح الحجر الأساس الذي تبنى عليه أعماله.

3. أعماله:

فبعد هذه الجرة القلمية في مبادئه دعونا ننقل إلى أعماله التي سنقف فيها على مواقفه المختلفة باختلاف توجهاته الفكرية أبدا فيا أولا باستقراء أفكار الرجل الإصلاحية.

الإبراهيمي مصلحا: لقد كان منهج الإبراهيمي في الإصلاح أن يبدأ بتصحيح العقيدة وتربية المجتمع على التمسك بأصول الإسلام من كتاب وسنة، وتزويده بالوعي والعلم والفطنة، فأنفق في ذلك جهودا كبيرة وأوقاتا طويلة، مدرسا ومحاضرا وخطيبا وكاتبا، فخلف إنتاجا أدبيا إصلاحيا حيا وراقيا، يضئ السبيل للمصلحين مما سطره من فلسفة للإصلاح الديني، ويقطع الطريق على الطريقين وأهل الضلال في الدين بما كشف من بدع المضلين وعرى من حقيقة أهل طرق

(1) إثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص427.

المبتدعين، فأفحمهم حجة، وأذاقهم مرارة الهزيمة الفضيحة، وأنقذ الأمة من كثير من شرورهم، إذ أعاد للإسلام صورته المشرقة، وأوضح للناس حقيقته الناصعة الناضرة".⁽¹⁾

أما الوجه الآخر للعمل الإصلاحى فهو المجتمع بجميع شرائحه، ركّز فيه الإبراهيمي على المشاكل الاجتماعية والتي أطلق عليها أمراضا اجتماعية فقد كانت غايته هنا "تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح وفكر وذهن، وتقوية المقومات الاجتماعية من دين ولغة وفضائل وأخلاق وتلك هي الأسس الثابتة التي بنيت عليها الوطنيات في الأمم، هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر أو جاهل".⁽²⁾

أما في السياسة فقد كان الإبراهيمي إن صح التعبير كمقصد الرقيب الناقد للوضع السياسي الجزائري، والعربي، نظرا لما آلت إليه حال الشعوب العربية، فكانت مواقفه السياسية دقيقة اتجاه موضوعين أساسيين ألا وهما: الاستعمار بأبعاده التدميرية والصراع الداخلي بين الأحزاب السياسية الجزائرية، فارتبطت السياسة عنده بالدين الإسلامي حين أخذت منه صحتها وشرفها، فقال مصرحا: "نحن سياسيون منذ خلقنا، لأننا مسلمون منذ نشأنا، وما الإسلام الصحيح بجميع مظاهره إلا السياسة في أشرف مظاهرها، وما المسلم الصحيح إلا المرشح الإلهي لتسيير دفتها أو لترجيح كفتها، فإذا نام النائمون منا حتى سلبت منهم القيادة، ثم نزعنا منهم السيادة، فنحن - إن شاء الله - كفارة الذنب، وحبل الطنب، نحن سياسيون طبعاً وجبلة، ونحن الذين أيقظنا الشعور بهذا الحق الإلهي المسلوب، ... نحن سياسيون لأن ديننا يعد السياسة جزءاً من العقيدة، ولأن زماننا يعتبر السياسة هي الحياة، ولأنها آية البطولة... ولأن السياسة نوع من الجهاد ونحن مجاهدون بالطبيعة، فنحن سياسيون بالطبيعة..."⁽³⁾

ولقد أدرك الإبراهيمي أهمية المسؤولية التي تقع على عاتقه نظرا لخطورة المرحلة والظروف التي يمر بها العالم العربي، التي لا تختلف عن غيرها عند أكثر الشعوب التي تعاني وطأة الاستعمار

(1) النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، ص 76.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 312.

(3) المرجع نفسه، ج 4، ص 277.

والتخلف في شتى ميادين الحياة، فالتفت أولاً إلى محاربة الاستعمار، والذي حسب الإبراهيمي يبيّن قوته على المقومات الحيوية للأمم التي يلتهمها، فيبتليها بالضعف والوهن، وأسباب الموت البطيء".⁽¹⁾

وكان حسب الإبراهيمي الحل يكمن في نشر العلم والوعي ومحاربة الجهل والبدع، لأن ما تحتاجه الأمة هو قيادة فكرية تستمد شرعيتها من الدين و الموروث الفكري، وأن قيام الدولة الإسلامية لا يتأتى إلا بـ:" أن تستوحي سلطتها من الدين، أي الاستعانة بالشرع الإسلامي، وأما الشرط الثاني أن السلطة العليا في الأمة يستحسن أن يتولاها مستبد عادل مستقيم في أخلاقه حتى ولو لم يكن يستند في حكمه إلى أي قانون كان إسلامياً أو مدنياً".⁽²⁾

الإبراهيمي أديباً: "يتميز الإبراهيمي بأنه الأديب الرسالي الموعظ في الالتزام بقضايا أمته، لعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعله لا يهتم بقضايا الأدب والنقد، إذ لم نجد في آثاره من الكتابات الأدبية إلا خمسا، يسجل فيه آراءه وملاحظاته حول شاعرين إسلاميين معاصرين له، حبيبين إلى لبه وهما شاعر الشمال الإفريقي محمد العيد آل خليفة كما يلقبه هو، والشاعر السوري الوزير عمر بهاء الدين الأميري".⁽³⁾

أما حين حديثه عن تربية الملكة الأدبية التي يعتبرها عاملاً أساسياً في نجاح الأديب قال:"إنما يربي الملكات الأدبية الصحيحة ويقومها الإدمان، إدمان القراءة المتأنية المتدبرة لكتب الأدب الحرة الأصيلة والاستكثار من حفظ الشعر واللغات والأمثال، ومعرفة مواردها ومضاربها والتنبه لمواقع استعمالها من كلام البلغاء، من شعراء وخطباء وكتاب.

ثم ترويض القرائح والألسنة والأقلام على المحاذاة؛ ذلك أدنى أن تستحكم الملكة، وتنقاد القريجة فتجري الأقلام على سداد، ويمدها الفكر من تلك المعاني بأمداد، وتوضح الكلمات في

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ج5، ص 261.

⁽²⁾ منهجية في بحث الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، عبد الله شريط، حوليات جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، العدد 1، 1987، ص 18.

⁽³⁾ النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، ص 84.

الجميل، في موضع اللآلئ من العقد، وما جاء حسن العقد منظوما، إلا من حسنه منشورا، ثم تكون الحكم والأمثال والنكت كفواصل الجمان في العقود الثمان".⁽¹⁾

توفي الإبراهيمي عام 1965م بعد مسيرة إصلاحية طويلة، أشرفها التاريخ بحروف مضيئة، نختم بقوله: "إن الأعمال لا تقيد بالأيام، ولا تقدر بالسنوات، ولا تشوش بالحساب الآلي، ولا تعطل بالأوضاع العرفية، إنما هي أطوار يتم تمامها في زمن طويل أو قصير.... وإنما توزن بتمام الأعمال بكمالها، واستجماع هياكلها".⁽²⁾

2- التعريف بمقامات البشير الإبراهيمي :

كتب البشير الإبراهيمي مقاماته لغرض إصلاحي، حيث أراد بها استنهاض العزائم ونشر الوعي القومي الغائب لدى الشعوب العربية جراء سياسة الإستعمار، فكانت مقاماته شكلا تتسم بشكل المقامة الخارجي أما مضمونها فكان حديث العهد بالوضع الراهن آنذاك فكان "يحارب عوامل الفساد والجهل التي يذرهما الاستعمار المادي المعتمد على الحديد والنار والمتمثل في الاستعمار الفرنسي، والاستعمار الروحي المعتمد على التدجيل والمتاجرة باسم الدين والمتمثل في مشائخ الطرق ذوي النفوذ الكبير في أوساط الشعب الجزائري، وبدأت سعيها بحملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في كل مكان".⁽³⁾

فكانت هذه المقامات رسالات مشفرة للحكام العرب، وكذا الشعوب العربية إلى ضرورة الحفاظ على الموروث أو الهوية العربية ضد المغريات الغربية، وكان مضمونها رأيا صريحا أراد به الشيخ الإبراهيمي التعبير عما يختلج نفسه من غصات وآهات نظرا لما آل إليه حال العرب وحكامهم، فكان منه أن تناول قضايا عصره بأسلوب ساخر متهمهم غرضه الإصلاح، بأبعاده المختلفة ما كان منه اجتماعيا أو دينيا أو سياسيا.

(1) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 580-581.

(2) المرجع السابق، ج2، ص427.

(3) النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، ص 29-30.

لقد عدَّ الدكتور عبد الملك مرتاض أحاديث سجع الكهان مقامات لأسباب مختلفة ذكرها في كتابه "فن المقامات عند العرب" بقوله: "نحن اعتبرنا سجع الكهان للإبراهيمي داخل في إطار فن المقامات لأسباب أهمها:

- 1- أنها تعول في أسلوبها على السجع وتكاد تلتزمه التزاما تاما.
- 2- أن مثل أحاديث سجع الكهان تتلى في جلسة واحدة فهي أشبه بالمقامات عامة من حيث مقدار أحجامها.
- 3- إن اللغة التي كتبت بها هذه الأحاديث من الغرابة أحيانا بحيث لا يكاد يميز القارئ بينها وبين لغة الحريري في مقاماته، مع أن أسلوب الإبراهيمي في غيرها كان أساس وأحلى وأميل إلى الترسل والطبع، ونريد بالترسل هنا عدم التقيد بالسجع تقيدا تاما، وإنما ترك النفس على سجيتها في الكتابة.
- 4- إن مثل أحاديث سجع الكهان تتلى في جلسة واحدة، فهي أشبه بالمقامات عامة من حيث مقدار أحجامها.
- 5- إن الإبراهيمي عزَّ أحاديثه إلى "كاهن الحي" على طريقة كتاب المقامات الذين كانوا يعززون أحاديثهم أو مقاماتهم إلى أدباء فصحاء قادرين على الإتيان بسحر القول، وما نحسب أن كاهن الإبراهيمي كان يقل مستوى من حيث القدرة على أداء الأفكار بأسلوب أدبي عال، وبألفاظ جزلة قوية عن أسكندري البديع أو سروجي الحريري.
- 6- إن عدد هذه الأحاديث المسجوعة يجب أن يقارب عدد المقامات قلة أو كثرة، وقد نشر الإبراهيمي من هذه الأحاديث سبعة فقط، فسجع الكهان من هذه الناحية " كتاب مخطوط لم ينشر إلا جزء منه" (1) كتاب من كتب المقامات المعروفة، كتب في مجلد مستقل، والتزم فيه صاحبه بعناصر كثيرة من الناحية الشكلية. أما الناحية المضمونية فقد وجدنا الكتاب المعاصرين الذين

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 571.

نزعوا نزعة مقامية على نحو ما في نتاجهم الأدبي يعزفون عن فكرة الكدية ومعالجة المواضيع اللغوية الخالصة.

7- لم يكن الإبراهيمي يتدأ أحاديثه هذه بما كان يتدأ به أصحاب المقامة مقاماتهم من أمثال عبارات "حكى" أو "روى" أو نحوهما، وإنما يعرض أفكاره ويصورها بدون أن يتخذ راوية، يروى حديثه أو يقصه وكان يجتزئ عند آخر كل حديث تحت عنوان "كاهن الحى" (1)

إن الفرق بين مقامات البديع ومقامات البشير إنما يكمن في مضمون كل منهما، وهنا نستطيع الإقرار بأن المحتوى كان رهين ظروف أو أوضاع اجتماعية أو سياسية، فمقامات البديع جعلت من الكدية غرضها الأساسي دون أن تنفي عنها غرض الإصلاح فالبديع لم يكن يغفل الناحية الثقافية في مقاماته فإلى جانب الأطراف والخلق كان يرمي إلى إشاعة جو ثقافي، إذ كانت المقامة تلقى في نهايات جلساته كأنها ملحمة من ملح الوداع²، أما مقامات البشير الإبراهيمي فتمتاز بكونها اصلاحيّة بدرجة كبيرة— فالرجل كان ذو بصيرة وعلى دراية كبيرة بأمور وطنه وأمتة ، فكان الإبراهيمي يريد من مقاماته أن تكون نقدا لاذعا ورسالة إلى حكام الشعوب العربية فقال في ذلك: "إن هذه المقامات هي نقد لاذع للحكومات العربية، والشعوب العربية وملوكهم، على مواقفهم المهينة، المترددة في فلسطين، وكنت كتبت كثيرا في التنديد بهم، فلم يؤثر ذلك في هذه الصخور الجامدة، فاستخدمت هذا الأسلوب ونزعت فيه مترع القدماء في السجع، وعزوته إلى كاهن الحى". (3)

(1) فن المقامات في الأدب العربي، عبد الملك مرتاض، ص 271، 272.

(2) بديع الزمان الهمذاني، مصطفى الشكعة، ص 344.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص 571.

الفصل الأول:
المعجم الإفرادي
وأثره في تحقيق الدلالة.

- **تمهيد**

1- **دراسة أبنية المصادر .**

2- **صيغ أبنية المشتقات**

3- **الإفراد وفروعه**

4- **دلالة صيغ الأفعال .**

المعجم اللغوي لمقامات محمد البشير الإبراهيمي

يعد المعجم اللغوي مشروعاً استثمارياً، يربط بين المعجمي باعتباره المحلل للمعطيات النصية وفق ما يحتاجه المستعمل باعتباره المتلقي، وفي هذه الحالة يكون هذا المعجم اللغوي جسراً ممتداً بين المعجمي والمستعمل، وما ينبغي الإشارة إليه هنا أنه مشروع تطبيقي تكون فيه المدونة المجال الوحيد والموثوق لإجراء الدراسة والتحليل باعتبار "المدونة شرطاً لازماً لوضع المعاجم بل الأساس الذي تبنى عليه"⁽¹⁾

ذلك لأنها "مجهزة بالإشارات ومتوفرة على الرموز التحليلية ومتضمنة برامج عيارية قابلة للتطبيق والمعالجة"⁽²⁾ مما يؤهلها لتكون "وثائق نصية يعتمد عليها واضع المعجم اللغوي هي وحدها في تسعين بالمائة من محتواه وتسمى في اصطلاحهم بالـ Corpus وتقابلها لفظة المدونة العربية الحالية، فلا يوجد معجم لغوي إلا وله مدونة استقى منها هذا لمجموع النصي الوثائقي الواسع"⁽³⁾

ولما كانت المفردات قوام المعجم إذ يدور حول "الكلمة إيضاحاً وشرحاً ليحلوا منها ما نسميه المعنى المعجمي"⁽⁴⁾ وبهذا يتحقق للمفردة وجودين في المعجم لا ثالث لهما، فالوجود الأول "إذا كانت المفردة فرداً لغوياً، أي وحدة معجمية ذات موقع في معجم اللغة العام وحيز مداخل المعجم المدون"⁽⁵⁾. واتجه البحث أولاً إلى دراسة المعجم الإفرادي في مقامات البشير الإبراهيمي وأثره في تحقيق الدلالة وذلك بدءاً بالدلالة الصرفية

1- الدلالة الصرفية:

الصرف أو التصريف ميزان اللغة العربية وقوامها، أفردته العلماء بكثير من التعريفات والمؤلفات، وكانت كلها تصب في قالب واحد ألا وهو الصرف بمعنى "التغيير والتحويل من وجه لوجه أو من حال لحال"⁽⁶⁾

(1) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن حاج صالح، ج2، ص 164

(2) الحاسوب وصناعة المعجم، عبد الغني أبو العزم، مقال من الأنترنت، ص 10.

(3) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 164.

(4) مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الأزرقية، الاسكندرية، ط2، 2000 م، 1421 هـ، ص

201.

(5) مقدمة لنظرية المعجم، ص 57

(6) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد العراق، ط 1، 1965م-1385هـ، ص 23.

وتتمثل أهميته في "معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء من نفسه قبل أن يتركب ينبغي ان تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب" (1) يعتمد التحليل الصرفي على الابنية الصرفية والتي هي "أبنية دلالية يتم بواسطتها تصريف الكلمات لضروب من المعاني المختلفة" (2)

انطلاقاً من هذا ارتأيت أن أتناول في فصلي هذا تحديداً مفصلاً "لبنى الكلمات وأنواعها وصفاتها وما يطرأ عليها من تغيرات ذاتية" (3)

ولما كانت الكلمة جوهر هذا التحليل اللغوي، كانت الخطوة الأولى تقسيم الكلمات إلى أسماء وأفعال، ثم الإشارة إلى المورفيمات وتطبيقاتها والدلالة التي تؤديها باعتبارها أصغر وحدات صرفية تؤدي معنى معيناً في الكلمة، وقد يكون هذا "المورفيم إما معجمياً يحمل معنى معجمياً للدلالة على العدد والنوع والزمن، والنوع الثاني هي مورفيمات نحوية تنقسم إلى قسمين وهما السوابق واللاحق" (4)

بدأت الدراسة بالأسماء إذ "كانت رتبة الاسم في النفس من حصة القوة والضعف أن يكون قبل الفعل" (5)

(1) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الاشبيلي، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون . ط 1، 1996م، ص 33

(2) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نمر تقديم: علي الحمد، دار الامل للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2007م-1427هـ، ص 72.

(3) التحليل النحوي أصوله وأدلتها، فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع لونجمان، ط 1، 2002م، ص 120 .

(4) 100fichier Pour Comprendre La Linguistique , Gill Siofi , Danvan ReamDonck –Breal Rosny- 1999,P 43

(5) الخصائص لابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية ج 2، ص 30.

دلالة أبنية المصادر:

أورد سيبويه في كتابه "الكتاب" تقسيما منطقيا لأنواع الكلم في اللغة العربية قائلا: "فالكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" (1) فالاسم إذا الأول في ترتيب الكلم عند سيبويه مما يجعله أحق بالدراسة والاستقراء، ولما كان المصدر "كل اسم دل على حدث ، وزمان مجهول، وهو وفعله من لفظ واحد" (2)

"والمصدر ثلاثة أنواع :

فالأول: المصدر القياسي، وهو الذي نستطيع أن نقيس عليه مصادر الافعال التي وردت عند العرب.

والثاني: المصدر السماعي، وهو الذي يسمع في الفعل خارجا عن الوزن القياسي الذي يجب أن يكون عليه، وربما يكون للفعل مصدران أحدهما قياسي والآخر سماعي.

والثالث: المصدر الصناعي، وهو المصوغ بإضافة "ياء" بالنسبة إلى اسم، مردفة "بناء" التأنيث للدلالة على صفة فيه، ويكون ذلك في الاسماء الجامدة كالحجرية والإنسانية والحيوانية والكمية والكيفية" (3).

إن متتبع مقامات البشير الإبراهيمي يدرك أن الرجل بفعل حنكته اللغوية، اعتمد الكثير من أبنية المصادر في مقاماته منها ما هو للدلالة على الوصف ومنها ما جيء به لدلالات أخرى، وتمثل الفقرة التي بين أيدينا فسيفساء اختلفت فيها صيغ المصادر وتباينت، حيث يقول: "وعزاء فيك لأمة أردت رشادها، وأصلحت فسادها، ونفقت كسادها، وقومت منآدها، وملكت بالاستحقاق قيادها، وأحسنتم هيتها للخير وإعدادها، وحملتها على المنهج الواضح، والعلم اللائح، حتى أبلغت سدادها، وبنيت عقائدها في الدين والحياة على صخرة الحق، ومثلك من بني العقائد وشادها، أعليت اسمها بالعلم والتعليم، وصيرت ذكرها محل تكريم وتعظيم، وأشربتها معاني الخير والرحمة والحب والصدق والإحسان والفضيلة فكنت لها نعم الراحم وكنت بها البر الرحيم" (4)

(1) الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3-1988م -1408هـ، ج 1، ص 12.

(2) اللمع في العربية لابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988م-1419هـ، ص 44.

(3) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديشي، ص 208-209.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص 58.

الفعل الماضي	الفعل المضارع	المصدر	الصيغة الصرفية
عَزَى	يُعْزِي	عَزَاءٌ	فَعَالٌ
رَشَدَ	يُرْشِدُ	رَشَادٌ	فَعَالٌ
فَسَدَ	يَفْسُدُ	فَسَادٌ	فَعَالٌ
كَسَدَ	يَكْسُدُ	كَسَادٌ	فَعَالٌ
اسْتَحَقَّ	يَسْتَحِقُّ	اسْتِحْقَاقٌ	اسْتِفْعَالٌ
أَعَدَّ	يُعِدُّ	إِعْدَادٌ	إِفْعَالٌ
سَدَدَ	يُسَدِّدُ	سَدَادٌ	فَعَالٌ
عَلِمَ	يَعْلَمُ	عِلْمٌ	فِعْلٌ
عَلَّمَ	يُعَلِّمُ	تَعْلِيمٌ	تَفْعِيلٌ
رَحِمَ	يَرْحَمُ	رَحْمَةٌ	فَعَلَةٌ
كَرَّمَ	يُكْرِمُ	تَكْرِيمٌ	تَفْعِيلٌ
أَحَبَّ	يُحِبُّ	مَحَبَّةٌ	فَعَلَةٌ
صَدَقَ	يَصْدُقُ	صِدْقٌ	فِعْلٌ
أَحْسَنَ	يُحْسِنُ	إِحْسَانٌ	إِفْعَالٌ

يظهر من خلال هذا الجدول التحليلي أن الإبراهيمي لجأ إلى استخدام الكثير من أبنية المصادر حين وصفه لماثر رفيق دربه الشيخ ابن باديس رحمه الله عليه، استهل الفقرة بالحديث عن مناقبه وطموحاته التي كان يسعى إلى تحقيقها، معتمداً على مصادر على وزن فَعَالٌ منها رَشَادٌ فَسَادٌ وَكَسَادٌ، ثم أشار الإبراهيمي إلى أن ابن باديس أخذ على عاتقه مسؤولية نشر رسالة الخير والعلم في هذا البلد المستعمر، فتوالي مصادر الخير، الرحمة والمحبة والصدق تدل على أن ابن باديس يعد مرجعية دينية وعلمية فهو أحق بهذه الصفات "زد على ذلك ما في الوصف بالمصدر من مبالغة في حصول الصفة في الموصوف" (1)، فالإبراهيمي لجأ إلى وصف رفيق دربه معتمداً على المصادر إذ أنها الأقوى دلالة ووصفاً لما في "المصدر من حركة ممتدة على الأزمنة جميعها" (2).

(1) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نمر، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1427هـ، 2007م، ص122.

(2) المصدر نفسه، ص 96

تشكل المصادر الجزء الأكثر استخداماً في مقامات الإبراهيمي ففي كل مرة يلجأ إلى الاعتماد عليها في الوصف على حال العرب وواقعهم فتراه يقول في اليمن " أما ظفار، فقد حالف عهدها الإخفار، وخالف ظلامها الإسفار، وأما حضرموت فقد ساورها الموت، وجاورها الخسران والفوت، وحاورها النجي فما سمع لها صوت "(1).

تتوالى الجمل الفعلية التي تحوي مصادر دالة على انعدام مظاهر الحياة في اليمن، وتعد دلالة الموت الأكثر دلالة على حالته النفسية إذ أنه يشعر بالقلق والضيق لما آل إليه حال اليمن "فالموت أمر وجودي يضاه الحياة "(2)، أي أن في الموت ينعدم الإحساس ويعم الحزن والأسى الإرجاء فالمصادر في هذه الفقرة جاءت معظمها على وزن إفعال منها إخْفَارٌ وإِسْفَارٌ للدلالة على الاندثار، أما الموت والفوت والصوت فهي على وزن فَعْلٌ، والخسران على وزن فُعْلَانٌ وهي أكثر دلالة من المصدر خَسَارَةٌ إذ أن الخسران هنا هو نفسي بالدرجة الأولى إذ فقد اليمني الأمان والراحة وأصبحت اليمن مكاناً مقفراً لا تسمع له صوت دلالة على الموت والاضمحلال.

ومن المقامات التي تحوي الكثير من المصادر هذه الفقرة من مقامة " العزيمة " فيخاطب الصحفي قائلًا: "وإن كنت صحافياً قرأنا عليك مجلة الصَّبَاحِ وجريدة النَّجَاحِ، وأضحكناك بجريدة جَحْجُوحٍ وصاحبها الجَحْجَاحُ، وأتخفناك بصحيفة الرُّوحِ وما يديرها من أرواح، وتلوننا عليك بالسَّعَادَةِ والودَادِ، والبَلَاغِ والرَّشَادِ، وشددنا عليك الوثَاقَ بجريدة الوِفَاقِ، المنفقة للنِّفاقِ، الملفقة للكذبِ والإِخْتِلَافِ وبصاحبها الملاق، المخلوق بلا خَلَقٍ "(3).

ومن الملاحظ في هذه الفقرة اختلاف الصيغ الصرفية باختلاف دلالاتها فالمعنى المستوحى من هذه المقامة طابع السخرية والتهكم حين جمع الإبراهيمي جرائد الجزائر في فقرة مقامية فكانت كالتالي: النجاح وجحجوح والروح والسعادة والوداد والبلاغ والرشاد والوفاق والنفاق والكذب والاختلاق فكلها مصادر اختلفت صيغها الصرفية للدلالة على معانيها:

(1) المصدر نفسه، ص 96

(2) عاثر الامام البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 528

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 106.

صَبَّاحٌ ← فَعَالٌ	سَعَادَةٌ ← فَعَالَةٌ
نَجَّاحٌ ← فَعَالٌ	وَدَادٌ ← فَعَالٌ
بَلَّغٌ ← فَعَالٌ	وَثَاقٌ ← فَعَالٌ
رَشَادٌ ← فَعَالٌ	وَفَاقٌ ← فَعَالٌ
إِخْتِلَافٌ ← إِفْتِعَالٌ	نِفَاقٌ ← فَعَالٌ

يبدو من خلال هذا التحليل أن الصيغ الصرفية متباينة، فنجد اعتماد صيغة **فَعَالٌ** للدلالة على مسميات أطلقها الصحافيون على جرائمهم كدلالة على وظائفها وأهدافها فالبلاغ والرشاد والنجاح إنما لتحقيق غاياتها من بلاغ ورشاد، ثم الوفاق والوثاق على وزن **فَعَالٌ** للدلالة على مسعى ترمي إليه غايات هذه الجرائد ألا وهو لم الشمل والوفاق.

وردت الصيغة **مُفَاعَلَةٌ** في مقامات الابراهيمي مرة واحدة وهي المصدر منافرة حين تحذيره للعربي من مغبة منافرة الغربي فقال محذراً "ويلك إن المنافرة لا تكون إلا في المشكوك" (1).
إذ أن نتائج هذه المنافرة ستكون لصالح الغربي بطبيعة الحال. وجاء المصدر منافرة على وزن مفاعلة للدلالة على المنافسة .

أما المصدر الدال على المرة فقد ورد مرة واحدة في مقامات الابراهيمي وذلك عندما تحدّث عن غضبة العربي هي واحدة ما لم تعقبها وثبة فيقول غاضباً "إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز" (2)، المصدران على وزن **فَعْلَةٌ**، والدلالة المستوحاة من اعتماد الابراهيمي المصدر الدال على المرة هو احساسه الدائم بعجز العرب ثم أمّله في استفاقتهم أي أن تعقب هذه الغضبة وثبة واحدة تخلص العرب من واقعهم المرير.

اعتمد الإبراهيمي المصدر الصناعي مرة واحدة في مقاماته، فقد ورد في مقامته العزيمة، إذ استعمله في جمل القسم للدلالة على أسماء المذاهب والأماكن التي كان يقسم بها على هذا العفريت الذي يتسبب في كل مرة بتعطيل رسائل الابراهيمي وعدم ايصالها فيخطبه قائلاً: "إن كنتم تألها فأسألك بالمذاهب الساسانية، والنحل الخرسانية، والفرق الكسانية، والخمور البسانية، التي اغتالت

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 523.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 524

الانسانية"⁽¹⁾. يتميز المصدر الصناعي بكونه ينتهي بياء مردفة بتاء التأنيث فجاءت الساسانية لتدل على المذاهب، والنحل الخرسانية ن والفرق الكسائية، والخمور البسانية، باجتماعها وتظافرها اغتالت الانسانية.

دلالة أبنية المشتقات:

إنّ الحديث عن دلالة أبنية المشتقات يستدعي منا التعريف بالاشتقاق أولاً، والذي عرفه الجرجاني بقوله: "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ومغايرتها في الصيغة"⁽²⁾.
"والاشتقاق بهذه الصورة هو إحدى الوسائل الرائعة، التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ويزداد ثراؤها في المفردات"⁽³⁾.
وقد قسمه العلماء إلى قسمين:

- 1- الاشتقاق الأكبر: أفرد ابن جني باب في كتابه الخصائص وعرفه بقوله: "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الاصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً"⁽⁴⁾
- 2- الاشتقاق الأصغر أو الصغير: يعرف على أنه "أخذ كلمة من كلمة بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في عدد الاحرف الاصلية وترتيبها واختلاف في الحركات أو عدد الحروف الزائدة، نحو "ذهب، يذهب، ذاهب، مذهب به، مذهب " إلخ"⁽⁵⁾.
ونظراً لاستعمال الابراهيمي لهذا الاشتقاق أي الأصغر بدرجة كبيرة فهو الاحق بالدراسة والتمحيص فمنه اسم الفاعل، وصيغ المبالغة والصفة المشبهة وغيرها.

1- اسم الفاعل:

"هو اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام بالفعل"⁽⁶⁾ وهو كما يقول النحاة: "يدل على الحدث والحدوث وفاعله"⁽⁷⁾ ويشق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على وزن فاعل، أما

(1) المصدر نفسه، ج 2، ص 106.

(2) التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان، ط 1985م-1406هـ، ص 27.

(3) فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط 6، 1999 م، -1420هـ، ص 290.

(4) الخصائص، لابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج 2، ص 134.

(5) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص 248.

(6) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 75.

(7) معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، -2007م-1428هـ، ص 41.

الفعل المزيد فيشتق اسم الفاعل منه على وزن المضارع المبني للمعلوم بعد ابدال حروف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل آخره وتأني هاته الصيغ في بعض المواقع متسلسلة متتالية كما في قوله "وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضع ثقتك الغالية فيهم، من اخوانك العلماء العاملين الصالحين والمصلحين" (1)، يتصف هؤلاء العلماء بالعمل الصالح كما أنهم أناس مصلحون وهاته الصفات إنما متأصلة في رفاق الإبراهيمي ثابتة في ذواتهم فالعلم والعمل الصالح وكذا اتخاذهم لهذا العلم منبرا لإصلاح المجتمع يدل بالدرجة الأولى على صلح ذواتهم.

ويقول الابراهيمى في موضوع آخر: "الكاهن لا يداوي ولا يداهن، كلامه رمز ليس فيه لمز، عاذغيره بالتصريح فعاد بالتجريح، ولاذ هو بالكهانة، فأمن المهانة. كان.... فكان الزاجر والرادع، للفاجر الخادع، وكان.... فكان نذير السارق والمارق، والختال والقاتل، والمحتال والمغتال والقاذف والحاذق والمبتهر والمبتتر" (2).

تأتي أسماء الفاعلين هنا بعد الناسخ كان على وزني: **فَاعِلٌ**، **مِفْعَالٌ**، فأما الصيغة الاولى جاء على وزنها **الكَاهِنُ**، **الزَّاجِرُ**، **الرَّادِعُ**، **الفَاجِرُ**، **الخَادِعُ**، **السَّارِقُ**، **المَارِقُ**، **الْخَاتِلُ** و**الْقَاتِلُ**، **القَاذِفُ** و**الْحَاذِقُ**. أما من غير الثلاثي فهي: **المُحْتَالُ** و**المُعْتَالُ** و**المُبْتَثِّرُ**.

يصف الابراهيمى في هاته المقامة الكاهن بالزاجر الرادع المتخذ من نفسه نذيرا لهؤلاء الفاجرين، فكل أسماء الفاعلين المتتالية بدءا من "الفاجر" كلها صفات ألحقها الابراهيمى بهؤلاء الاشخاص المشككين، ويضيف الإبراهيمى قائلا: "أيها العربي: الحق سافر، والعدو كافر، والقويظافر" (3) تأتي أسماء الفاعلين في هذه الجملة كلها على وزن **فَاعِلٌ**، فسمه الكفر أصبحت ملازمة لهذا العدو الغاشم، فجاءت هذه الأسماء مرتبة ترتيبا معنويا منطقيا فمن زوال الحق يأتي الكفر والاتصاف بالكفر حسب الابراهيمى أكسب هذا العدو قوة متجردة من الإنسانية سمحت له بالظفر بكل شيء.

تتبع مقامات الإبراهيمى بأسماء الفاعلين باختلاف صيغها فيقول في اليمن:

لا ناصر لا مؤتمن عد للحمى يابن اليمن

إلى غاية:

(1) إثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 58 .

(2) المرجع نفسه ج3، ص 519.

(3) المرجع نفسه ج3، ص 523 .

قرن البلا فيها شدن *** يا نائيا لا تبعـدن

يا وانيا لا تقعدن *** يا ساهيا لا ترقدن

يا حاملا لا تزهدن *** ولا تغب بل اشهدن (1)

تختلف الصيغ في هذه المقطوعة الشعرية باختلاف المعاني فتراه يقول في البيت الأول لا ناصر لا مؤتمن فنَاصِرٌ على وزن فاعِلٌ وهو يخاطب ابن اليمن داعيا اياه إلى العودة إلى الحمى، ثم يدعو جميع أطيايف هذا المجتمع إلى التوحد، فهذا الإنسان النَّائِي يدعوهُ ألا يبتعد أكثر لضمانقربه، أما الوَانِي فيدعوهُ إلى الوقوف والتحزم، أما السَّاهِي ألا ينام أو يرقد، أما الحَامِلُ وهو أصعب الشخصيات فيرجوا منه الابراهيمي ألا يغيب عن الشهادة لضمان وحدة اليمن.

يواصل الابراهيمي تحسره على اليمن قائلا: " دخلت الدار من جميع الأقطار، فهل من المقاول الصيد، حارس بالوصيد، إن الصائد قد صيد، وإن الشاعر قد أحلى، فلا بديع في البيت ولا بيت في القصيد " (2).

تحتوي هاته الفقرة ثلاث أسماء فاعلين وردت كلها على وزن فاعِلٌ منها: حَارِسٌ والصَّائِدُ والشَّاعِرُ أما المُقَاوِلُ فهي على وزن مُفَاعِلٌ.

أما في سجع الكهان رقم ستة فيستهلها الابراهيمي بفقرة هي غنية بالصيغ الصرفية الدالة على اسم الفاعل، متنوعة بحسب المعاني والسياق فيقول: " أقسم بالذيب الاطلس، والثعبان الأملس، إن المتجر بالأحرار لمفلس، وإن العاقل بين الاشرار لمبلس، وإن العربي لزنيم إذا بقي في المجلسأيها الهائمون في البيد، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشة العبيد " (3)

اختلفت أبنية اسم الفاعل في هذه المقامة من الثلاثي المجرد إلى المزيد فمُفْلِسٌ ومُبْلِسٌ على وزن مُفْعِلٌ، أما العاقل فهي على وزن فاعل ثم تراه في الشق الثاني من الفقرة يخاطب هؤلاء الذين وصفهم بالهائمين، النائمين، الراضين، كلها صفات أراد بها الابراهيمي التعريف بالعرب فمن منظوره هم أناس هائمون لا مأوى يجمعهم ، نائمون على الذل الذي أصبح يشكل واقعا معاشا ثم يعقب قائلا: " الراضون بعيشة العبيد " كإشارة منه إلى مدى يأسهم فأتت "الرَّاضُونَ" هنا كنتيجة

(1) المرجع السابق، ج3، ص 527

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 529

(3) المرجع السابق، ج 3، ص 532.

لنومهم الطويل ، فأصبحت هذه الصفات متجذرة فيهم على مرّ الزمن، يتصفون بها بعد إهمالهم وتحليلهم عن نخوتهم الأصلية ثم يواصل مخاطبا إياهم قائلاً: " أنسيتم يوم تنادوا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتداعوا مصطلحين" (1)

اعتمد الإبراهيمي هنا على صيغة واحدة جاءت بصيغة الجمع لأنه بصدد مخاطبة جمع من الناس أو العرب أجمعين فكانت الاسماء كالاتي:

الفعل الماضي الفعل المضارع اسم الفاعل

أَصْبَحَ	يُصْبِحُ	مُصْبِحًا
سَلَّحَ	يُسَلِّحُ	مُسَلِّحًا
إِصْطَلَحَ	يُصْطَلِحُ	مُصْطَلِحًا

يختتم الإبراهيمي مقاماته قائلاً: " ويح برقة البوارق من الدخيل الطارق، ومن الاصيل المارق، ومن اللص السارق" (2)

أتت صيغة اسم الفاعل هنا على وزن فاعِلٌ من الثلاثي المجرد فمن طَرَقَ، طَارِقٌ، ومن مَرَقَ مَارِقٌ، ومن سَرَقَ، سَارِقٌ، فإن دلت فإنما تدل على ذواتها أي أصحاب هذه الصفات فهذا الدخيل الطارق هو دخيل مارق لص، سارق أراد الإبراهيمي أن يبين هيئة هذا الدخيل، والدخيل عادة تدل على شخص غير مرغوب فيه، غير معروف الهوية ولا الفكر فوصفه الإبراهيمي بالمارق وكذا اللص السارق.

تدل هذه الصيغ عادة في مقامات الإبراهيمي على ذوات أراد التعريف بها فلجأ إلى اسم الفاعل لأنه الأنسب للوصف.

دلالة اسم المفعول:

"اسم المفعول اسم مشتق من الفعل المضارع المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه أثر الفعل حدوثا لا ثبوتا" (1)، أي أنّ " اسم المفعول يدل على ذات المفعول" (2). مثل مَكْتُوبٌ، مَأْسُورٌ وَمَنْصُورٌ على وزن مَفْعُولٌ.

(1) المرجع نفسه، ج3، ص 533

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 535 .

استخدم الإبراهيمي اسم المفعول في أكثر الأحيان للدلالة على الاستمرار وكذا الثبوت، فنراه يقول في ابن باديس: "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعا، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير مدويا في جنباتها مسموعا"⁽³⁾

لجأ الإبراهيمي لاستعمال اسم المفعول هنا للدلالة على الاثر البالغ الذي تركه على هاته الأماكن المقدسة كالمعاهد والمدارس والمساجد، استعمل الإبراهيمي الفعل الماضي الناقص كان للدلالة على الماضي، لأنه بصدد الحديث عن هاته المنشآت إبان عهد ابن باديس كما يظهر دلالة نفسية هنا، إذ يتمنى أن تظل كما عهدوها في زمانه، ومَعْمُورَة ومَعْمُورَة بالعلم، ثم أشار في الأخير إلى ذات المفعول حين قوله أن: "صوته الجهير كصوت الحق الشهير مدويا في جنباتها مَسْمُوعًا" أي أن صوته ملاً الأرجاء إذ أنه كان مسموعا.

يواصل الإبراهيمي وصفه لحال العرب خاصة اليمن فيقول متألما:

أخنى الزمن على اليمن *** أبدلها صابا بمن

جيش الشقا لها كمن *** مهزولة على السمن

مغصوبة بلا ثمن *** دستورها لا تفهم (4)

تحمل هذه الأبيات دلالة الحزن والبؤس لما حلّ باليمن بعد فراق أهلها، فأصبحت مهزولة لأنها اغتصبت بلا ثمن، فوقع عليها الهزل والاعتصاب، إذن اسم المفعول مَهْزُولَة وكذا مَعْصُوبَة كلاهما تعودان على اليمن، كما أن هذه الأبيات تحمل دلالة الحال إذ أن الإبراهيمي يصف حالها أي اليمن، فهو يعتقد أن السبب الرئيسي لشتات العرب عدم اتفاقهم، مما فتح الباب على مصراعيه للغرب فيقول في ذلك: "وإذا فرق من رفاق الجهاد، تعادي فرقة فرقة، وإذا انتاج ذلك كله وليد خرقه، وقابلة تجهد في الأهباط وتقول: ارقه - وإذا الغرب من ذلك الهيكل الملموم يزايل شرقه، وإذا التود مفروق، والقاعدة فروق، والحمى بالشعواء الصامتة مطروق، وصواع بني الاب بأيدي

(1) علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، سلسلة الدراسات العلمية (8) جامعة آل البيت، دار الأزمنة، عمان، ط 1998م-

1419هـ، ص 294.

(2) معاني أبنية العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، الأردن، ط 2، 2007م - 1428هـ، ص 52.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2، ص 55.

(4) المرجع السابق، ج 3، ص 527.

بني الأم مسروق، وإذا القيصرية - المحروبة في كل وطن - تبدو في هذا الوطن المحروب قرونها⁽¹⁾.
تحمل هذه الفقرة دلالة التحسر وكذا الغضب فكيف لرفاق الجهاد أن يتفرّقوا لأن ذلك لن يكون
في صالحهم، فهذا الهيكل الملموم كما يبدو وتده مفروق مما يدل على شتاتهم ، تعود أسماء
المفعولين هنا على العرب وهي:

لَمْ ← مَلْمُومٌ
فَرَّقَ ← مَفْرُوقٌ
طَرِقَ ← مَطْرُوقٌ
سُرِقَ ← مَسْرُوقٌ

دلالة الصفة المشبهة باسم الفاعل:

تعرف الصفة المشبهة باسم الفاعل على أنها "لفظ مصوَّغ من مصدر اللازم للدلالة على الثبوت"⁽²⁾
وتأتي في أكثر الأحيان على صيغة: أَفْعَلُ، فَعْلَانُ، فَعَلَ، فُعَالٌ، وفَعِيلٌ .

(1) المرجع نفسه، ج3، ص534.

(2) شذا العرف في فن الصرف، أحمد حملاوي، قدمه: محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، د ت ود ط، ص 124 .

ومن الملاحظ في مقامات البشير الابراهيمي ورود الصفة المشبهة باسم الفاعل دائما على وزن فَعِيلٌ، فيقول الابراهيمي في تأبين رفيق دربه الشيخ ابن باديس: "قولا لصاحب القبر عني: يا ساكن الضريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح."⁽¹⁾ فطليحٌ وقريحٌ وجريحٌ أصبحت صفات مصاحبة وثابتة في شخص الابراهيمي بعد فقدانه لصديقه ابن باديس.

أما في مجموعته المقامية سجع الكهان فتجده في المقامة الثالثة يتحدث عن العرب قائلا: "إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز"⁽²⁾ يصف الإبراهيمي غضبة العرب بأنها غضبة ذليل عاجز لا تأثير لها على من حوله، فالصفة المشبهة ذليل هي ثابتة في العرب بعد فقدانهم لكرامتهم ويواصل حديثه قائلا: "لن تفلحوا ولن تصلحوا إلا إذا رجع أمركم إلى الشعب، وأجمع الشعب على رأي واحد، واتفق الرأي على نظام واحد، وتمخض النظام بدستور واحد وملك واحد فإن قلتم: إن هذا عسير، فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير، شبر في الحياة وقبرا في الممات."⁽³⁾

يصرّح الإبراهيمي أن خلاص العرب في وحدة الشعب وإرجاع الأمر له، وإلا فقد حكموا على حياتهم بالعسر، وعبر الإبراهيمي عن ذلك بثلاث صفات مشبهة بالفاعل وهي عَسِيرٌ، أُسِيرٌ، وَحَسِيرٌ، أصبحت ثابتة في شخص العرب مما جعلها دائمة ومستقرة .

أما حين حديثه عن اليمن فقال الإبراهيمي: "سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، وما سعدوا ولا سعدت"⁽⁴⁾، لفظ السَّعيدة أطلق على اليمن قديما كصفة لها، أما الابراهيمي فيعتقد أن اليمن ليست سعيدة بل شقية بمن ولدت، ولكن الدلالة المستوحاة من الجملة، أمل الإبراهيمي في أن تثبت السعادة في اليمن وتصبح سعيدة على الدوام .

ولا شك أن الإبراهيمي يعود في كل مرة للحديث عن مشكلة العرب وهو عدم احتراسهم من هذا الغريب فيقول في ذلك: "ويح فزان، هل أتاها نبأ وزان؟ شال بها الميزان، فهي رهينة أحزان و ويح برق البوارق، من الدخيل الطارق، ومن الأصيل المارق، ومن اللص السارق"⁽⁴⁾ وصف

(1) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2، ص57

(2) المرجع نفسه، ج3، ص524.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص525.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص528 .

(4) المرجع السابق، ج3، ص535.

الإبراهيمي فزان بأنها رهينة الأحرار، فرهينة هنا جاءت للدلالة على حال فزان إذ أصبح الحزن مصاحبا لها ثابتا فيها وسبب ذلك هذا الغربي الذي وصفه الإبراهيمي بأنه دخيل والدخيل الغريب عن المكان، فأطلق عليه الاصيل المارق وكذا اللص السارق بصفات هي ثابتة في الغربي.

دلالة صيغ المبالغة

يؤتي بصيغ المبالغة "للدلالة على الكثرة والمبالغة في اتصاف الذات بالحدث"⁽¹⁾ وتأتي صيغها مختلفة للدلالة على معانيها واتصاف الذات بها على سبيل الدوام والكثرة .

استخدمها الإبراهيمي للدلالة على اتصاف الموصوف بها على وجه من الخصوص والمبالغة فخصّ بها ابن باديس حين قال فيه: "وخصنا القبر الذي تضمن الواعي السميع، والواحد الذي بذّ الجميع"⁽²⁾ حسب رأي الإبراهيمي فهذا القبر هو قبر محظوظ، إذ أنه حوى هذا الرجل الذي تتجسد فيه جميع معاني العلم والفصاحة والذكاء، فهو الواعي لوعيه بقضايا أمته العربية الإسلامية كما أنه السميع لكثرة سماعه لهموم ومشاكل أبناء أمته. وجاءت صيغ المبالغة في هذه الفقرة على وزن **فَاعِلٌ** و**فَعِيلٌ**، والدلالة المستوحاة هي مزيج من الحزن والأسى ثم دلالة المدح إذ أن الإبراهيمي فبالرغم من حزنه الواضح على فقدان رفيق دربه إلا أنه يعدد مناقبه ويضع القراء في الصورة.

ويواصل الإبراهيمي تأيينه قائلا: "يا ساكن الضريح، مت فمات اللسان القَوَّالُ والعَزَمَالِصَّوَالُ، والفكر الجَوَّالُ"⁽³⁾، ارتبط شخصه رحمه الله بالعلم وبلسانه الذي اتخذ منه منبرا لنشر والخير والحق والفضيلة، فكان ترجمان أفكاره الإصلاحية التنويرية، ثم عزمه الصوال والذي لا تثنيه الأوضاع المزرية التي كان يعيشها الشعب آنذاك، أما فكره فهو الميزة المميزة لشخصه إذ عدّ رمز العلم في الجزائر متشبع بالإرث العلمي والثقافي سواء كان إسلاميا أو أجنبيا .

كما وردت صيغة **فَعَّالٌ** في المقامة الثالثة من سجع الكهان وذلك عندما حثّ الإبراهيمي العرب على التشبث بالتراث وعدم إضاعته فصرح قائلا: "ولكنكم أضعتم التراث بتشاكس الوراث، وإذا كان الوارث غير همام ولا حارث، غارت العين الفوارة، وقحلت الأرض الغوارة"⁽⁴⁾.

(1) معاني أبنية الصرف في كتاب سيبويه، حديجة الحديثي، ص 269.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 57.

(3) المرجع نفسه، ص 58 .

(4) المرجع السابق، ج3، ص 525.

ثم وردت صيغة **مُفْعَلٌ** في مقامات الإبراهيمي مرة واحدة وذلك في هذه الفقرة "إن الزيت ادام، ازدحمت عليه الإقدام، فحرمه الجبان وحازه المقدام وكان حظكم منه حظ الطباخ الصائموا زهما في اليد ورائحة في الأنف"⁽¹⁾، كما تكرر ورود صيغة فعال في هذه الفقرة من خلال صيغة المبالغة طباخ، يعتقد الإبراهيمي جازما أن هذا الزيت هو سبب البلاء فحازها المقدام. أما الطباخ فكان جزاؤه رائحة كريهة في اليد والأنف.

دلالة اسم التفضيل:

يعرّف اسم التفضيل على انه "اسم على وزن "أَفْعَلُ" يستعمل للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة معينة وزاد أحدهما عن الآخر"⁽²⁾.

ورد اسم التفضيل في مقامات الإبراهيمي أربع مرات وذلك في مقامته "العزيمة" عندما سأل العفريت مستفسرا قال: "أيها العفريت النفريت، الذي هو انتن من الحلتيت، وأثقل من الكبريت، وأهدى إلى رسائلي من الدليل الخريت، وأمضى في تمزيقها من السيف الإصليت مالك؟"⁽³⁾، يلجأ الإبراهيمي في هذه الفقرة إلى مقارنة العفريت أولا بالحلتيت حيث وصفه بأنه أثنُنُ منها، أما في المرة الثانية فقد نعتته بالثقل أكثرُ من الكبريت كما انه يصل في كل مرة إلى رسائله ببساطة أي أنه أهدى إليها من أي دليل، وأخيرا السيف الإصليت إذ هو أمضى في تمزيقها من هذا السيف الحاد، والملاحظ في هذه الفقرة أن الإبراهيمي اعتمد اسم التفضيل للتعبير عن سخطه من هذا العفريت الذي يتسبب في كل مرة بإضاعة رسائل الإبراهيمي وعدم إيصالها إلى أصحابها. كما تحمل هذه الجمل دلالة التعجب.

(1) المرجع نفسه، ص 525.

(2) المدخل الصربي، علي بهاء الدين بوخودود، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 1977م-1408هـ، ص 97.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2 ص 104.

دلالة اسم المكان:

أوردت خديجة الحديثي تعريفا لاسمي المكان والزمان في كتابها أبنية الصرف في كتاب سيبويه فقالت: "اسما المكان والزمان اسمان مبدوءان بميم زائدة للدلالة على مكان الفعل أو زمانه، ولهما من الثلاثي المجرد بناءان هما: مَفْعَلٌ و مَفْعِلٌ" (1)؛ وقد وردت هذه الصيغ في معرض حديث الإبراهيمي عن العلامة ابن باديس والمنشآت العلمية التي شيدها، فحيا هذه المنشآت قائلا: "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه مغمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر ونوره الزاهر مغمورة وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعا، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير، مدويا في جنباتها مسموعا." (2)

أما عندما تكلم الإبراهيمي عن المدارس قال فيها: "ومدارس ما مدارس، مهدها للعلم والإصلاح مغارس، ونصبها في نحر المبطلين حصونا ومتارس وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومغارس" (3)، كما قال في موضع آخر "هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، وجهلتم مواضعها" (4). جاءت أسماء المكان في هذه المقامة بصيغة الجمع نظرا لكثرتها فكانت كالآتي: مدارس ومعاهد ومساجد، مشاهد، مَعَارِسٌ، مَتَارِسٌ ومَرَابِطٌ ومَحَارِسٌ، أما إذا ردت إلى المفرد منها فهي كالآتي:

اسم المكان "جمع"	اسم المكان "مفرد"	فعله الماضي	فعله المضارع
------------------	-------------------	-------------	--------------

(1) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 287.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2 ص 55.

(3) المرجع نفسه، ج 2، ص 55.

(4) المرجع نفسه، ج 3، ص 531.

يُشَاهِدُ	شَاهَدَ	مَشَّهَدٌ	مَشَاهِدٌ
يَسْجُدُ	سَجَدَ	مَسْجُدٌ	مَسَاجِدٌ
يُدْرِسُ	دَرَسَ	مَدْرَسَةٌ	مَدَارِسٌ
يَعْرِسُ	عَرَسَ	مَعْرَسٌ	مَعَارِسٌ
يَتَرَسُّ	تَرَسَ	مَتَرَسٌ	مَتَارِسٌ
يَرْبُطُ	رَبَطَ	مَرْبُطٌ	مَرَابِطٌ
يَحْرُسُ	حَرَسَ	مَحْرَسٌ	مَحَارِسٌ
يَضَعُ	وَضَعَ	مَوْضِعٌ	مَوَاضِعٌ
يَقَعُ	وَقَعَ	مَوْقِعٌ	مَوَاقِعٌ

جاءت معظم أسماء المكان في هذه المقامة على وزن " مفعول و مفعول " وذلك لأنها صحيحة اللام مفتوحة العين .

ورد لفظ اسم المكان مجلس في مقامات البشير الإبراهيمي مرتين وجاء اسم المكان على وزن مَفْعِلُ ← من جَلَسَ ← يَجْلِسُ ← مَجْلِسٌ .

يقصد بها الإبراهيمي مجلس الأمم المتحدة، المعتمد في حل الأزمات الدولية بطريقة سلمية فورد في المقامة الثانية من سجع الكهان حين قال:

"مجلس الأمن مخيف والراضي بحكمه ذو عقل سخيـف"(1).

ثم في المقامة السادسة: "وإن العربي لزنيم إذا بقي في المجلس"(2). والدلالة المستوحاة من استخدام الإبراهيمي لهاته الصيغة هو حديثه عن هذا المجلس الذي يتصف بأنه مخيف بالنسبة للعربي إذ أنه مضطر إلى تطبيق أحكامه والتي تكون في أغلب الأحيان مجحفة في حقه.

دلالة صيغ الأفراد والثنية:

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 523.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 532.

"يراد بالاسم المفرد: مالا يدل جزؤه على معناه، وذلك نحو " زيد" فإن أجزاؤه هوهي: الزاي والياء والدال - فإذا أفردت لا تدل على شيء مما يدل هو عليه." (1)

وقد وردت الأسماء المفردة في مقامات البشير الإبراهيمي في مواضع متعددة ومختلفة لإضفاء دلالات متباينة على النص المقامي إن صح التعبير، فكانت الدلالة الأولى دلالة جمالية فنية إذ أن الإبراهيمي بفعل ضلوعه في علوم اللغة والأدب، فتراه يقول في وصف الكاهنالعصري: "الكاهنلا يداري ولا يدهن ، كلامه رمز، ليس فيه لمز ، عاذ بالتصريح فعاد بالتجريح ، ولاذ هو بالكهانة فأمن المهانة ، كان....فكان الزاجر الرادع ، للفاجر الخادع ، وكان ... فكان نذير السارق والمارق والخاتل والقاتل، والمحتال والمغتال والقاذف والحاذق والمبتهر والمبتثر" (2).

تتوالى الأسماء المفردة في هذه الفقرة، فجاءت معظمها على وزن فاعل الدال على صيغة المفرد، أما الدلالة الثانية فهي وصفية تعبيرية إذ أن الإبراهيمي وهو يصف هذا الكاهن يبدو تعبيره متسما بالجمال الأسلوبى، أما الدلالة الثالثة فهي دلالة إيقاعية، إذ توقع هذه الصيغ في أذن السامع أو في نفس القارئ جرسا موسيقيا وهذه من صفات أسلوب المقامات.

أما المثني فلم يرد في مقامات الإبراهيمي إلا مرة واحدة في مقامته سجع الكهان رقم خمسة وذلك في وصف البلدة الطيبة قال: "أين الجنتان عن يمين وشمال؟ وأين البلدة الطيبة؟ إنها ليوم رمال؟" (3)، يتحدث الإبراهيمي هاهنا عن سبأ فيصفها ببلاد الجنتين وعلامة المثني هنا هي الألف والنون وهي مورفيم لاحق جاء متصلا بلفظ جنة.

(1) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، لبنان، ط 11، 1383هـ - 1963م

ص 11 .

(2) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 519 .

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 531 .

دلالة صيغ الجمع:

1- جمع المذكر السالم:

وردت صيغ الجمع المذكر السالم في مقامات البشير الابراهيمي في مواضع عدة، للدلالة على معاني مختلفة ومتنوعة وكانت الدلالة الكبرى دلالة ألفاظ جمع المذكر السالم على الشمولية والتعميم وذلك عند حديثه عن العرب فوصفهم قائلا: "أيها الهائمون في البيد ، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشة العبيد"(1).

وردت هذه الصيغ كصفات لمن يعقل، وصف بها الابراهيمي العرب فجمعت بالواو والنون وهي من اللواحق الدالة على جمع المذكر السالم ، فوصفهم بالهيام والنوم والرضا وكانت الصيغة "فَاعِلُونَ" جمعا لصيغة فاعل، متصلة بالواو والنون وهي دلالة الرفع في جمع المذكر السالم إذ ان الهائمون، النائمون، الراضون وقعت في أوائل الجمل، أما الدلالة الثانية فهي دلالة إيقاعية إذ بدأ جملة بهذه الصيغة مما أكسبها جرسا موسيقيا له أثر واضح في أذن السامع أو ذهن القارئ . كما أن لها دلالة بلاغية جمالية، فجمال أسلوب المقامات هو يكمن في معناها وكذا جرسها الموسيقي.

كما وردت هذه الصيغة في مقامته السادسة من سجع الكهان قال: "إن نسيتم أمسكم فهمم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهمم له شاكرون"(2)، يصف الإبراهيمي الغرب بأنهم ذاكرون وشاكرون فهذه الصفات تدل على أن الغرب يتصف بذاكرة قوية مما جعلها صفة شاملة لجميع الغرب. وجاء اللفظ بصيغة "فاعلون" دلالة على الشمولية وكذا اتصافهم بها على الدوام أي الذكر والشكر.

أما صيغة "فَاعِلِينَ" فقد وردت في مقامته "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة " عندما تحدث الإبراهيمي عن رفقاء العلامة ابن باديس حيث قال فيهم: "وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم وتضع تقتك الغالية فيهم، من اخوانك العلماء العاملين، والصالحين والمصلحين"(3)، وصف الإبراهيمي هنا إخوان ابن باديس بأنهم علماء "عَامِلِينَ وَصَالِحِينَ" على وزن فَاعِلِينَ وهي صيغة جمع لاسم حروفه أربعة على وزن فاعل، فكانت الياء والنون للدلالة على الجمع بحكم موقعها الاعرابي في النص،

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 532 .

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 533

(3) المرجع نفسه، ج 2، ص 58.

فهي نعوت وصفات يمتاز بها هؤلاء العلماء، أما "مصلحين" فقد جاءت على وزن "مُفْعِلِينَ" فقد وردت هذه الصيغة في المقامة أربع مرات بإضافة مصلحين، فجاءت في هذه الفقرة كالتالي: "أنسيتم يوم تنادوا مصبحين وتعادوا مسلحين، وتداعوا مصطلحين"⁽¹⁾. وجاءت في نهاية جملة فعلية قصيرة مما أكسبها جرسا موسيقيا بالإضافة إلى دلالة جمالية يتسم بها أسلوب الإبراهيمي نظرا لالتزامه السجع .

وردت صيغتي مُتَفَعِّلِينَ، ومُفْعِلِينَ في مقامات البشير الإبراهيمي مرة واحدة في مقامته السادسة: "لا تقولوا إن شر دين، ما جر التشريد للمتشردين، فإن شرا منه عقلكم الذي جر العار للعرب أجمعين، وكر الخزي على جميع المسلمين"⁽²⁾، تحمل هذه الفقرة من المقامة دلالة الاشتغال لأنها تصف حال العرب كما وصفهم الإبراهيمي بالمتشردين.

2- جمع المؤنث السالم :

لم يعتمد الإبراهيمي جمع المؤنث السالم بكثرة في مقاماته إذ كان يخاطب العرب فيستعمل صيغة المذكر أكثر، وكانت أكثر الصيغ ورودا صيغة مُفْعَلَاتٌ أو مُفْعَلَاتٌ، وردت الأولى في المقامة: فأعربوكم إعراب الفضلات، وعاملوكم معاملة المهملات"⁽³⁾ فكانت الأولى جمعا لصيغة "فَعْلَةٌ" اسم رباعي، أما الصيغة الثانية فهي جمع لاسم رباعي على وزن مُفْعَلٌ . وردت صيغة مُفْعَلَاتٌ، مرة واحدة في مقامات الإبراهيمي قال: "جاءت النذر تترى، والمعجزات شفعا ووتر"⁽⁴⁾.

3- جمع التكسير :

" جمعالتكسير على ضربين جمع القلة وجمع الكثرة، فجمع القلة: مدلوله بطريق الحقيقة الثلاث فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة مدلوله بطريق الحقيقة ما فوق العشرة إلى غير نهاية ويستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازا، وأمثلة جمع القلة أربعة: أَفْعَلَةٌ، أَفْعُلٌ، فِعْلَةٌ وَأَفْعَالٌ"⁽⁵⁾ ومن أكثر صيغ جمع القلة ورودا في مقامات البشير الإبراهيمي صيغة أَفْعَالٌ، حيث وردت ثلاثون مرة في مواضع مختلفة للدلالة على القلة، فقال الإبراهيمي: "يا بلاد الأذواء، لا أقول ك وقيت

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 533.

(2) المرجع نفسه، ج 2، ص 533.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 524.

(4) المرجع نفسه، ج 3، ص 525.

(5) شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م-1420هـ ص 547.

الأسوء، ولا أقول سقيت الأنواء، ولكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الابناء فكل أدوائك من أبنائك"(1)

كما وردت في مقامته السادسة حين قال: "أيها العرب بعضكم أبرار وجلكم أشرار وكلكم أغرار"(2)، سبقت هذه الأسماء الدالة على جمع القلة بألفاظ غيّرت من دلالتها وأخرجتها من نطاق الدلالة على القلة، فـ "بعض" جعلت من أبرار صفة يمتاز بها قلة من العرب، أما "جل" فجعلت من الشرّ صفة يمتاز بها غالبية العرب، ثم ختم المقامة بقوله: "كلكم أغرار"، فـ "كل" هنا جعلت من أغرار صفة ملازمة للعرب، يتصفون بها كلّهم.

أمّا الصيغ الدالة على الكثرة، فوردت مختلفة باختلاف دلالاتها: صيغة "فَعُول" وردت في المقامات عشر مرات حين قال: "غربان تظللها صلبان، بنفوس من الحقد ثائرة، وقلوب بالبغضاء فائرة، تنازعتم إرث الإسلام، ومعراج نبي السلام؟ أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين؟ إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرون، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود ، أم أين كنتم يوم جاؤوكم بالفهود في المهود؟ أم أين كنتم يوم آمنوا بإسحاق وكفروا بهود؟ كل ذلك وقع وأنتم شهود، ولكنهم كانوا أيقاظا وأنتم رقود"(3).

تعج هذه الفقرة بصيغ الجمع باختلاف دلالاتها، ولكن صيغة "فَعُول" كانت الأكثر ورودا وكانت هذه الألفاظ كالتالي: نفوس، قلوب، العهود، يهود، فهود، مهود، شهود، رقود، والدلالة المستوحاة من هذه الفقرة هي كثرة هؤلاء اليهود الذين خططوا ثم غزو فلسطين، ثم دلالة على العموم، وكذا دلالة جمالية فنية من خلال محافظة الإبراهيمي على نمط موسيقي معين في مقامته عندما أنهى جميع جملة بألفاظ جمع على صيغة "فَعُول".

أما صيغة "مَفَاعِلٌ" أو ما يسمى بصيغة منتهى الجموع"(4) فقد كانت كثيرة الورد في مقامات الإبراهيمي وكانت هذه الفقرة من المقامة الثالثة من سجع الكهانتحوي الكثير من الالفاظ التي جاءت على صيغة مفاعل، فقال الإبراهيمي "أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو محارب، دبّت بينكم العقارب وأنتم أقارب، فتكدرت المشارب، وتقوضت المضارب، وكهمت المضارب،

(1) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3 ص 528

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 533.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 533.

(4) في التركيب اللغوي لنقااص حرير، لخضر بلخير. جامعة باتنة، 1991م-1412 هـ، ص 85.

وغاب المسدّد في الرأي والمقارب، لم تغن النذر والمثالات والتجارب، إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرءوكم سطورا لا رجالا، وعرفوكم بطاء عن الجلي لا عجالا، وحفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا روية، فأخذوكم ارتجالا، وخالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، وحسبوكم عمدا في التركيب الأُمّي، فألفوكم مفاعيل وأحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، وعاملوكم معاملة المهملات، وراضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم⁽¹⁾

تأتي صيغة "مَفَاعِلُ" كصيغة الجمع لاسم رباعي صحيح "مَفْعِلٌ"، أراد الإبراهيمي بهذه الصيغة الدلالة على كثرة الأماكن التي خربت عندما يتحدث عن المضارب، ثم يشير إلى الغرب بلفظ المغارب كدلالة على كثرتهم وإتحادهم وهي الحلقة المفقودة عند العرب مما جعلهم ضحية لمؤامرة حضارية، العربي هو الحلقة الأضعف فيها.

صيغة "فَعَائِلُ" من الصيغ الدالة على الكثرة فوردت في مقامات الإبراهيمي مرات عديدة ليست بالكثيرة، فتراه يقول في وصف دول العرب قال: "دولة بلا صولة، وخزينة من أصفار وخزينة بلا أسفار، وكروسي بلا قوائم وعرش بلا دعائم"⁽²⁾ تحمل هذه الجملة دلالة التخوف من هذا الكرسي الذي ليست له دعائم، فهو كرسي عاجز، أمّا العرش بدون دعائم فهو ضياع شعب لأن الدعائم هنا إنما أراد بها الإبراهيمي مقومات العرش التي تكسبه هوية وطنية.

ومن الملاحظ في مقامات البشير الإبراهيمي ورود صيغة "فَعَالٌ" فقط مرتين كانت الأولى في مقامته الثالثة من سجع الكهان، قال: "ولكنكم أضعتم التراث بتشاكس الوراث"⁽³⁾، أمّا موضعها الثاني فكان في مقامته السادسة حيث قال: "وقادكم إلى العار قوَاد متشاكسون"⁽⁴⁾.

جاء لفظي ورّاث وقوَاد على وزن "فَعَالٌ" نظرا لكثرتهم إلا أن لفظ الورّاث قد سبق بتشاكس، أما قوَاد فقد جاء لفظ متشاكسون بعدها فهؤلاء الورّاث و القوَاد رغم كثرتهم إلا أنهم مفترقون ذهب كل منهم في حال سبيله.

دلالة الصيغ الفعلية:

(1) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص524.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 522.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 525.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص 533.

وردت الصيغ الفعلية في مقامات البشير الابراهيمي مختلفة متنوعة منها ما هو بصيغة الماضي أو المضارع وصيغة فعل الأمر ، والفعل في نظر علماء الصرف : "ما كانت جميع حروفه أصلية لا يسقط حرف منها في تصارييف الكلمة بغير علة"⁽¹⁾، إذ أن للفعل : "وظيفة صرفية تقوم بأدائها البنية اللفظية أو هيئة تركيب عناصره المادية نحو وزني (فَعَلَ) و (يَفْعَلُ) فدلالتهما عند الاستعمال على وقوع الحدث مقترنا بزمن من الأزمنة"⁽²⁾، فالزمن هنا عنصر مهم في الدلالة على حقيقة وقوع الفعل في ذلك الزمن و"لما كانت الأفعال مساوقة للزمن والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه، انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك فمنها حركات مضت ومنها حركة لم تأتي ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك : ماض ومستقبل وحاضر"⁽³⁾ و"الفعل في إطاره الدال على الدينامكية والمرونة ، يقوم الزمن بتحديد مجال حدوثه الزمني، ولما كان الفعل الماضي الاول على السلم الزمني تاريخيا، فسيكون المجال الأول للدراسة والتحليل بتحديد معانيه ودلالاته مع صيغه الواردة في مقامات البشير الإبراهيمي."⁽⁴⁾

1- صيغ الفعل الماضي:

يحوي نسيج مقامات الابراهيمي الكثير من الصيغ الفعلية منها ما هو ثلاثي ورباعي، مما أدى إلى اختلاف الدلالات والمعاني فترى الابراهيمي يقول في هاته المقامة: "إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطور لا رجالا ، وعرفوكم بطاء عن الجلي لا عجالا ، وحفظوكم شعرا بلا روي وفكرا بلا روية، فأخذوكم ارتجالا، وخالوكم على البعيد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، وحسبوكم عمدا في التركيب الامي، فأفئوكم مفاعيل وأحوالا فأعربوكم إعراب الفضلات ، وعاملوكم معاملة المهملات ، وراضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم ووطئت أقدامكم، فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع"⁽⁵⁾ .

(1) شذا العرف في فن الصرف، الحلاوي، قدمه: محمد بن عبد المعطي، ص 18.

(2) دراسات في الفعل، عبد الهادي الفضيلي، دار القلم بيروت، لبنان، ط 1، 1982م، ص 17-18.

(3) شرح المفصل، الزحشري، ابن يعيش، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2001م _ 1422هـ، ج 1، ص 4.

(4) الفعل عند البصريين ثلاثة أقسام : الفعل الماضي، الفعل المضارع، وفعل الأمر، وهو عند الكوفيين ثلاثة أقسام أيضا ، يتفقون مع البصريين في القسمين الأولين، ويختلفون معهم في القسم الثالث، وهو عند الكوفيين: الفعل الدائم، لا فعل الأمر "ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة مصطفى الباب وأولاده بمصر، ط 2 ، -1958م -1377هـ، ص 237 .

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 524.

ومن الملاحظ في هذه المقامة اعتماد البشير الابراهيمي الافعال بصيغة الماضي فهو هنا يحاور ويخاطب العرب، فالفاعل هنا محذوف وهو الغرب إذن الفعل ماض مبني على الفتح على وزن "فَعَلَ" ، وهي كالأتي بعد تجريدها من الزوائد:

قَرَأَ ، عَرَفَ ، حَفِظَ ، أَخَذَ ، خَالَ ، وَجَدَ ، حَسِبَ ، أَلْفَ ، أَعْرَبَ ، عَامَلَ ، رَاضَ ، ذَلَّ ، وَطِئَ ، أَصْبَحَ .
تدل معظم الأفعال في هذه المقامة على الماضي، إذ أن المستعمر عمد إلى قراءة السطور أي معرفة نمط التفكير العربي عبر الكتب لأنها أصدق تعبير عن انجازاتهم، إلى أن اتضحت الصورة لديهم، أما الفعل الماضي الناقص، أصبح فهو للدلالة على الاستقبال إذ ان الغرب أصبحوا لا يبالون برضى العرب أو سخطهم مما جعل الابراهيمي يخاطبهم بهذه اللهجة الواقعية المنطقية للدلالة على سخطه وتأثره الواضح بحال العرب، كما تظهر المقامة تخوفه الواضح وحزنه العميق حين قال: "فأعربوكم إعراب الفضلات، وعاملوكم معاملة المهملات، وراضوكم على المهانة حتى ذلّ جانبكم". وكان مخطط الغرب مبني على مجموعة من الخطوات لخصها الابراهيمي في هذه الفقرة وقف الغرب بالباب فلم تتحركوا، ثم أنشب الظفر والناب فلم تستدركوا، ثم دس أنفه في التراب فوجد رائحة الزيت، ثم طلب الوقوف بالأعتاب فوطأتم له أكناف البيت"⁽¹⁾ .

جاءت الافعال في صيغة الماضي لأن الغرب جعلوا من التخطيط المرحلة النظرية ومنها إلى التطبيق الذي عبر عنه الابراهيمي في هذه الفقرة بأفعال تدل على التجسيد على أرض الواقع فالوقوف بالباب دلالة على وصول المستعمر وحلوله ثم سعى إلى الوصول إلى أكناف البيت وكان له ذلك، تدل هذه الأفعال الماضية على بدأ مرحلة التجسيد للمخطط .

"ولما كانت الألفاظ دليلا المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما"⁽²⁾ ، لجأ الابراهيمي لاعتمادها نظرا لما تحمله من قوة فيقول محذرا: "وسيوف مجربة، تخبرن من يوم "ثُرْبَة"، وجيش دربه الغير، وجر به إلا في الخير، وبطانة مد بها الشيطان أشطانه"⁽³⁾، فهذه السيوف التي يتحدث عنها الابراهيمي هي سيوف مجربة اعتادت القتل دون رحمة ولا شفقة أما حين حديثه عن الجيش فالدلالة المستوحاة هي دلالة التهيب فهذا الجيش هو جيش درب بطريقة تمكنه من التصدي لجميع الهجمات وكذا التموّج في

(1) المرجع نفسه، ج 3، ص 525.

(2) الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، ج2، ص 155

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص522.

جميع الأماكن ، فهذه الأفعال المكررة، العين انما للدلالة على معنى السلب، إذ أن السيوف وكذا الجيش يمتازان بالقوة إذن الصيغة الصرفية التي جاءت عليها الأفعال هي صيغة "فَعَّلَ" للدلالة على قوة الفعل.

أما صيغة "فَاعَلَ" الدالة على الماضي فقد وردت في مقامات البشير الابراهيمي حين حديثه عن اليمن فقال: "أما ظفار، فقد حالف عهدها الإخفار، وخالف ظلامها الإسفار، وأما حضرموت فقد ساورها الموت، وجاورها الخسران والفوت، وجاورها النجى فما سمع لها صوت"⁽¹⁾ جاءت الأفعال في هذه المقامة مزيدة بألف بعد فاء الفعل على وزن "فَاعَلَ" فالأفعال: سَاوَرَ وَحَاوَرَ وَخَالَفَ تَدَلَّ على اشتراك أهل اليمن في مصيبتهم، فالموت ساور جميع أهل ظفار ، وعمَّ الخسران والفوت جميع اليمن.

أما المزيد بحرفين فقد جاء على صيغة "إِفْتَعَلَ" بزيادة الهمزة في أوله والتاء بعد فائه وذلك في قوله: "ويل للعرب، من حبل قد اضطرب، وشر قد حل ولا أقول قد اقترب"⁽²⁾ فالفعلين إِضْطَرَبَ وَإِقْتَرَبَ كلاهما على وزن "إِفْتَعَلَ" وهي للدلالة على المطاوعة، كما أنها تدل على الحركة والعمل إذ لا اضطراب الفعل دلالة على حركة الحبل المضطربة أما الفعل اقترب فيدل على "حصول فعل مزيد قاصر، عن أثر فعل آخر مزيد"⁽³⁾

(1) المرجع نفسه، ج3، ص 528.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 522

(3) الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، سليمان فياض، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية 1990 م-1410هـ، (د ط)، ص 82

2- دلالة الفعل الماضي المبني للمجهول

يتفق علماء اللغة على ان الفعل المبني للمجهول هو "ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه، واسند إليه معدولا عن صيغة فَعَلَ إلى فُعِلَ"(1).

اعتمد الإبراهيمي صيغة المبني للمجهول في مخاطبته للعفريت قائلا: "أيها العفريت النفريت، الذي هو انتن من الحلتيت، وأثقل من الكبريت، وأهدى إلى رسائلي من الدليل الخريت، وأمضى في تمزيقها من السيف الإصليت مالك؟ عُرِّيتَ وهُرِّيتَ وَقُطِّعْتَ، وفُرِّيتَ، إن كنتا انسا فَعُصِّرْتَ وخُرِّيتَ، أو جِنَّا فَأُحْرِقْتَ، وذُرِّيتَ وأذبت كالزئبق وأُجَرِّيتَ، ويلك! أُغَرِّيتَ بالشر أم أُغَرِّيتَ؟ وضَرِّيتَ على المكر أم ضُرِّيتَ؟ وتطوعت لهذا العمل أم كريت؟"(2)

تشكل الأفعال ذات الصيغ المبنية للمجهول نسبة كبيرة في هذه المقامة فهي: عُرِّيتَ وهُرِّيتَ وَقُطِّعْتَ وفُرِّيتَ، عُصِّرْتَ وخُرِّيتَ، أُحْرِقْتَ وذُرِّيتَ... إلخ. مما يدل على المطاوعة والمشاركة في الفعل وكانت علامة المبني للمجهول ضم الحرف و كسر ما قبل الأخير.

كما ورد الفعل الماضي المبني للمجهول في مقامته الرابعة من مجموعته سجع الكهان حين قال: "يا بلاد الأذواء، لا أقول: وقيت الأسواء، ولا أقول، سقيت الأنواء، ولكن ثكلت الأبناء يا مطارح الأبناء"(3)، توالى الجمل الفعلية التي تحوي أفعالا مبنية للمجهول على وزن فَعِلَ وهي: وَقِيَّ وَسُقِّيَّ وَثُكِّلَ.

3- دلالة صيغ الافعال المضارعة:

إنَّ الحديث عن الافعال المضارعة يتطلب منا الحديث عن حروف المضارعة "أنيت" والتي أطلق عليها "الزوائد"(4)، وهي تأتي متصلة بالفعل المضارع إما في أوله أو في آخره، أما دلالته الزمنية فهي على زمني الحال أو المستقبل.

(1) الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط3، 1983 م-1403هـ، ص93

(2) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص104.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص528

(4) "نقسم الزوائد في اللغة العربية كما في كثير من اللغات على ثلاثة أنواع:

أولاً - السوابق: وهي زائدة أو أكثر تضاف إلى بداية الجذر نحو "ي" في يجلس و"أ" في أقرأ، و"س" في سأفعل =

= ثانياً - اللواحق: وهي زائدة أو أكثر تضاف إلى آخر الجذر نحو: تاء التأنيث في "ذهبت" وياء المخاطبة في "اكتبي" وتاء الفاعل، وكاف الخطاب في "ساعدتك"

ثالثاً - الاحشاء: وهي زائدة داخل الجذر نحو: "كاتب" و"رجل" و"عليم".، ينظر: المجاز وقوانين اللغة، علي محمد سلمان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م-1420هـ، ص108.

تحتوي هذه الفقرة من المقامة أفعالا مضارعة على وزن " يَفْعَلُ " وهي: يَتَنَفَّسُ وَيَتَبَسَّمُ وَيَتَوَهَّجُ وَيَتَبَلَّجُ. أما إذا حذفت الزوائد والتي هي سابقة " الياء " الدالة على ضمير الغائب "هو" والجذور هي: نَفَسَ، تَبَسَّمَ و وَهَّجَ وَبَلَّج. والملاحظ في هذه الأفعال أنها مدغمة العين، والدلالة هنا دلالة على الحال والزمن الحاضر إذ أن هذه المقامة أُلقيت في مناسبة مرور سنة على وفاة العلامة ابن باديس .

1- صيغة يَفْتَعِلُ : يَصْطَرَعُ

3- صيغة تُفَعِّلُ : تُقَعِّعُ، تُطَنِّطُنُ.

4- صيغة تَنْفَعِلُ : تَنْخَفِضُ.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص54.

(2) المرجع نفسه، ج 2، ص 58.

بـ: "كان" هي دلالة نفسية بالدرجة الأولى إذ تظهر حزن الابراهيمى العميق كذا تعداده لمناقب ومآثر ابن باديس، وهي دلالة فخر واعتزاز برفيق دربه .

أما الافعال المضارعة التي اتصلت بها واو الجماعة والنون للدلالة على ضمير المخاطب "أنتم" فجاءت كالآتي: "ووقفتم في نصف هذه، الكرة تحكمون وتتحكمون، وتصلون شرقها بغربها وتقسمون، فبدتم وما بادت آثاركم ولا أخباركم"⁽¹⁾. فالواو والنون هنا هي مور فيمات لاحقة اتصلت بالفعل المضارع لتدل على الماضي إذ أنها سبقت بالفعل ووقفتم في الماضي مما يعني أنهم كانوا حكاما يصلون الشرق بالغرب فوردت صيغة "يفعلون" فقط اربع مرات في مجموعة الابراهيمى المقامية .

كما اعتمد الابراهيمى الفعل المضارع في مقامته الأخيرة من مجموعته المقامية سجع الكهان قال: "أي حيران الشمال، ومعاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة وهي الأم، وبالوطن هو الهم وبعمر حادي الزمر عمر الشهيد وما عهده بالعهد وبما أرزقتم من دموع ودماء، لم يبق منها إلى الذماء وبالإسلام -وهو الذمام -أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشق أو توسعوا الشق، فتقعوا جميعا في الرق، وأعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالية من الدول الغالبة فإنما ذلك إيساس من الايدي الخالية ، وأعيدكم أن تنكروا التقسيم وأنتم منقسمون، وأعيدكم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن.... وأعيدكم أن ترضوا بالخفض، ولا تقبلوا "الضم" ان الضم علامة "البناء"⁽²⁾.

سبقت الأفعال المضارعة في هذه الفقرة بأداة النصب مسبقة بالفعل أعيدكم، وكأن الابراهيمى يحذر العرب من الوقوع في الاختلاف وكنتيجه له رضاهم بالشق كما يعيدوهما أن يغتروا بهذه الوعود الكاذبة وهي تحمل دلالة الاستقبال.

استخدم الابراهيمى الافعال المعتلة بصيغة المضارع منها: بَقِيَ، رَضِيَ، وَسَعَ، وَقَعَ أضيفت إليها المور فيمات اللاحقة الدالة على ذات الجمع المخاطب "أنتم" بالمورفيم "مع حذف النون لأن الفعل هنا قد سبق بـأنْ.

دلالة فعل الامر:

(1) المرجع السابق، ج3، ص 531.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 534.

ورد فعل الأمر في مقامات الإبراهيمي ثلاث مرات في المقامة الثالثة من سجع الكهان حيث قال: "فانزعوا المقادة من هؤلاء القادة تفلحوا"⁽¹⁾، يتحدث فيها إلى الشعوب العربية يأمرها بترع المقادة من هؤلاء القادة الذين تسببوا في هذه المأساة القومية، ثم يخاطبهم آمرا: "أجمع الشعب على رأي واحد، وأتفق الرأي على نظام واحد، وتمخض النظام بدستور واحد، وملك واحد فإن قلتم إن هذا عسير فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير"⁽²⁾، وكأن بالإبراهيمي هنا يخرج بفعل الأمر من دلالاته إلى دلالة الطلب، يطلب من العرب أن يتوحدوا وإلا فسوف يكون مآلهم كالأسرى المحرومين من نعمة الحرية أو الموتى الذين يموتون بطريقة بشعة، فخرج فعل الأمر هنا كان " طلبا لأمر حقيقي أو لتحقيق غرض"⁽³⁾، حث العرب على التوحد ولم الشمل.

ونراه في هذه الفقرة يخاطب الأرض قائلا: "إن الزيت إدام ازدحمت عليه الأقدام، فحرمه الجبان، وحازه المقدام، وكان حظكم منه حظ الطباخ الصائم: زهما في اليد ورائحة في الأنف فيا أرض ابلعي زيتك وأحي ميتك، وإلا خرب أبرهة الغرب بيت الله وبيتك"⁽⁴⁾.

يأمر الإبراهيمي الأرض في هذه المقامة بأن تبلع زيتها والمقصود بالزيت البترول والذي حسب الإبراهيمي هو المثير الذي جعل الغربي يحطّ رحاله بأرض العرب، أمّا حين أمرها بأن تحيي ميتها فمراده أحياء هؤلاء الأخلاف الأبطال وإلا سيكون مصير العرب الزوال والاندثار وكانت " الياء" المورفيم الدال على ضمير المخاطب المؤنث "أنت" في هذه الأفعال.

(1) المرجع السابق، ج3، ص 524.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص525.

(3) ألفاظ الغفران في القرآن الكريم، دراسة لغوية، سحر ناجي فاضل المشهدي، جامعة الكوفة، 2007م-1428هـ، ص45.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص525.

الفصل الثاني:

المعجم التركيبي وأثره في تحقيق الدلالة

- تمهيد

دلالة الجمل

1- الجملة الاسمية

2- الجملة الفعلية

3- الجملة الاستفهامية

4- جملة القسم

5- جملة النداء

الظواهر التركيبية

1- التقديم والتأخير

2- الحذف

الاعتراض

دلالة الجملة النحوية:

تمهيد

شغلت هندسة الألفاظ منذ القديم حيزاً فكرياً عند علماء اللغة القدامى والمحدثين باعتبار الجملة مصطلحاً قاعدياً يقوم عليه النحو، وكان مفهومها عند القدامى: "عبارة عن مركب من كلمتين أسندت أحدهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك زيد قائم أو لم يفد كقولك أن يكرمني"⁽¹⁾ أمّا المحدثون فعرفوها بكونها: "موضوع الدرس النحوي"⁽²⁾ و"الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائها في ذهنه ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"⁽³⁾ ممّا يضمن للأفراد التواصل والتعبير عن الأفكار والمعتقدات.

أمّا في إطارها النّسقي فتخضع مكوناتها إلى قواعد تركيبية مثل (المبتدأ والخبر) و (الفعل والفاعل) و (الفعل + الفاعل + المفعول به).

ولما كان غرضنا دراسة الدلالة النحوية، استلزم التحليل أن يكون هناك تفاعل بين المعنى النحوي وكذا الدلالي إذ "الجملة التي يكون فيها المعنى النحوي الدلالي صحيحاً هي التي يتوافق فيها الاختيار بين جانبي الدلالة النحوية ودلالة المفردات الأولية"⁽⁴⁾

واقترضت طبيعة التحليل النحوي الدلالي البحث في الجمل بجميع أنواعها، باستقراء دلالتها مع مراعاة "انتظامها في خط مسير متجانس، الأمر الذي يحقق التكامل والوحدة في عناصر النص ووظائفها المختلفة"⁽⁵⁾

(1) التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1985 م، ص 82.

(2) في النحو العربي: نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الراشد العربي بيروت لبنان ط 1986، 2، م-1406 هـ، ص 28.

(3) المصدر نفسه، ص 31.

(4) النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق القاهرة، ط 1، 2000 م، ص 55.

(5) التحليل النحوي أصوله وأدلتها، فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط 1، 2002، ص 5.

دلالة الجملة الاسمية :

هيمنت الجملة الاسمية على النسيج اللغوي لمقامات البشير الإبراهيمي، لاعتماده الوصف بكثرة، فتراه يقول في مقامته "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" واصفا رفيق دربه وصديقه : "سلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت بظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه مغمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعا، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير، مدويا في جنباتها مسموعا، ومشاهد كان يراوحها للخير والنفع وكانت آفاقها بأنواره مسفرة، ومعاهد كان حادي زمرها إلى العلم، وهادي نزاعها إلى الإحسان والسلم، فأصبحت بعده مقفرة"(1)

إنّ توالي الجمل الاسمية في هذه المقامة غرضه الأساسي التعريف بشخصية العلامة ابن باديس وذكر مناقبها ومآثره، فارتأى الإبراهيمي تعزيز مقاماته بألفاظ هي ضمن إطار الحقل العلمي والديني نظرا لوزن الشخصية الموصوفة، فالمساجد هي رموز دينية، والجمعيات والتي كان دورها آنذاك نشر الوعي وتعليم الناشئة، ثمّ المدارس والتي هي لبنات أساسية تزرع بذور العلم وتحارب الجهل.

هذا الزّحم من الجمل الاسمية يحمل بين ثناياه حبّا خصّ به الإبراهيمي رفيق دربه "الشيخ ابن باديس" فهذه الأوصاف إنما تثبت بفعل إيرادها في الجمل الاسمية، مما أضفى عليها طابعا من الخصوصية والثبات .

كما نجده في مواضع أخرى يسترسل في وصف رفيق دربه بأحلى الصفات وأرقها، فيقول "أشربت (الأمة) معاني الخير والرحمة والمحبة والصدق والإحسان والفضيلة، فكنت لها نعم الرّاحم بما البرّ الرحيم"(2)، تجرّد الإبراهيمي في هذه الفقرة من جميع قيود الزمن ليطلق العنان لفكره واصفا صديقه بصفات هي متأصلة في شخصه بشهادة جميع من عايشوه شخصا، فاعتماده على الجمل

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص58.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص58.

الاسمية القصيرة، ليفيد ترسخ هذه الصفات في صاحبها " وأنّ صاحبها متصف بها على الدوام "(1) وهذا الوصف هو واقعي ثابت متجرد من قوانين التجدد.

أمّا في مجموعته المقامية — إن صحّ التعبير والموسومة بـ "سجع الكهان" فهو كثير الاعتماد على الجمل الاسمية باستعماله جملاً تكاد تنعدم فيها الحركة، بفعل اعتماده الوصف والسرد، فنراه في الفقرة الأولى يقول واصفاً "نحن الكهان" أفراس رهان، منا السّابق المصلّي، ومنا الآبق المولّي كنّا إرهاباً للنّوبة، ودليلاً للضعف إلى القوة". (2).

استهلاً لإبراهيمي هذه المقامة بجمل اسمية، يصف فيها الكهان، ويميّز بين نوعين من الكهان كل بحسب نمط تفكيره ومعتقداته، كما نجده في مقام آخر يقول "بارق في برقة، شئنا من بعيد برقة، فإذا أصوات رجعتها في الآذان خلاف وفرقة، ووقعها في النفوس أسى وحرقة، وإذا فرق من رفاق الجهاد تعادي فرقة وفرقة وإذ إنتاج ذلك كله وليد حرقة". (3)

يبدو جلياً في هذه الفقرة استياء إبراهيمي الواضح من خلاف وفرقة وقعت بين حماة الوطن، وخوفه الواضح من اتساع الهوة، فهذا الحشد من الجمل الاسمية للوصف والتقرير، قد تتراح الدلالة لتتضمّن دلالات مجازية أخرى، هي ذات معنى سلمي كإظهار الأسف نحو ضعف أو وهن لحق بالشعب أو الأمة، خاصّة ما ارتبط منه بالعقل والتفكير، فعلى حد تعبيره هو الأصعب فنجدّه يقول في ذلك: "أيّها الهائمون في البيد، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشة العبيد على البرير والهبيد، لن تزالوا كذلك أبد الأبد، لا عمر لبداؤ أو لبئد.... كتب الله أن الصداقة مطوية على العداوة، وأن الحضارة متصلة الطّرفين بالداوة، وأنّ في الإنسان جبلة من الحيوان، مازال في النزوع إلى أصلها غير وان، وأن الضّعيف طعام للقويّ، وأنّ الرّشيد في أبناء آدم مجرور بالغويّ، وأنّ من لم تبسط يدك لتقتله بسط يده لقتلك، وأن من قصّرت في ختله جدّ في ختلك". (4)

(1) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر ط1، 2005م - 1426 هـ، ص64.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص518.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص534.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص253.

إنَّ الدلالة المستوحاة من تعاقب هذه الجمل الاسمية المؤكدة، الإشارة إلى وهن حلّ بالعرب جرّاء سباهم الطويل وتقاعسهم وغفلتهم عن حقّهم في أبسط متطلّبات العيش، ألا وهو حق التفكير، فألفاظ مثل: النائمون، الهائمون، الذلّ، الرّاضون، العبيد، الضعيف، طعام القويّ، تدل على ركود، ضعف وخمول أصاب الشّعوب العربية، والجلي في هذه الفقرة أنّ الكاتب أبدى خوفه بطريقة غير مباشرة من تجذّر هذه الصّفات في الشّعوب العربية، بفعل واقعها المأساوي آنذاك فيقول في ذلك: "أيّها العربيّ: الحقّ سافر والعدو كافروالقويّ ظافر، فعلام تنافر خصمك إلى خنافر، ويليكَ إنّ المنافرة لا تكون إلّا في المشكوك، وإنّ الحقّ تحميه السيّوف لا الصّكوك، وويحك إنّ منافرة الكهنة إلى الكهنة بالخبيّة مرتقنة، فمجلس الأمن مخيفوالرّاضي بحكمه ووضع ذو عقل سخيف، وأنّهم ليسوا من شكلك، وإنّهم متفقون على أكلك" (1).

استعمل الإبراهيمي في هاته المقامة جملاً اسمية قصيرة تتكوّن من مبتدأ وخبر، أو مسند اليه وهو اسم مفرد، والمسند هو وصف يتصف به الموصوف، ومن نط الجمل الاسمية الجمل التي تبدأ باسم الإشارة هذا وذاك، ففي هاته المقامة وجّه الإبراهيمي كلامه إلى فريقين ألا وهما العرب والغرب فيتحدّث قائلاً: "وحدّثي الوليّ ياوليّة أيّهما كان عليك بلية، ذاك الذي وردك زائراً، أم هذا الذي وردك خائراً؟ إنهما لا يستويان، ذاك أسد غاب رزقه في الناب، وهذا حلف وجار، رزقه على الجار ذاك يعيش على فرائسه، وهذا يعيش على فضلات سائسه، ذاك رمز إقدام، وهذا موطئ أقدام، ذاك ورد الفرات زئيره، وهذا جاوز الفرات تزويره، ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، وهذا مشغول البال بعرس الغول." (2)

تتوالى الجمل الاسمية في هذه المقامة، حيث استهلّ الأولى منها باسم الإشارة ذاك بلفظ البعيد "دلالة على أنّ المذكور جدير بالخبر الذي يأتي بعده من أجل هذه الصّفات المذكورة" (3)، وكذا

(1) المرجع السابق، ج3، ص 523.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 521.

(3) دلالة التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1408هـ، 1987م، ص 10.

التَّعْظِيمَ وعلوَّ المرتبة "لأنَّ البعد والرفعة والإعلاء تقتضي بعد المنال." (1)، فهذا الغريب الزائر هو بعيد جغرافياً ولكنّه قريب بفعل فكره، فعاليّته حقّقها حين نزوله بأرض العرب أو الفرات، كما يشير إليها الإبراهيمي، أما حين إشارته إلى العرب، فقد أشار إليهم باستعمال اسم الإشارة هذا دلالة على التّمييز والتّجسيد، وكذا غفلة العرب وعدم اكتشافهم سرّ هذا الغريب الزائر فتراه يعتمد اسم الإشارة هذا، للدّلالة على تحقير المشار إليه والازدراء بمكانته وإظهار ضعفه.

وردت الجمل الاسمية المبدوءة باسم الإشارة "هذه" لتحذير العرب فقال: "دهمكم السّيل فلکم الويل، هذه آثار أسلافكم مجفّوة، وهذه قدورهم الرّاسيات مكفّوة، وهذه الرّقاع من البقاع غير ملتامة ولا مرفّوة." (2)

ونظام الجملة هنا هو نظام ثابت، إذ اتّبع الإبراهيمي فيه نمط يمكن إيجازه فيما يأتي:

مبتدأ (اسم إشارة) + خبر + نعت.

أمّا الدّلالة المستوحاة من الفقرة فهي دلالة تحقير للمشار إليه، فهذه الآثار أصبحت مجفّوة بعد ذهاب أهلها، دلالة على الزّوال والانقراض وكذا الشّتات، إذ سبق لفظي ملتامة ومرفّوة بغير ولا النافية دلالة عن نفي هاته الصفات عنها، مما أكسبها صفتي الشّتات والضياع والانغلاق والجمود.

2- الجملة الفعلية:

الجملة الفعلية أو المركّب الفعلي، وهو نظام لغوي تحكمه قواعد نحوية تكون الصّدارة فيه للفعل باعتباره "نواة الجمل الفعلية" (3)، وتحكم هذا المركّب علاقات نحوية تجريدية مثل: فعل + فاعل أو فعل + فاعل + مفعول به، أما ورود الجمل الفعلية في المقامات فهو قليل مقارنة بالجمل الاسمية مما أضفى على المقامات نوعاً من السّكونية، فوردت الأفعال إنّما أملاً منه في حصول معجزة تغير أوضاع العربي ففي قوله: "الكاهن لا يداري ولا يداهن، كلامه رمز ليس فيه لمز، عاذ غيره بالتّصريح فعاد بالتّجريح، ولاذ هو بالكهانة، فأمن المهانة كان... فكان الزّاجر الرّادع، للفاجر

(1) دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمد عبد الله، دار دجلة، عمان، ط1، 2009م، ص135

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص529.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص210.

الخادع وكان ... فكان نذير السّارق والمارق والخاتل والقاتل والمحتال والمغتال والقاذف والحاذق والمبتهر والمبتتر، تجفّ قلوبهم إذا نوفروا إليه، وتجفّ فهوراتهم إذا وقفوا بين يديه، لاستتارهم بالغيب واستهتارهم بالغيب، فلمّا جاء محمّد بالحقّ فاء النّاس إلى ضمائرهم وحكموا هديّة في سرائرهم وردّوا الغيب إلى عالمه فاستراحوا، ولكنّهم اليوم عادوا إلى الجاهلية وتقلّبوا في أرحام حنظلية وأصلاب جاهلية، فماذا نصنع؟" (1)

يستهل الإبراهيمي هاته المقامة بالحديث عن حالة من الجمود والانغلاق وانصراف من العرب إلى إرضاء رغباتهم، والتّستر على أخطائهم، ونراه هنا يعبر بالفعل جاء على نقطة تحوّل في حياة العرب، فالفعل جاء دلّ على حدث هو في الزمن الماضي ألا وهو مجيء المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيث شكّل مجيئه في حياة العرب الكثير، فحكّم العقل وانتشر العدل والطمأنينة. إلا أنّهم مالبثوا أن عادوا إلى سابق عهدهم ويعبر عن ذلك بقوله: " ولكنّهم اليوم عادوا إلى الجاهلية " وهنا يبدوا جلياً أنّ الإبراهيمي أراد أن يضيفي على الأحداث نوعاً من التجدد باعتماد الفعل عاد مقترناً بالظرف " اليوم " للدلالة على حال راهنة، فنرى في هاته المقامة نوعاً من التذبذب بفعل الفعل جاء والذي دلّ على تغيير في حال العرب حال مجيء النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن الظروف تغيرت بفعل عودتهم إلى سابق عهدهم فالفعل جاء وكذا الفعل عاد يدلان على نوع من الحركة . كما نراه في موضع آخر يعتمد على الجملة الفعلية المتسلسلة زمنياً وكذا معنوياً من خلال أحداثها فيقول: " إنّ الفارق بين لفظي العرب والغرب نقطة فيها كل السرّ وفيها كل الشرّ وقف الغرب بالباب فلم تتحرّكوا ، ثم أنشب الظّفّر والثّاب فلم تستدرّكوا، ثم دسّ أنفه في التراب فوجد رائحة الزيت، ثم طلب الوقوف بالأعتاب فوطأتم له أكناف البيت" (2).

تتوالى الجمل الفعلية في هاته المقامة بدءاً بوقوف الغرب بالباب وهي جملة فعلية تتكون من فعل + فاعل + شبه جملة جار ومجرور، وهو المنوال المتبع في هذه المقامة، أما التسلسل الزمني في أحداث المقامة فهو تسلسل في المعنى بدءاً بالفعل: وقف، أنشب، دسّ، طلب، كلّها أفعال تعود على

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 519.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 525

المستعمر وتدل على حركته المستمرة، اللامتوقفة فهذا التجدد في الأحداث هو ديناميكي آلياعتمد فيه الترتيب المنطقي للأحداث بدءا بالوقوف والمشاهدة من بعيد ثم الهجوم، مما يدل على الاضطراب وهذا التسلسل في الأحداث هو تلخيص زمني لفكرة الاستعمار والذي بدأ بالتخطيط فكريا من خلال دراسة مواقع قوّة العرب وتمكنهم ثم إضعافها بالتطبيق الفعلي على أرض الواقع. إن استخدام الإبراهيمي للجميل الفعلية في مقاماته إنما للدلالة على حركة يأمل حصولها وتكون هذه الجمل في غالب الأحيان قصيرة تتبع نظاما اعتياديا تبدأ فيه بفعل ماضي وتكون معطوفة بعضها على بعض، كما في قوله: "أمّا ظفار ، فقد حالف عهدها الإخفار ، وخالف ظلامها الإسفار ، وأمّا حضرموت فقد ساورها الموت وجاورها الخسران والفوت ، وحاورها النّجي فما سمع لها صوت، وأمّا صنعا، فما أحسن بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، وعطلت من طوق الورقاء، وعقمت أن تتمخض عن ألمعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقريّ الأزمنة ولاوشت، وطار الناس فما حبت ولا مشّت"⁽¹⁾.

إنّ متفحص هذه المقامة للوهلة الأولى قد يعتقد أنّها تتّسم بالجمود والانغلاق لأن أفعالها وهي ساور، جاور، عطلت، عقمت، ماحكت، ما حبت، ما مشّت، تدل على نوع من الخنوع والاستسلام وهي حركة سلبية - إن صحّ التعبير - تدل على تخافت في الحركة شيئا فشيء حتى الوصول إلى الثبات في قوله " وطار الناس فما حبت ولا مشّت "، يتنقل الإبراهيمي في هاته المقامة من مدينة إلى أخرى بدءا بظفار ووصولاً إلى صنعاء وهي عاصمة اليمن، فيصف أحوال هذه المدن مستدلا بأفعال تقل فيها الحركة وتخفت.

ولمّا كان غرض الإبراهيمي شحذ الهمم واستنهاض العزائم، لجأ إلى الاعتماد في بعض المواضع على أفعال تدل على الاضطراب والتغيير والحركة فيقول: "ويل للعرب من حبل قد اضطرب، وشرّ قد حلّ ولا أقوال اقترب، قسم الويل على العميم والخويل، فويل للعرب من ملوكهم وويل للعجم

⁽¹⁾ المرجع السابق، ج3، ص 525

من سلوكهم، وويل للروم من صعلوكهم، جنت على الأصفر ناره، وعلى الأبيض دينار، وعلى الأسود فدامته واغتراره، وعلى العربي ركه البطي ولسانه النبطي"⁽¹⁾.

استهلاً لإبراهيمي هذه المقامة بأسلوب تحذير موجه إلى العرب اشتمل على قد التي تفيد التحقيق، فالاضطراب في نظر الابراهيمى واقع لا محال، كما أن الشر قد حل بمعنى وقع وحدث وهي أفعال تدل على الاضطراب والحركة والتحوّل في حياة العرب بفعل حلول الشرّ عليهم وهم في غفلة من أمرهم ، فنرى الابراهيمى يخاطبهم بأفعال تدل على الحياة والحركة ". ذلك لأن من أبرز صفات الحي: الحركة والتجدد ، فجاء معه بالصيغة الفعلية "⁽²⁾محدرا تارة ومتحسرا تارة أخرى.

3- دلالة الجملة الاستفهامية:

إن حقيقة الاستفهام في اللغة العربية تكمن في طلب الفهم، وكذا " استفهام على جهل من المستفهم " ⁽³⁾، وقد تتراوح دلالاته فيكون إظهارا للخلاف والاختلاف "⁽⁴⁾.

والإبراهيمى بحكم موقفه الصريح من حال العرب ومأساتهم، فقد اعتمد الجمل الاستفهامية للاستفسار عن الأسباب الرئيسية وراء هذا الانحطاط الذي يعيشه العرب، ورد الاستفهام في المقامة الثانية من سجع الكهان حين خاطب البحيرة قائلا: " أيتها البحيرة، مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمار بالفتوة فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة ؟ ... وحدثني الولي ياولية، أيهما كان عليك بلية، ذاك الذي وردك زائر أم هذا الذي وردك خائرا؟"⁽⁵⁾.

يظهر من خلال النسيج اللغوي لهاته المقامة اعتماد الإبراهيمى الاستفهام، للسؤال عن حال هاته البحيرة، وعن سبب حيرتها والمقصود هنا بالبحيرة بحيرة طبرية ، ثم يسترسل مستفسرا طالبا لجواب إما إيجابا أو سلبا، حين يسألها مستخدما اسم الاستفهام " هل "، " فهل تشهدين لأبي الطيب بالنبوة ؟ " دلالة على التقدير لأن الابراهيمى هنا يذكرها بأنها سبق وان شهدت لبدر بن

(1) المرجع السابق، ج3، ص 528.

(2) الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان، ط2، 1427هـ، 2007م، ص164.

(3) كتاب الجمل في النحو ،للخليل أحمد الفراهيدي، شرح وتعليق: محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف الإسكندرية ، (د ت) و(د ط)، ص91

(4) الخلاصة التحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420هـ - 2000 م، ص 142.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 520.

عمار بالفتوة، فهل يمكنها أن تشهد لأبي الطيب بالنبوة؟، لأن البحيرة هنا على علم بما سبق إليها من خلال السؤال والمنتظر منها فقط الإيجاب، وكان نظام الجملة المتبع هو: (هل الاستفهامية) + فعل مضارع (تشهدين) + شبه جملة جار ومجرور (لأبي الطيب) + شبه جملة جار ومجرور (بالنبوة) وقد وردت أي و أم في الفقرة، طلبا للفهم المستلزم إجابته في المقامة حين قال: "أيهما كان عليك بليّة، ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي وردك خائرا"⁽¹⁾، وكأن بالإبراهيمي يريد حمل البحيرة على الإجابة بأن هذا الخائر هو البليّة، الذي تسبّب في بلائها، وقد جاءت "ما" الاستفهامية مسبقة بحرف جر حذفت ألفها تلاها فعل مضارع في قول الإبراهيمي: "أيها العربي: الحق سافر والعدو كافر، والقوي ظافر فعلام تنافر خصمك إلى خنافر؟"⁽²⁾، يحذّر الإبراهيمي في هذه الفقرة العربي من مغبة منافرة العدو، بسبب عدم تكافؤ الطرفين.

أما في المقامة الثالثة فقد ورد الاستفهام ب"هل" دلالة على الحقيقة وذلك في قول الإبراهيمي: "أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو من محارب؟"⁽³⁾، بدأت هاته الجملة بالمنادى أيها ثم تلاها البدلا لأعراب مما يدل على أن الإبراهيمي قد خصّ بكلامه العرب، ثم جاءت الجملة الاستفهامية مبدوءة بهل وهي من أدوات الاستفهام الأصلية، للدلالة على هذا الواقع المساوي الذي يعيشه العرب، واستعمل الإبراهيمي لفظ بقايا وجاءت "بقايا من حرب أو من محارب دلالة على خنوع العرب واستسلامهم وهو حقيقة أصبحت ملازمة للعرب على الدوام.

كما ظهر الاستفهام في نهاية المقامة بالهمزة وهل دلالة على الإنكار والتعجب، قال متعجبا "أيها العرب: أطعمم الكبراء فأضلّوكم، وخضعتم للأمرء فأذلّوكم حتى لنتم العاجم، ودنتم للأعاجم حتى ألقيتهم بالمقاود، لمن سماهم أجدادكم رقاب المزود، فويحكم: أغنيّ ويقترض، ومحجوج ويعترض؟ عزّ الداء وغاب الآسي... لم يأس جراحكم ألف دكتور" فهل يأسوها

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 520.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 523.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 524.

أما في الاستفهام بـهل ، فقد سأل الابراهيمى العرب متعجبا : لم يأس جراحكم ألف دكتور فهل
يأسوها دكتاتور ؟

أَحْنِي الزَّمْنَ عَلَى الْيَمَنِ ***** أَبْدِلْهَا صَابَا بَمَنْ

مغصوبة بلا غم _____ *****دستورها لا تفهم

لا تقرأن لا تعلمن ***** سل سيفها أنت لمن ؟

سل سَيْفها بيد من؟ **** أْغْرِبَة على دمن

لا ناصر لا مؤمن ***** عد للحمى يا ابن اليمن

جد بالدماء من غير من ***** إن لم تذذ عنها فمن ؟

يا ذا جدن أينت عدن ؟ روح جنت على البدن "(2)

تكرر استعمال "من" الاستفهامية في هذه الأبيات الشعرية بدلالات مختلفة ومتباينة فنراه أولاً يسأل السيفَ أي ساحل البحر هو لمن أي من هو المسؤول عن هذا السيف ، ثم يسترسل متسائلاً : "سل سيفها بيد من ؟ أما في الحملة الاستفهامية الثانية فيخاطب السيفُ بيد من ؟ لأن صاحب

(1) المرجع نفسه، ج3، ص525.

(2) المرجع السابق، ج3، ص 527.

هذا السيف هو مجهول، كمالك السيف دلالة على التعجب فكيف لسيف ينتمي جغرافيا لليمن، ويجهل هو تابع لمن، وسيف هو بيد من.

ثم يخاطب الإبراهيمي ابن اليمن، قائلا: "إن لم تذد عنها فمن؟" أي من يزود عنها، فكونك يمنيا يستدعي الواجب الوطني منك الذود عن وطنك جاءت من هنا دلالة على التعيين، موجهة للعاقل أي ابن اليمن، أما أين فجاءت للاستفهام عن المكان، فيخاطب الإبراهيمي هنا ذوءا من أذواء اليمن قائلا: "يا ذا جدن أينت عدن؟ وجهه الإبراهيمي سؤاله إلى ذوء جدن مستفسرا عن مكان عدن لأنه أصبح مجهولا، وأراد الإبراهيمي بالاستفهام عن مكان عدن بعدين إما بعدا حضاريا نظرا لما تمثله عدن من رمزية تاريخية، وبعدا مكانيا أراد به الإبراهيمي حيزها الجغرافي الذي لحقه الدمار فطمست الآثار الدالة على الحياة باستعماله لفظ دمن.

كما وردت أداة الاستفهام "أين" في موضع آخر عند حديثه عن اليمن قائلا: "سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، وما سعدوا ولا سعدت، فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم وكانوا سعداء بك؟ أين أنت من سعد العشيرة وحماة الأهل والجيرة؟ أين أنت من حمير وأشياهم وتبع وأتباعهم؟ أين؟ لا أين... "(1).

يظهر جليا في هذه الفقرة خروج أين الاستفهامية من الدلالة على المكان إلى الدلالة على الزمان الماضي والحاضر فعندما قال: "أين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم" إذ تدل اليوم على الزمن الحاضر ثم استدل على الزمن الماضي بالفعل الناقص "كنت"، أما حين اختتم الفقرة بقوله: "لا أين... " دلالة على التوبيخ والإنكار وضرورة التوقف عن طرح الأسئلة.

ورد اسم الاستفهام "ماذا" في مقامات الإبراهيمي مقترنا بحروف الجر "الباء" و "اللام" في الفقرة الأخيرة من مقامته الخامسة، قال: "ويا أخلاف، ماذا صنعتم؟ وبماذا اقتنعتم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها وجهلتم مواضعها، فهل النسب مدخول، أو الانتساب غير

(1) المرجع السابق، ج3، ص528.

مدخول؟ ويلكم ! إنّ الألوان على الدّلالة أعوان، سوّد بنو العباس لسؤددهم، وبيّض العلويون لطهارتهم، وخضّر العبيديون لدعواهم ودعايتهم، وزرّقتهم ... لماذا؟ ...⁽¹⁾

يخاطب الإبراهيمي في هذه الفقرة العرب متسائلا عما قدّموه للعروبة، دلالة على ضعفهم وسوء صنيعهم ، ثم يختتم فقرته متعجبا تارة ومستفسرا تارة أخرى بقوله : "...لماذا؟..." ، وكأنّ بالإبراهيمي يقول لماذا لم تحافظوا على هذا الارث ؟ ولماذا لم تقدموا شيئا لهؤلاء الذين قدموا لكم الكثير؟ مما يوحي بأن لماذا هنا تحمل الكثير من الدلالات، توحى بالغضب والألم والتعجب من تقاعس الأخلاف الواضح.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ج3، ص 531.

4- جملة القسم:

"القسم من الأساليب التي لا يستغني عنها الانسان وتستعمل فيه جملة تسمى جملة القسم وهي جملة فعلية لا يجوز ظهورها إلا مع حرف الباء فنقول أقسم بالله ، أحلف بالله " (1)

ونرى جملة القسم تظهر جلية في مقامات الابراهيمى مع حرف الباء وكذا استعماله في بعض المواضع لعبارة القسم كما في قوله : " أقسمت عليك بصرخد وتكريت وأمبابة وشبرخيت وعانة وهيت وبكل امرأة قالت لرجل هيت، فأبى وقال إني نهيت، فإن كنت لا تعرف هذا فأقسم عليك بالسلولة والكباريت وآفلو وتعظمت، وإن كنت لا تحسن إلا تروميت، فأعزم عليك بروميو وجولييت، وعطيل وهملت، وماري أنطوانيت، وفيكتوريا وإليزابيث، وسكان التوايت وقطان الحوانيت وان كنت لا تعرف إلّا تيهوديت، فأقسم عليك بدلا لیتومانديليت، والبيض المصاليات والأبطال المفاليت الذين خربوا البيت، وكسروا الجرة وأراقوا الزيت، أن تكفّ وتعفّ وتسرع في إيصال رسائلتي وتخف، ولا تدرّر وتلفّ، ولا تروّنها ولا تسف. " (2)

يخاطب الإبراهيمي في هاته المقامة هذا الشخص المجهول والذي يتسبب في كل مرة في ضياع رسائله وعدم إيصالها إلى أصحابها فجملة القسم تبدأ بـالفعل أقسم، مصحوبة بحرف جر ثم الباء وبعدها تتوالى مجموعة من الأسماء هي لأماكن وأشخاص وطرق دينية ، ثم لاينفك الإبراهيمي يشير إلى فكرة الاستعمار من خلال قوله " فأقسم عليك بدلا لیتومانديليت والبيض المصاليات والأبطال المفاليت الذين خربوا البيت وكسروا الجرة وأراقوا الزيت " (3)

القسم عند الابراهيمى مختلف هنا ، فالقسم يكون عادة بلفظ الجلال الله كأن نقول أقسم بالله أو أحلف بالله، لكن الإبراهيمي قد حشد هذا الزخم من الألفاظ مقسما بها ربّما لدلالة نفسية أراد من خلالها الكاتب أن يتحدث عن مكبوتاته بطريقة هزلية تارة وغاضبة تارة أخرى.

(1) التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2008 م - 1428هـ، ص 335.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 105.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص 105.

فيقول ناقدًا " أقسم عليك بالصور والطور والقانون المسطور، والقائد والمسطور، الذي شيع فانتفخ فأصبح امبراطور، وبالناطور الحامل للساطور، وبالجمل المقطور، في عربات الحنطور، والشيخ أبي طرطور، الذي هو على المكر مفطور وأسألك بالبور والتور، والشيطان المستور، وشيخ الدستور، في مكثرت وتستور، وبأمشير وهاتور، وكل دكتور يسمى باستور، وكل دكتاتور، سيفه باتر ورأيه مبتور، وكل من في رعيته من فكتور وكل من على يدك من رزق موسع أو مقتور"(1).

يتوالى قسم الإبراهيمي أسماء البلدان والأشخاص وكأن به يريد أن يقول أن هاته المقامة هي بطاقة علمية متشعبة المعلومات، منها ماهو جغرافي ومنها ماهو علمي وديني، فكلمتي الدستور ودكتاتور هي دلالة نقد لاذع خصّ به الحكام العرب، فلا تخلو للإبراهيمي مقامة إلا وتحمل بين طياتها أفكاره الإصلاحية ونقده الواضح و الصريح لأحوال الأمة وحكامها فقال: " وإن كنت فقيها فأسألك بكل من شرّع الحيلة، وفرق بين الحليل والحليلة، وترخص في الدماء والفروج، وأباح للنساء التبرج والخروج، وبكل من عطل الحدود، وأرخص العنان للشهود، وتساهل في الأموال، وقد يحيى بن أكرم في بعض الأحوال، وبكل قاض بالنهار يرتشي، وبالليل ينتشي، وبكل عدل يسرق في الصباح ويفسق بالعشي".(2)

بدأالإبراهيمي نقده اللاذع والصريح بالفقهاء لأنهم مرجعية دينية يعتدّ برأيها، ثم انتقل إلى القضاة رمز العدالة والمساواة، فأقسم هؤلاء الذين يمتنون الرشوة والسرقة، والدلالة هنا ذات طابع اجتماعي بحث فالحديث عن فساد المجتمع دلالة على وهن قد حل برموز السلطة، ثم يتنازل تدريجيا ليمس جميع طبقات وشرائح المجتمع، فخطب الإبراهيمي هنا الفقيه والقاضي والصحفي والشاعر لأن في اعتقاده الخلل فكري بالدرجة الأولى.

غير الإبراهيمي عبارة القسم هنا فاستعمل الفعل " أسألك " وكذا" الباء" مستدلا بهما على القسم، وتتولى الجمل الاسمية، فنرى الشيخ يقسم بظروف تدل على فساد أخلاقي دبّ في المجتمع

(1) المرجع السابق، ج2، ص105.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص106.

وأشار إليه بعبارات واضحة وصريحة كقوله: " ترخصني الدماء والفروج، تساهل في الأموال وبكل هؤلاء القضاة الذين ينتشون في الليل ويرتشون في النهار" في طابع نقدي فكاهي يتسم بسخرية غرضها إصلاحية بالدرجة الأولى .

يستهلّ إبراهيمي مقامته السادسة في سجع الكهّان بالفعل أقسم فيقول: " أقسم بالذّيب الأطلس، والثّعبان الأملس، إنّ المتّجر بالأحرار لمفلس، وإنّ العاقل بين الأشرار لمبلّس ، وإنّ العربي لزّيم إذا بقي في المجلس، ذهب العزّ الأفعس، وحلّ الجدّ الأتّعس، ونزل من غير الزّمان ما أنسى التّسيب في الكتيب الأوعس ، والتّشبيب بالثغر الألعس"(1) يعود الإبراهيمي في كل مرة للحديث عن مجد العرب الضّائع فقسمه هنا مبنّي على واقع معاش.

توالى الجمل الاسمية بعد جملة القسم كدلالة على ضعف أصبح شبه متأصّل في الشخص العربي، ففي قوله " وإنّ العربي لزّيم إذا بقي في المجلس " أراد به ضعف العربي والخسارة والمجلس هنا مجلس الأمن الدولي والذي يتولّى حلّ النزاعات الدولية بطرق سلمية .

"أما محتوى هذا الحديث، فإنه محتوى شريف، فقد صور الإبراهيمي ما أصاب فلسطين في سخرية ممضة، وتهكّم لاذع، وألم عميق، مما أصاب هذا الشعب العربي الممتحن من أذاة اليهود وعبيد أرويا، وأوباش أمريكا وقد جاهد الإبراهيمي نفسه جهادا شاق ليلسط الأضواء الكشّافة في حديثه هذا، وفيما يتلوّه من أحاديث أو مقامات أخرى وقد كان قلمه غاضبا شديدا، فكان يرمي بالألفاظ الحادة العنيفة " (2)، فيقول متحسرا غاضبا: " تالله ، ماضعت فلسطين اليوم ولكنّها ضاعت يوم وعدوا بها، فركنوا إلى العمل وركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالتّذر، ولم تأخذوا الحذر"(3)، يقسم الإبراهيمي جازما في هاته المقامة أنّ فلسطين ضاعت بفعل تقاعس من العرب، " والتّاء دخلت هنا على اسم الله تعالى فحذف

(1) المصدر السابق، ج3، ص 532.

(2) لمحة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 م - 1954 م، عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م، ص 134 .

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 533.

الفعل المقدّر بأقسم بالله تحقيقاً⁽¹⁾، فهذا القسم هو قسم ربطه الإبراهيمي بنكبة العرب أجمعين وخسارتهم المؤلمة والموحشة لأرض فلسطين.

يواصل الإبراهيمي حديثه قائلاً: " لأقسم بذات الخفيف ، والجنّاح الخفيف، المشاركة في جوّها للخفيف، وبالسّر المودّع في التجاويف والتلايف، وبالمغيرات عليها التجاويف، والمغيرين على الحق كالعاهر ابن العفيف وبالسابغات والسوابغ من الدروع والجلابيب"⁽²⁾.

ابتدأ الإبراهيمي جملة بقسم مسبق بلا ومقسم به بدأت جملة بالباء، أمّا جملة جواب القسم فهي تبدأ من قوله:

" إنا الطيب المتّبي لمن موالينا ، ومن تلقى الكهانة عن أوالينا ، وإنّه مادعي بالمتّبي إلاّ لأنّه كان شاعراً كاهناً"⁽³⁾ وكانت دلالة القسم هنا التوكيد على أنّ المتّبي هو شاعر، ولكنّه في نفس الوقت كاهن من الموالين للكهانة والكهّان، وكان سبب إيراد المتّبي وربطه بالكهانة قوله: " وقعت على الأردن منة بليّة"⁽⁴⁾ فهو من " الكهانة الكاهنة بالحالة الراهنة " وهو استشراف لما حلّ بالعرب فقوله " الحالة الراهنة"⁽⁵⁾ هو إشارة إلى حال الركود والفساد التي يعرفها العرب .

5- جملة النداء:

" يعرف أسلوب النداء بأنّه تنبيه المنادى وحمله على الالتفات"⁽⁶⁾ ولما كان غرض الإبراهيمي حمل العرب على الالتفات لحالمهم، استخدم أسلوب النداء بكثرة في نسيجه اللغوي، جاءت جملة النداء في معظمها تبدأ بأداة النداء المحذوفة المقدرة يا والمنادى أيّ فتراه يقول: " أيها الأعراب هل فيكم بقايا من حرب أو محارب، دبّت بينكم العقارب وأنتم أقارب، فتكدّرت المشارب، وتقوّضت

(1) الملع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر عمان، الأردن، 1988 م، (د ط)، ص 122.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 521.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 521.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص 521.

(5) المرجع نفسه، ج3، ص 521.

(6) في النحو العربي، نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص 301.

المضارب، وكهمت المضارب⁽¹⁾ ينادي الإبراهيمي هنا على العرب قائلًا أيها العرب فأني هنا هي المنادى والعرب بدل، يبدوا الإبراهيمي في هاته المقامة متحسرا منبها العرب، لأن العاقبة ستكون وخيمة، فهو هنا يدعوهم إلى الاستيقاظ من هذا السبات الطويل الأمد، وإعادة بعث أوصل المحبة والأخوة، ولا يتحقق ذلك عنده إلا بالعودة إلى حكمة الأسلاف، والتي يقول في شأنها مناديا العرب: "أيها العرب: ما أضيع حكمة الأسلاف عنكم، لقد أبقوا لكم من حي السماء وحكمة الحكماء، مالا يبله التراب، ولا تنسيه الأحقاب"⁽²⁾.

يريد الإبراهيمي من خلال هذه المقامة أن يشير إلى القمة أو الدلالة المعرفية لهاته الحكمة حسب الإبراهيمي، وحدة العرب التي لا تتحقق إلا إذا عادوا إلى حكمة الأسلاف والتي يشير إليها أولا بوحى السماء، المتمثل في القرآن الكريم والذي كرّم به الله سبحانه وتعالى العرب، إذا اختار آخر أنبيائه عربيا، ولسان حاله عربيا حلّ جلاله، ثم انتقل إلى حكمة الحكماء بدءا بالمصطفى عليه أزكى السلام، والحكمة هنا أراد بها منهجهم في التفكير والتدبير، فالجد إرث ورثه العرب عن أسلافهم ولكنه يوشك أن يضيع حسب رأي الإبراهيمي بسبب سوء صنيع الأخلاف، فيخاطبهم قائلا: "أيها العرب: أطعمتم الكبراء فأضلّوكم، وخضعتهم للأمرأ فأذلّوكم، حتى لنتم للعاجم ودنتم للأعاجم، وحتى ألقيتهم بالمقاود لمن ستمهم أجدادكم رقاب المزاد، فويحكم أغني ويقترض ومحجوج ويعترض؟ عزّ الداء وغاب الآسى ... لم يأس جراحكم ألف دكتور فكيف يأسوها دكتاتور"⁽³⁾.

وجّه الإبراهيمي خطابه هنا للشعوب العربية الخاضعة لذلّحكامها، فهو هنا ينادي فيهم النخوة العربية ويدعوهم إلى التخلّي عن هؤلاء الملوك والقواد.

كان لليمن حظّ وفير في مقامات الإبراهيمي نظرا لما حلّ بها وبأهلها من شتات في الرّأي فنراه يقول فيها: "يا بلاد الأذواء لا أقول وفيت الأسواء، ولا أقول سقيت الأنواء، ولكن ثكلت الأبناء

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 524.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 525.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 525.

يا مطارح الأبناء، فكل أدوائك من أبنائك، فإذا كان الولد سخنة عين، ومجلبة عزّ وشين فالثكل فيه نعمة لا رزية، والعقم فيه فضل ومزية" (1)

يبدو الإبراهيمي في هذه المقامة غاضبا على اليمن، حزينا على حالها فأطلق عليها بلاد الأذواء فنراه يوجه خطابه هنا إلى اليمن، متحسرا على زمن كان للعرب فيه مجد تلد ثم أصبح هؤلاء أي الأخلاف، عراة ورعيه لراع ترعيه، فخراب لليمن في الأخير، يشير الإبراهيمي إلى السبب قائلا: "وأعرضتم عن سنن الله فباعد بين قلوبكم، وكنتم أهون عليه من أن يسير فيكم حديث." (2)

يعقد الإبراهيمي مقارنة بين الأخلاف والأسلاف فيقول مناديا "يا أسلاف، ورثتم الحكمة وسيرتم الأمثال والفقر، وعمّرت من التاريخ صحائف بالحامد، وشغلتم القرون بالحديث عنكم وشددتم الباقيات للحضارة، وزيّتم الحياة بالقوة، والبأس الشديد، وسبقتم العالم إلى موارد العزة في الدنيا، ووقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون وتحكمون وتصلون شرقها بغربها." (3)

غرض الإبراهيمي هنا الإشارة إلى تجدد حصل في حياة العرب فبدأ فقرته بمخاطبة الأسلاف بأداة النداء (يا) ثم استخدم الجمل الفعلية متسلسلة، للدلالة على الحركة والمرونة وهو يعرض بالدرجة الأولى إلى مجد العرب الدائع الصيت آنذاك.

أمّا الأخلاف فيخاطبهم الإبراهيمي مستفسرا عما قدّموه لعروبتهم بقوله: "ويا أخلاف ماذا صنعتم؟ وبماذا اقتنعتم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغربي مواقعها، وجهلتم مواضعها، فهل التسب مدخول؟ أو الانتساب غير منحول؟ ويلكم إنّ الألوان، على الدلالة أعوان، سود بنو العباس لسؤدهم، وبيّض العلويين لطهارتهم، وخضّر العبيديون لدعواهم ودعايتهم، وزرقتهم... لماذا؟" (4)

(1) المرجع السابق، ج3، ص 528.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 531.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 531.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص 531.

عيّن الإبراهيمي في هاته الفقرة الأخلاف بعد أداة النداء ، فبعد جملة النداء ، أتت الجمل الاستفهامية متوالية دلالة على التوبيخ والتهكّم فقوله " ماذا صنعتم ؟ وبماذا اقتنعتم ؟ فهل التسب مدخول ؟ " فدلالة هاته الجمل الاستفهامية بعد النداء هي الحقيقة ، فالإبراهيمي هنا يذكر العرب بحالهم ويحذرهم من هذا الدّخيل الطّارق ، وهذا الاستفهام إنّما للاستفسار عن سبب هذا الواقع، فدور الأخلاف كان سلبياً نحو ارثهم الذي جدّ فيه الأسلاف أيّما جدّ، وكان تأثير ذلك جلياً على حياتهم فأصبحوا هائمين، نائمين، فاقدين لكرامتهم فيقول غاضباً: " أيّها الهائمون في البيد، التّائمون على الذلّ المبيد، الرّاضون بعيشة العبيد "(1)، استهل الإبراهيمي الفقرة بـ (أي) متبوعة بأسماء الفاعلين: الهائمين، النائمين، الرّاضين، دلالة على بؤسهم ثم يخلص في الأخير إلى التصريح بقوله: " أيها العرب بعضكم أبرار وجلّكم أشرار وكلّكم أغرار "(2)

نجد الإبراهيمي في مقامته كثير الاستعمال لأسلوب النداء فكلمة العرب كثيرة الورد مقترنة بـ (أي) تحمل دلالة التّقرير جاءت كنتيجة ختم بها الإبراهيمي مقامته السادسة . ونستنتج مما سبق أن الإبراهيمي لجأ إلى استعمال أدوات نداء مختلفة وذلك إذ كان المنادى متراحياً عن المنادى " (3) فاستعمل الإبراهيمي يا، أي، أ، بغرض التأثير في المنادى وحمله على الاستماع.

(1) المرجع السابق، ج3، ص532.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص523.

(3) شرح مفصل الزمخشري، ابن يعيش ، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001 م-1422هـ، ص361 .

2- دلالة الظواهر التركيبية :

أ- التقديم والتأخير:

" إنَّ الدلالة النحوية نظام رمزي يحكم بناء الكلام ويوجّه سيره حتى يكون دالا وفق نظام معين"⁽¹⁾ ولما كان " التركيب هو النظام المنجز الوحيد المحافظ على اكتمال في البناء وعلاقات الإسناد "⁽²⁾ الموجودة بين المسند والمسند اليه وهما اللبنة الأساسية لبناء أي جملة مهما كان نوعها وترد هذه العناصر إما مرتبة ترتيبا منطقيا، تخضع فيه لقواعد النحو التركيبية أو يتغيّر نظامها لخدمة أغراض مقصودة، وعن أثر التقديم البلاغي يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن ، واسع التصرف، بعيد الغاية ، لايزال يفتر لك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروّك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن سبب ان أراقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"⁽³⁾.

وقد ورد التقديم والتأخير في مقامات الإبراهيمي في مواضع كثيرة ومختلفة، فقال في رثاء ابن باديس : " يا قبر عزّ على دفينك الصبر وتعاصى كسر القلوب الحزينة على من فيك أن يقابل الجبر "⁽⁴⁾.

قدّم الإبراهيمي هنا الجار والمجرور " على دفينك " لوصف هاته المصيبة التي ألّت بالجزائريين جرّاء فقدانهم مرجعية علمية ذات وزن ثقيل، مما زرع في نفوسهم الحزن والأسى، وآخر الفاعل "الصبر" في هذا المقام لأغراض بلاغية منها المحافظة على الفواصل الموسيقية (الصبر ، الجبر). ثم لاهتمام من الابراهيمى هؤلاء الذين دفنوا ابن باديس تنبيها على خسارتهم الفادحة بذهاب شيخ العلماء، العلامة ابن باديس ، أمّا تقدير الجملة فهو : " يا قبر، عزّ الصبر على دفينك ".

(1) إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2003، ص 162.

(2) المصدر نفسه، ص 137.

(3) دلالة الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رضوان الدايدة وفايز الدايدة، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2007م-1428هـ، ص143.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص57.

والإبراهيمي في اعتماده التقديم والتأخير يتبع نظاما دقيقا للجملة، فعند قراءتنا لهذه الجمل نكتشف التشابه الكبير في نظام ترتيب الكلمات على نحو ما جاء في هذه الفقرة من مقامته "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" قال "ومات الشخص الذي كان يصطرع حوله النقد، ويتطاير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمت الاسم الذي كانت تقعقع به البرد، وتتحلى به القوافي الشرذ، ولا الذكر الذي كانت تطنطن به الأنباء وتتجاوب به الأصدا، ولا الجلال الذي كانت تعلو له الرقاب، وتنخفض لمجالة العقاب، ولا الدوي الذي كان يملأ سمع الزمان ولا يبيت منه إلا الحق في أمان"⁽¹⁾.

ويتضح من هذه الفقرة أنّ الجمل هي اسمية قدم فيها خبر كان وهو جملة فعلية، فكانت كالاتي

1- " مات الشخص الذي كان يصطرع حوله النقد "

2- " ويتطاير عليه شرر الحقد "

3- " ولكن لم يمت اسم الذي كانت تقعقع به البرد "

4- " وتتحلى به قوافي الشرذ "

5_ " الذكر الذي كانت تطنطن به الأنباء "

6_ " ولا الجلال الذي كانت تعلو له الرقاب "

7_ " وتنخفض لمجالة العقاب "

8_ " ولا يبيت منه إلا الحق في أمان "

والتأخر في هاته الجمل يتضح له توسط الجمل الفعلية التاسخ كان واسمه وهو " توسط جائر مع

جميع أفعال هذا الباب (النواسخ)"⁽²⁾ ، وهو نظام ثابت إذ المقدم دائما هو جملة فعلية أو

شبه جملة جار ومجرور: كان + خبر كان مقدم (جملة فعلية + جار ومجرور) + اسم كان

والتقديم هنا جواز الخدمة أغراض بلاغية، وكذا للدلالة على الاهتمام الذي حظي به ابن باديس

من طرف زميله إذ راح الإبراهيمي يعدّ مناقب الرجل ومزاياه ومنجزاته العلمية والأدبية لبيان

(1) المرجع السابق، ج2، ص58.

(2) شرح ابن الناطم على ألفية ابن مالك، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ-2000م ص

فضله الجَم في خدمة الدِّين والعلم في الجزائر، فعظمة الرَّجل تكمن في مواقفه ومنجزاته، أمّا هذا التّرتيب الثّابت فأراد به الإبراهيمي الحفاظ على الفواصل ومراعاتها ، ثم لإبراز جماليات أسلوبه اللغوي، وتقدير هذه الجملة: " ومات الشخصُ الذي كان النَّقْدُ يصطّرع حوله، ويتطّير شرُّ الحقد عليه، ولكن لم يمت الاسم الذي كانت البرْدُ تقعقع به، وتتحلّى القوافي الشرّد به، ولا الذّكرُ الذي كانت الأنباءُ تطنطن به وتتجاوب الأصداءُ به ، ولا الجلال الذي كانت تعنوا الرّقاب له، وتنخفض العقابُ لمجلاه ، ولا الدّوي الذي كان يملأ سمع الزمان، ولا بيت إلّا الحقُّ منه في أمان ."

كما ورد في مقامات الإبراهيمي تقديم شبه الجملة (جار ومجرور)، في محل خبر عن المبتدأ وهو الأكثر هيمنة على مقاماته، فتراه يقول في هذه الفقرة : " كلام الكاهن ليس بالواهي ولا الواهن ، كائنًا وخزه الماء، أو لمستّه السماء ، ففيهمن الماء إिरاق ، وفيه من السّماء إشراق¹ "يتقدم الخبر(شبه جملة) عن المبتدأ خدمة لأغراض بلاغية هي: المحافظة على الفواصل، ثم دلالة على القيمة التي حظي بها كلام الكاهن فهو يشبه الماء في إيراقه والسماء في إشراقها، دلالة على اهتمام الإبراهيمي بصفات كلام هذا الكاهن وتقديرها : " كلام الكاهن ليس بالواهي ولا الواهن ، كائنًا وخزه الماء ، أو لمستّه السماء ، ففيه إيراق من الماء ، فيه إشراق من السماء ."

وظهر التقديم في مقامات الإبراهيمي واضحا لأنه يقدّم فيه جملة الخبر عن المبتدأ وهو لأبلغ إذا أن " أهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة وتحريك الكلمة أفقيا إلى الأمام، أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي"(2)

(1) إثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 519

(2) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع لونهمان، ط1، 1995م، ص 162.

دلالة الحذف :

يعدّ الحذف من الظواهر الدلالية المختصة بالجانب التركيبي، " وهو ما يكون بحذف والمحذوف إمّا جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة "(1) وهو على وجهين : أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف، والثاني أن يقام مقامه ما يدلّ عليه " (2) يؤدّي المعنى بطريقة كأنّها السّحر يدرك السّامع البعد الدلالي أو يحار في تقدير المحذوف "(3)، ويكون الأثر ظاهراً باختلاف الدلالات، لم يعتمد الإبراهيمي إلى الحذف بكثرة في مقاماته ، إلا ما كان منه لخدمة أغراض بيانية، كقوله في رثاء زميله وابن باديس : " يا ساكن الضّريح ، مت فمات اللّسان القوّل ، والعزم الصوّال والفكر الجوّال "(4).

يلعب السّياق دوراً مهماً هنا في تقدير المحذوف ، لأنّ المقامة قد أُلقيت في الموقف الرثائي لشخص ابن باديس ، وهو شخصيّة علميّة غنيّة عن التعريف ، والملاحظ هنا أنّ المحذوف معلوم به دلّت على شخصه هاته الصّفات المتتالية والتي نلمس فيها جانب المبالغة ، ودلالة التّعظيم لشخص ابن باديس .

والظّاهر في توالي هذه الجمل لجوء الإبراهيمي إلى حذف المسند في كل جملة للحفاظ على الطّابع الإيقاعي والفواصل الموسيقية ، أمّا تقديرها فهو : " يا ساكن الضّريح، مت فمات صاحب اللّسان القوّل ، وصاحب العزم الصوّال وصاحب الفكر الجوّال " ، كما يقول الإبراهيمي في مجموعته المقامية سجع الكهّان : " نحن الكهّان ، أفراس رهان ، منّا السّابق المصلّي ، ومنّا الأبق المولي " (5).

إنّ الملاحظ لهاته الجمل، يجد الإبراهيمي يعتمد التّمط ذاته في التّركيب، إذ يلجأ إلى إسقاط المبتدأ وهو " الكاهن " للعلم به، كما أسهمت الحركة الإعرابية في تقدير المحذوف، فعلامة لفظ

(1) الإيضاح في العلوم البلاغية، الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم ، بيروت لبنان، ط1، 1988 م - 1408 هـ ، ص 177.

(2) المصدر نفسه، ص 184.

(3) المسافة بين التّنظير التّحوي والتّطبيق اللّغوي، خليل أحمد عمارة ، دار وائل عمان، الأردن، ط1، 2004 م - 1425 هـ، ص 224 .

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص58.

(5) المرجع نفسه، ج3، ص518.

"السابق" هي الرّفْع مما أشار إلى أنّ المحذوف هو مبتدأ مرفوع ، جاء تقديره بعد " رصد دقيق للصورة الشكلية"⁽¹⁾ للجملة، وتقديرها هو: "نحن الكهّان، أفراس رهان، الكاهن السابق المصلي منّا والكاهن الآبق المولي منّا"

كما تظهر جدليّة الحضور والغياب في مقامات الإبراهيمي في قوله: " أنسيتم يوم تنادوا مصبحين ، وتعادوا مسلّحين ، تداعوا مصطلحين ، وتعاووا من كل حذب ، وتهاووا من كل صبيذوبان تقدّمها رهبان ، وغربان تظللها صلبان بنفوس من الحقد نائرة ، وقلوب بالبغيضاء فائرة تنازعكم إرث الإسلام ، ومعراج نبي السلام ؟ أنسيتم ما فعله صلاح الدّين بالمعتدين ؟ إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرون، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود؟ أم أين كنتم يوم جاؤوكم بالعهود في المهود ؟"⁽²⁾.

أسقط الإبراهيمي في هذه الفقرة لفظي العرب والغرب ولكنّه أكثر من استخدام الأفعال والصّفات لغرض دلالي كالتحقير لشأن العرب والإشارة إلى غفلتهم وسباقهم الدائم ، أمّا الغرب فليس بغرض التعظيم وإنما أراد الإبراهيمي هنا تحذير العرب من هاته الذؤبان والغربان . فتصرّف الإبراهيمي في هاته الجمل دال على نفسيّة وغضبه الواضح فترجم ذلك في تمرّده على المستوى التركيبي لهذه الجمل، فضلا عن ذلك اهتمامه بالجانب الموسيقي ومراعاة متطلبات المقامة جماليا وفنيا، أمّا حذف المحذوف هنا (العرب والغرب) فقد جاء عمدا من الإبراهيمي ، فقد ركّز على الأفعال، لأنّ المهم هنا حدث القدوم أي قدوم هاته الغربان التي تنازع العرب في إرثهم وذلك أعظم ، " ولا يهم ذكر فاعله لأن ذكره قد يشعل المستمع عن الحدث وهو الأساس هنا ."⁽³⁾ ويكثر في مقامات الإبراهيمي حذفه للفظ العرب تركيزا منه على حالهم وما آلوا اليه فيقول في هاته الفقرة : " إن الزّمان الذي جرّ إلى جرّهم وخثا على خثعم، قبل أن يأتيهم بنذير،

(1) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، ص 184 .

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 533.

(3) ظاهرة الحذف بين النّحو والبلاغة، سليمان أبو عيسى، مقالات متعلّقة (الانترنت) تاريخ الصدور : 9-10-2007-ص 6.

أويلوهم بتحذير"⁽¹⁾، حذف لفظ العرب هنا لوقوعه مفعولا به، وهنا ركّز الإبراهيمي على ما وقع على العرب إثر تقاعسهم أما تقدير الجملة فهو: "إنّ الزّمان الذي جرّ العرب إلى جرّهم وحثا العرب على خثعم"، ركّز الإبراهيمي في هذه الجملة على الفعل الذي كانت نتائجه وخيمة على العرب، إذ أدّى إلى شتاتهم وفراقهم، فراع هنا الإبراهيمي المحافظة على مقتضيات الفواصل الموسيقية باعتماد السجع في نهاية الجمل.

وأخيرا نستنتج أنّ الحذف باعتباره ظاهرة نحوية ذات بعد دلالي يؤدي أثرها إلى تمايز الدلالات واختلافها، ولكنّ الصّعب هنا تقدير المحذوف خاصة بغياب العلامة الإعرابية أو السياق مما يؤدي إلى حدوث "اللّبس، ونحتاج ساعتئذ إلى إعمال الذهن والمنطق، والبحث عن المعنى لمعرفة المحذوف"⁽²⁾ "مما يؤدي إلى فرز" دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي، وفيها كثير من إمكانات المبدع في استعمال الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة"⁽³⁾.

دلالة الاعتراض:

إنّ الحديث عن الاعتراض كظاهرة نحويّة يظهر أثرها على المستوى الأفقي للتركيب يسوقنا إلى الحديث عن التقديم والتأخير نظرا لتداخلها، فكلاهما يدرك أثره وفق تركيب عناصر الجملة وكأنّ الاعتراض "اختراق للقواعد الثابتة للجملة والعدول عن إتباع القواعد النحويّة، إذ يعتمد على تحويل إحدى عناصر التركيب عن منزلته و اقحامه بين عناصر من خواصها الترابط والتسلسل ويسلمنا إلى عملية تحريك للصياغة شبيهة بعملية التقديم والتأخير"⁽⁴⁾، هذا فيم يخصّ الجانب النحوي إذ المصطلح هو نقطة مشتركة بين النحو والبلاغة، فأولاه علماء البلاغة القدر الكافي من الدّراسة وعرفوه على هذا النّحو: "الاعتراض وبعضهم يسمّيه الحشو، واحد كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله"⁽⁵⁾

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 529.

(2) عناصر تحقيق الدلالة في العربية، صائل رشدي شديد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2004م-1425هـ، ص 138.

(3) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، ص 188.

(4) المصدر نفسه، ص 165.

(5) المثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير، قدمه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نضلة مصر للطبع والنشر، (د ت) و(د ط)، ج3، ص 40.

إن المتفحص لمقامات الإبراهيمي تجده اعتمد الاعتراض على نحو قليل في مقاماته مما جعل حصره يسيرا، وحسبنا نلق الضوء على بعض العيّنات ، والظاهر في هذه الجمل لجوء الإبراهيمي دائما إلى تغيير موقع الجار والمجرور حسب ما يتماشى مع التركيب ومحاولة الخروج باللغة من طابعها التّمطي إلى الإبداع ، فكان (الجار والمجرور) شبه جملة المعترض في أغلب الأحيان وقد يرد فاصلا بين المبتدأ والخبر كقول الإبراهيمي : " فهم - كعهذك بهم - رعاة لعهد الله في دينه. " (1)

ورد الجار والمجرور في هذه الجملة فاصلا بين الضمير المنفصل هم والذي هو في محل رفع مبتدأ ورعاة وهو خبره، فأثر الإبراهيمي الاعتراض بقوله " كعهذك بهم " ، به يقول أنّهم مازالوا كما عرفتهم سابقا، يحملون راية العلم والإصلاح، أما تقديرها فهو : " فهم رعاة لعهد الله في دينه كعهذك بهم "

والملاحظ في مقامات البشير الإبراهيمي زحزحته لموقع الجار والمجرور دائما خدمة لأغراض دلالية ثم بيانية ، وهو من الشائع في اللغة العربية فنراه يقول : " وإذا كان الولد سخنة عين ومجلبه عرّ وشين فالثكل فيه نعمة لا رزية ، والعقم به فضل ومزية " (2).

تصرّف الإبراهيمي في نظام وترتيب هذه الجمل، ليكسبها دلالة جمالية ظهرت في حفاظه على الفواصل الموسيقية، فكان لذلك الأثر البالغ في نفس القارئ أو المتلقيّ أما تقديرها فهو : " وإذا كان الولد سخنة عين ومجلبه عرّ وشين ، فالثكل نعمة ومزية فيه ، والعقم فضل ومزية به " ونلاحظ في الجمل السابقة أن الإبراهيمي قد اعتمد التّمط ذاته في ترتيب الكلمات فهي جمل اسمية أقحم فيها الجار والمجرور (فيه وبه) بين المبتدأ أو الخبر .

كما ورد الجار والمجرور مدخلا بين الفعل والفاعل في قوله : " جاءتكم النذر تتلى، والمعجزات شفعا ووترا ، وقامت عليكم الحجة من ثلاثين حجة " (3)

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2، ص58.

(2) المرجع نفسه ، ج3، ص528.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص525.

تعمّد الإبراهيمي هنا إقحام الجار والمجرور " عليكم " لاهتمام منه خصّ به العرب بالحجّة هنا قائمة عليهم فلا مفر لهم سوى الخضوع والخنوع، فجاء الجار والمجرور وسطاً بين الفعل (قامت) وفاعله الحجّة أمّا تقديرها فهو : " قامت الحجّة من ثلاثين حجة عليكم".

الفصل الثالث:

المقول والمساحات الدلالية وأثرها في تحقيق المعنى

- 1- التقابل الدلالي
- 2- التقارب الدلالي
- 3- المشترك اللفظي
- 4- الدلالة الرمزية
- 5- الدلالة السياقية
- 6- المقول الدلالي

3 - الدلالة المعجمية

الظواهر الدلالية في مقامات البشير الإبراهيمي:

1 - التقابل الدلالي:

يعدّ التقابل الدلالي ظاهرة لغوية دلالية يظهر أثرها في السياق من خلال إيراد الألفاظ المتقابلة دلالياً لمقتضيات السياق المقامي، أما مفهومه فعرف بكونه: "التقابل مصطلح دلالي يعني: اختلاف دلالة لفظين أو أكثر اختلافاً عكسياً تضادياً"⁽¹⁾ كما عرف بأنه "ظاهرة تعني وجود لفظتين تحمل إحداها عكس معنى الأخرى"⁽²⁾

وردت ظاهرة التقابل في مقامات البشير الإبراهيمي بشكل كبير مما صعب في حصرها وطبيعة التحليل اقتضت التركيز على بعضها بالدراسة والتحليل، فقال الإبراهيمي في رثاء ابن باديس: "وسوافح من العبرات تنحل عزاليها ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها"⁽³⁾ قابل الإبراهيمي في هاته الجملة بين كلمتي أواخرها وأواليها تعمد الإبراهيمي هنا تقديم لفظ "أواخرها" دلالة على تأثيره الواضح بفقدان رفيق دربه فهاته الزفرات جاءت كدلالة على نفسية محطمة فكان التقابل الخفي ظاهراً بالتزامن مع الظاهر كون الدلالة نفسية بالدرجة الأولى عميقة عمق حزن الإبراهيمي فقال: "وتعاصى كسر القلوب الحزينة على فيك أن يقابل بالجبر ورجع الجدل إلى الاعتدال بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر"⁽⁴⁾

وقع التقابل في هاته الجملة حين استخدام الإبراهيمي لعبارتي "القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر" وكأن الإبراهيمي هنا يدعو القلوب الحزينة إلى ضرورة الصبر والتحمل إذ أن الأمر هم مجبرون على تحمله وليسوا مخيرين، أما في مقامته سجع الكهان فقد كان للتقابل عدة أغراض ودلالات تباينت بتباين آرائه الداعية إلى الإصلاح ونراه في هاته الفقرة معلقاً على الكهان فقال "نحن الكهان أفراس رهان منا السابق المصلي ومنا الأبق المولى كنا إرهاباً للنوبة ودليلاً للضعف إلى القوة"⁽⁵⁾، قابل الإبراهيمي هنا بين نوعين من الكهان النوع الأول هو الكاهن السابق المصلي والذي قدمه عن الكاهن الأبق المولى، فتقدم السابق المصلي كان لإبراز أثره في صلاح المجتمع واستقامته عكس

(1) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نمر، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م-1427هـ، ص538

(2) ظاهرة التقابل في علم الدلالة، أحمد ناصيف الجاني، مجلة الآداب المستنصرية، ع10، 1984م، ص4.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص355.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص57.

(5) المرجع نفسه، ج3، ص518.

وظيفة الثاني باعتبار أن هم الإبراهيمي الوحيد كان إصلاح حال أمته بصفة عامة فدلالاتهم إلى الضعف كانت بفعل فكرهم ومكانتهم فهؤلاء الكهان كانوا يتعمدون إخفاء شخصياتهم خوفا من بطش النظام ما يقرهم أكثر إلى الضعف منه إلى القوة. وقد أضفى تسلسل هذه الثنائيات المتقابلة على المقامة أثرا فنيا جماليا إذ صور لنا حقيقة الكهان مما ساعد في إطلاق دلالات أوضح مقترنة بشخصهم.

أما في هذه الفقرة فقد جمع الإبراهيمي بين لفظي الميت والحي وذلك في قوله: "أغضبت سراة الحي وأزعجت الميت منهم والحي من لؤي إلى أبي نمي"⁽¹⁾، تقدم ذكر الميت هنا على الحي إذ أراد الإبراهيمي هنا أن يعبر عن سخط من الأموات على الأحياء جراء عدم محافظتهم على إرثهم الفكري والعقائدي ومنه اشتغالهم عن حماية الرقعة الجغرافية فحسب الإبراهيمي هذا الدخيل تسبب في إزعاج الميت أولا باعتباره من سعى إلى التطور أما الحي فهو رهين فكره السطحي فلا يتم إزعاجه إلا بعد فوات الأوان.

قال الإبراهيمي في معرض وصفه للقوة العسكرية للعدو: "وسيوف مجربة، تخيرن من يوم تربة، وجيش دربه الغير وجربه إلا في الخير وبطانة مد بها الشيطان، أشطانه، وحاشية كالماشية، وأسماء بلا مسميات، ومجازات لا حقائق لها ومجازات كلها حقائق"⁽²⁾، قابل الإبراهيمي في هذه الفقرة بين عبارتي "ومجازات لا حقائق لها ومجازات كلها حقائق"، نلاحظ هنا الطابع الجمالي الذي ميز هذه العبارة فكيف للمجازات أن تكون حقائق، ثم أضفى عليها طابع الكلية بقوله "ومجازات كلها حقائق" دلالة على انتشار الفساد في هرم السلطة.

ويلجأ الشيخ في كل مرة إلى اعتماد ثنائية الموت والحياة دلالة منه على حال العرب فقال: "فإن قلت هذا عسير، فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير، شبر في الحياة وقبر في الممات"⁽¹⁾، اعتمد الإبراهيمي هنا نمطين من التقابل الأول كان بين الأفعال حين قال: "فعيشوا عيشة الأسير

أو موتوا ميتة الحسير" فثنائية الموت والحياة تميزها علاقة دلالية دالة على الوجودية، إذ أن الإنسان الحي هو إنسان موجود بفكره وعمله، أما الميت فتتعدم فيه الوجودية ويدخل ضمن إطار

(1) المرجع السابق، ج3، ص521.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص522.

(1) ج3، ص524 المرجع نفسه،

اللاوجودية فالإبراهيمي هنا يأمر العرب بأن يختاروا إما أن يرجع الأمر للشعب أو فليموتوا ميتة الحسير. أما النمط الثاني وهو السائد، فقد قابل فيه بين اسمين وهما الحياة والممات أي ثنائية الوجود واللاوجود.

كما اعتمد الإبراهيمي التقابل بين اسمين وذلك في قوله: "وضع الأجداد العقال للرجل فنقله الأحفاد إلى الرأس، وعدلوا به من الأباغر إلى الناس وما بين النقل والنقل ضاع العقل ... والتصرف في الأفعال كالصرف في الأموال فيه القصد والصرف"⁽¹⁾، قابل الإبراهيمي هنا بين لفظي القصد والسرف وسبقت بالأموال والأفعال مما يوحي بأن الإبراهيمي أراد هنا تحذير العرب من تصرفاتهم الغير مفسرة، فربط هنا لفظ الأموال بالأفعال فكما التصريف في الأموال فهو كائن في الأفعال، فالتبذير في الأموال أكيد يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس كذا الأفعال فالقصد فيها يضمن للعربي الحماية من الإفلاس وقد ساعد التقابل هنا في إيصال الصورة الفنية، ويتجلى ذلك من خلال تشبيه الأفعال بالأموال. مما أضفى على المقامة بعدا جماليا يتأثر به المتلقي.

ومن المواضع التي اعتمد فيها الإبراهيمي التقابل بين الأسماء، مقامته السادسة من سجع الكهان فقال: "كتب الله أن الصداقة مطوية على العداوة، وأن الحضارة متصلة الطرفين بالبداءة، وأن في الإنسان جبلة من الحيوان، مازال في التزوع إلى أصلها غير وان، وأن الضعيف طعام للقوي، وأن الرشيد في أبناء آدم مجرور بالغوي"⁽²⁾، تعج هاته الفقرة بالتقابلات من الأسماء أي الثنائيات وهي :

1- الصداقة ≠ العداوة

2- الحضارة ≠ البداءة

3- الضعيف ≠ القوي

4- الرشيد ≠ الغوي

سبقت هذه الثنائيات بأن دلالة على توكيدها، فكيف للصداقة أن تكون مطوية على العداوة والحضارة متصلة الطرفين بالبداءة وكأن الإبراهيمي هنا يساوي بينها، ثم يسترسل قائلا: وأن الضعيف طعام للقوي وهو قانون الغاب، فبدأ بالضعيف دلالة على العرب لأنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الضياع والاندثار، والسبب حسب رأيه أن الرشيد جرّه الغوي فتسبب في

⁽¹⁾ المرجع السابق، ج3، ص526

⁽²⁾ المرجع نفسه، ج3، ص532

ضياعه وفقدانه لرشده.توالت الشائيات المتقابلة هنا لتدل على نفسية الإبراهيمي المضطربة، ورغبته الجاححة في استئصال الفساد وإصلاح حال العرب أجمعين.

فتأثره هنا إشارة إلى التزامه الواضح بقضايا أمته وخاصة فلسطين، فيقول في هاته الفقرة متحسرا: "إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرين، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود أم أين كنتم يوم جاءوكم بالفهود من المهود؟ أم أين كنتم يوم آمنوا بإسحاق وكفروا بهود؟ كل ذلك وقع وأنتم شهود ولكنهم كانوا أيقاظا وأنتم رقود، أمعنوا في الاستعداد وأمعنتم في الرقاد، واعتمدوا على العلم والريال واعتمدتم على الجهل والخيال"⁽¹⁾، قابل الإبراهيمي في هاته الفقرة بين الأفعال والأسماء في قوله: "إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون" و"كفرتم بيومكم فهم له شاكرون" و"كانوا أيقاظا وأنتم رقود"، تقدمت الألفاظ الدالة على العرب، فهم قد نسوا أمسهم والذي هو إرثهم ومجدهم فذكره الغرب وبنوا عليه فكرهم، واستدل الإبراهيمي على ذلك باعتماد أسماء الفاعلين ذاكرون و"شاكرون" للدلالة على اتصاف الغرب بهذه الصفات على الدوام.

أما حين حديثه عن استعدادات الغرب فأستخدم الإبراهيمي لفظ "أيقاظا" دلالة على حرصهم واستعدادهم التام لغزو العرب الذين كانوا رقود، استعمل الإبراهيمي هنا رقود على وزن فعول وهي جمع كثرة دال على كثرة العرب واتصافهم بالغفلة والخمول، يوصل الإبراهيمي نقده اللاذع قائلا: "اعتمدوا على العلم والريال واعتمدتم على الجهل والخيال" إذ بالعلم أحدث الغرب ثورة صناعية قهر بها العالم أجمع، وكان العرب مطعمهم الأول، أما العرب فركنوا إلى النوم واعتمدوا على الجهل مما سمح للغرب باستغلال العرب، إذ الجاهل من لا يفرق بين ما ينفعه وما يضره.

أما النوع الثاني من التقابل فهو تقابل الأفعال والذي اعتمده الإبراهيمي في مقاماته لإطلاق دلالات أوضح قال: "فماذا نصنع؟ أنتقدم منذرين أم نتأخر معذرين؟ بل نحى الاسم ونميت. كما أمات الإسلام الرسم"⁽²⁾، ففي هاته الجمل الاستفهامية يبين الإبراهيمي سخطه من العرب، فقدم الفعل "أنتقدم" دلالة منه على الحسرة، وكيف لهم أن يتقدموا وهم ليسوا في مستوى هذا العدو، أما التأخير فهو إيذان بالخسارة والاستسلام.

⁽¹⁾المرجع السابق، ج3، ص 533

⁽²⁾المرجع نفسه، ج3، ص 519

أما فعلا "نحي" و"نميت" فهي من المتممات إذ أن الحياة والموت كلمتان متقابلتان إلى "مسافة إدراكية مقسومة كاملا إلى جزأين بشكل أنلا شيء يقع في الجزء الأول يجب منعاً لحدوث الغموض أن يقع في الجزء الثاني"⁽¹⁾.

أما في قول الإبراهيمي: "وهذه الرقاع من البقاع غير ملتامة ولا مرفوة طمست الوافي، ما خلدت القوافيوهفت الهوافي بالقوادم والخواني، وفرست العوافي، ما نامت عنه العيون الغوافي ماتت الاذواء، وعاشت الاذواد، وذهبت الأقيال وبقيت الأقياد"⁽²⁾، يعود الإبراهيمي من هاته الفقرة لاستعمال ثنائية الحياة والموت، أو الجوهر للدلالة على تغير في الأجيال اليمينية، ثم استعمل الفعلين "ذهبت" و"بقيت" يدل على تغير في المواقع الأساسية للحكام اليمينية فقصد بالأقيال الملوك، أما من بقي فهم الأقياد أو القواد واستعمل الإبراهيمي هنا صيغة أفعال دلالة على كثرتهم. وكل هذه الأفعال "تشير إلى تغير في حالة من نوع ما يمكن عكسها من حيث المبدأ حيث يشير كل فعل من هذه الأزواج إلى عكس نظيره في المجموعة نفسها"⁽³⁾.

⁽¹⁾ الموسوعة اللغوية، المجلد الأول ن. يكلونج، تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، جامعة الملك

سعود، الرياض، 2000م-1421هـ، ص 108.

⁽²⁾ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 529.

⁽³⁾ الموسوعة اللغوية، ص 159.

دلالة المشترك اللفظي

تعد ظاهرة المشترك اللفظي من الظواهر الدلالية التي اهتم بها العلماء اللغويون منذ قدم الزمان باعتبارها نوعا من العلاقات الدلالية، التي تأتلف من خلالها الدوال شكليا وتختلف دلاليا، فعرفه السيوطي في المزهري قائلا: "وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"⁽¹⁾، أما سيبويه فعرفه بقوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"⁽²⁾

يتضح من خلال هذين التعريفين أن السمة المشتركة هي كون المشترك اللفظي يتأتى من خلال وجود لفظ واحد دال على معنيين مختلفين فأكثر. أما أحمد مختار عمر فيعرفه بقوله "المشترك اللفظي: هو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى"⁽³⁾

لقد ورد المشترك اللفظي في مقامات البشير الإبراهيمي في سبعة مواضع، حاولنا أن نلقي الضوء على جميعها إذ أن الدراسة الدلالية تقتضي ذلك فقال في مقامته العزيمية: "وإن كنت من الإنس - وما الإنس هكذا تفعل - فأسألك باسم الجنس، ولام الجنس، والفصل والجنس، ولا التبرئة النافية للجنس"⁽⁴⁾، يتكرر لفظ الجنس في هاته الفقرة بشكل ملحوظ مقترنة بألفاظ قد ضيقت بعض الشيء من دلالاتها، فالأولى سبقت بكلمة "اسم" خص بها الإبراهيمي "كل شخص من ذلك الجنس عليه، ذلك "الاسم" أي جنس العفاريت وكل عفريت، أما لفظ الجنس الثاني فسبق بالحدد "علم" قصد بها الإبراهيمي الجنس كعملية فيزيولوجية تؤدي إلى تكاثر ذلك الفصل أو الجنس أما اللام السابقة للفظ فللتعريف بمهية هذا الجنس وحقيقته وأفراده هؤلاء العفاريت الذين يتسبيون في ضياع رسائل الإبراهيمي عمدا، أما الفصل والجنس على التعيين والتخصيص لهذا الجنس دلت عليه فعاله، أما كلمة الجنس الأخيرة فسبقت بلام التبرئة النافية للجنس للدلالة على نفي هاته الحال

(1) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، مكتبة دار التراث القاهرة، ط3، (دت)، ج1، ص 369.

(2) الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م - 1408هـ، ج1، ص 24.

(3) "ميز العلماء المحدثون بين أربعة أنواع من المشترك اللفظي وهي: 1- وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله معاني فرعية أو هامشية، 2- تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة، 3 - دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى، 4 - وجود كلمتين تدل كل منهما على معنى وقد اتحدت صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق" ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 146

(4) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص 105.

وقال في موضع آخر: "أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو من محارب؟ دبت بينكم العقارب، وأنتم أقارب فتكدرت المشارب، وتقوضت المضارب، وكهمت المضارب" ⁽¹⁾ ورد لفظ لمضارب" في هذه الفقرة مرتين كانت الأولى مسبوقة بالفعل تقوض، فكانت المضارب الأولى هي الخيام أما المضارب الثانية فهي ما يضرب به من السيف جمع مفردة مضرب، والدلالة هنا للتحذير من شتات العرب وضياعهم ثم راح يعد الأسباب بكون العرب تشتتوا بعد دخول العقارب بينهم، مما أدى إلى خراب حل بالخيام أولاً، إذ هي مستقر العرب ثم السيف باعتباره رمز قوة العرب، فذهاب هذين الرمزتين هو قضاء على الهوية العربية بجميع أبعادها، كما ورد المشترك اللفظي في مقامته الرابعة من سجع الكهان قائلاً:

جيش الشقا لها كمن ***** مهزولة على السّمن

لا تقرأن لا تعلمن ***** سل سيفها أنت لمن ؟

ورد لفظي (سيف) في هذه الأبيات الشعرية مرتين والملاحظ هنا أن سيف الأولى هي بكسر السين أم الثانية فهي بفتح السين، خاطب إبراهيمي في الموقع الأول السيفَ متسائلاً "أنت لمن؟" دلالة على جهله بمالك هذا السيف والسيف هنا هو ساحل البحر، الذي يعتقد إبراهيمي أنه قد ضاع فجعل مالكة، ثم يعيد الكرة ولكن هذه المرة يخاطب السيفَ باعتباره أداة حرب تستعمل في المبارزة أو الدفاع عن النفس. فيقول: "سل سيفها بيد من؟" دلّت القرينة اللفظية "اليد" على أن السيف الذي يقصده إبراهيمي هنا هو السيف المحمول والذي تمسكه اليد، أما الأول فدلّت عليه

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 527.

"لمن" للاستفهام عن المالك. والملاحظ هنا أناختلاف الحركتين الإعرابيتين (الكسرة والفتحة) مع السياق ساعدا في تحديد معنى هاتين الكلمتين.

يلعب السياق دورا مهما في تحديد معنى الكلمة، خاصة إذا وردت مشتركا لفظيا كما هو الحال في هذه الفقرة قال الإبراهيمي: "يا بلاد الاذواء، لا أقول: وقيت الأسواء ولا أقول سقيت الأنواء، ولكن أقول: ثكلت الأبناء، يا مطارح الأبناء، فكل أدوائك من أبنائك"⁽¹⁾، ورد لفظ الأبناء ثلاث مرات في هذه الفقرة فاشترك اللفظان الأول والأخير في كونهما يدلان على الأبناء بمعنى الأولاد، فسبقت الأولى بالفعل "ثكلت" والشكل يأتي بفقدان الأبناء، أما حين قال "يامطارح الأبناء؟" فهو هنا ينادي مطارح الأبناء أي المستوطنات التي أسسها الأبناء وهم "طائفة من الفرس استوطنوا اليمن"⁽²⁾ فكان لفظ الأبناء هنا لفظا فارسيا مقترضا إذ تلاقى هنا أصل كلمة أبناء بالعربية مع اسم هذه الطائفة الفارسية ويظهر ذلك من خلال تطابقهما في النطق واختلافهما في المعنى.

أما في مقامته الخامسة من مجموعته المقامية «سجع الكهان» فقد ورد المشترك ثلاث مرات فقال: "والعتاق الضمر، والعقبان والحرمر، والهامة ودمر، والزامر إذا زمر، والحادع وما دمر والعامر إذا عمر، والشمري إذا شمر، ومن حبس الجيوش حمر، ومن دخل ظفار فحمر، إن للظماء مآرب في ماء مارب"⁽³⁾، ورد في هذه الفقرة المشترك اللفظي بكثرة في: حمر وحمر، دمر ودمر، مآرب ومارب. والظاهر في هذه الكلمات عدم وجود أي علاقة دلالية بينهم "فلا توجد مشكلة لأن كل منهما كلمة مستقلة حدث بطريق الصدفة، أن تملك نفس النطق والكتابة"⁽⁴⁾، وهذا راجع إلى سعة المعجم اللغوي للإبراهيمي إذ استخدم دُمَرَ في قسمه وهو "متزّه بدمشق"⁽⁵⁾ أقسم به الإبراهيمي، أما دمر الثانية فهي فعل قصد به الإبراهيمي إلحاق الضرر والخراب،

أما المشترك الثاني فهو لفظ "الحرمر" وهو نوع من الطير أقسم به الإبراهيمي. أما اللفظ الثاني فهو "الفعل حمر إذ صار حميريا وهو مثل"⁽⁶⁾، ثم اختتم بالمشارك "مارب ومارب" تتفقان في الكتابة والنطق ولكن بهجاء مختلف، إذ الألف المتصلة بالميم في كلمة مآرب منطوقة أما في الثانية

(1) المرجع السابق، ج 3، ص 528.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 528، ينظر الهامش.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 530.

(4) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 169.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 524، ينظر الهامش، ج 3، ص 528.

(6) المرجع السابق، ج 3، ص 530.

"مارب" فهي صائت، أما دلاليا فهما تختلفان كلياً جاءت الأولى بمعنى أهداف ومرام، أما الثانية فهو اسم "لسد أثري في اليمن"⁽¹⁾. يظهر جلياً في هذه الفقرة جمع الإبراهيمي لكلمات مشتركة لفظياً ولكن المعاني مختلفة باختلاف نوازع وعواطف الإبراهيمي، كما جاءت كلها في شكل مقسم به، أما حين استخدامه "مارب ومارب" فهي قد جاءت في جواب القسم. فاستعمل هنا الأسماء الدالة في معظمها على الأماكن التي زارها الإبراهيمي وأفعال أراد بها التعبير عما يختلجه من آهات في قوله "لخادع وما دمر".

دلالة التقارب الدلالي:

إن الحديث عن التقارب الدلالي باعتباره ظاهرة دلالية يستدعي منا الإشارة إلى الترادف وهو الأصل، فعرف الترادف بكونه مجموعة من الألفاظ الدالة على معنى واحد، ومن أنواعه التقارب الدلالي والذي "يتحقق حين تتقارب المعاني، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملح هام واحد على الأقل"⁽²⁾ ويتحقق هذا التقارب في شكل حقول دلالية تجمع ألفاظاً تتفق في معانيها، وقد ورد التقارب في مقامات الإبراهيمي بدرجة كبيرة يصعب حصرها، مما جعلني أركز على بعض العينات منها قوله في رثاء ابن باديس: "وسوافح من العبرات تتحل عزاليها، ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها"، "على الحدث الذي التأمت حافته على العلم الجم والفضل العد، ووارى ترابه جواهر الحجا والذكاء والعزم والجد"⁽³⁾، خصّ الإبراهيمي رفيق دربه بهذه الصفات المميزة الدالة على شخصه منها الحجا دلالة على النباهة والدهاء، و الذكاء كصفة يمتاز بها رائد العلم في الجزائر، أما العزم فهو المحرك الأساسي للذكاء والجد وهو كالقاعدة إذ تطبع الشخصية بنوع من الوقار، وتتشرك جميع هذه الصفات في كونها دالة على التميز والإبداع يتصف بها ابن باديس رمز العلم في الجزائر ونستطيع القول أنها سمات مميزة للعالم.

كما عمد الإبراهيمي في رثائه لابن باديس إلى استخدام ألفاظ دالة على العلم بقوله "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر ونوره الزاهر مغمورة وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعة، وكان صوته الجهير كصوت الحق

(1) المرجع نفسه، ج 3، ص 530

(2) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 221 .

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص 55.

الشهير، مدويا في جنباتها مسموعاً⁽¹⁾، إن الملاحظ لكلمات: معاهد ومساجد ومدارس وجمعيات يصادفه للوهلة الأولى كونها أسماء أماكن سمتها الأساسية أنها ترمز إلى العلم ونشر الوعي ما كان منه دينيا أو سياسيا وهنا يتحقق التقارب الدلالي إذ انتظمت جميع هذه الكلمات تحت إطار واحد ألا وهو نشر العلم .

يظهر جليا تأثر الإبراهيمي العميق بفقدان رفيق دربه فترجم تلك العواطف باستخدام ألفاظ معينة على نحو قوله: "ياقبر عز على دفينك الصبر، تعاصى كسر القلوب الحزينة على من فيك أن يقابل بالجبر ورجع الجدال، إلى الاعتدال، بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر ... ياقبر ما عهدنا قبلك، رمسا، وأرى شمس، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكا دائرا وتحبس كوكبا سائرا... فويح الحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا؟ وويح المشيعين من ذا شيعوا إليك يوم شيعوا؟... قولاً لصاحب القبر عني: يا ساكن الضريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يتأوّه في كل لحظة خيالك وذكراك"⁽²⁾، تحمل هذه الفقرة من الدواما جاء خصيصا للدلالة على حزن الإبراهيمي وقديسية هذا القبر إذ أن ساكنه هو فلك دائر وكوكب سائر وشمس. تنتمي هذه الكلمات إلى حقل الألفاظ الدالة على الكون، إذ كلها عالية الموقع مشعة ومنيعة، كناية عن علو مرتبة الإبراهيمي وتميزه علميا ما جعله كالبدن المنير، أما الألفاظ الدالة على الموت والانتها فجاءت متواترة متقاربة كالتالي: قبر، دفينك، صبر القلوب الحزينة، الرسم، الحافرين، المشيعين، الضريح، خافق جريح، ذكرك. تكشف هذه الدوال عن صورة رسمها الإبراهيمي لجنازة ابن باديس تتسم بالمأساوية والحزينة، ونرى التقارب الدلالي هنا قد أدّى وظيفته في تعميق الدلالة ورسم الصورة بجميع أبعادها الفنية والجمالية.

ويقول في مقامة أخرى: "إن للغرب فيكم مطايا ذللا، ولرائده منكم أدلة أذلة، هو أصل البلاء والعلة، قادكم بسلوك من الأمراء والملوك فقادوكم إلى الهاوية، فانزعوا المقادة من هؤلاء القادة تفلحوا، ولن تفلحوا ولن تصلحوا مادام يلقاكم بوسيط واحد، فتلقونه بسبعة سفراء، ويلقاكم برأي جميع فتلقونه بسبعة آراء، ويلقاكم بكتيبة ملمومة فتلقونه بشراذم شتى"⁽³⁾، ترصد لنا هذه الفقرة موقف الإبراهيمي من هؤلاء الأمراء والملوك والقادة أو الهرم السلطوي، فجاءت هذه الدوال

(1) المرجع السابق، ج 2، ص 55.

(2) المرجع نفسه، ج 2، ص 57.

(3) المرجع السابق، ج 3، ص 524.

للدلالة على "من يحكم المسلمين أو كل من يعنيه الحاكم على ناحية من نواحي الدولة"⁽¹⁾، إذ ينتقد الإبراهيمي سياساتهم المغرضة ويدعوا إلى نزع المقادة عنهم لأنهم أصل البلاء، والحل حسب الإبراهيمي هو: "لن تفلحوا ولن تصلحوا إلا إذا رجع أمركم إلى الشعب، وأجمع الشعب على رأي واحد، واتفق الرأي على نظام واحد، وتمخض النظام بدستور واحد، وملك واحد"⁽²⁾، تتوالى الكلمات المتقاربة دلاليا في هذه الفقرة من المقامة فكانت كالتالي: الشعبالدستور، والملك، تشترك هاته الدوال في كونها تمثل الشعب بجميع شرائحه هو الحل لهاته المعضلة إذا تدخل واتفق على رأي واحد لاختيار مثليه، أما الدستور فهو كتاب يحمل بين دفتيه قوانين تضمن حق الشعب وكذا طريقة تسيير البلاد وتظهر هنا روعة الانسجام بين هاته المصطلحات السياسية والغرض الإصلاحية للمقامات، حقق

التقاء هذه الكلمات هنا التقاء جزئيا في المعنى المركزي هو "السلطة" ثم افترقت فيما عدا هذا الجزء من المعنى إذ لكل من هذه الكلمات معنى مميز. يستقر بنا المطاف إلى التصريح أن مقامات الإبراهيمي غنية بالتقارب الدلالي والذي جاء لتقوية المعنى وتأكيده، وكأن بها أصبحت ميزة لأسلوبه.

الدلالة الرمزية

ارتبط الرمز منذ القديم باللغة ارتباطا وثيقا، فعمدت إلى دراسته ما كان منه لغويا وغير لغوي، وعرف بكونه "مثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره"⁽³⁾ يتضح من هذا التعريف احتواء الرمز على ثنائية المثير والاستجابة هذه الأخيرة التي تدل على تأثير وقع في نفس المتلقي، كما عرف "الرمز بأنه ما ينوب ويوحي بشيء آخر لعلاقة بينهما

⁽¹⁾ دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت) و(د ط)، ص 38.

⁽²⁾ الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحوي، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، 2000م-1420هـ.

(د ط)، ص 299.

⁽³⁾ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 12.

من قرابة أو اقتران أو مشابهة"⁽¹⁾، ومن هنا يتضح أن "التعبير الرمزي يشير إلى الشيء إشارة مباشرة بطريقة غير مباشرة من خلال وسيط هو بمثابة شيء ثالث"⁽²⁾، ويظهر جليا من هذه التعريفات التقاؤها في نقطة الإيماءة والإيحائية وهو ما يتميز به الكاتب الرمزي كونه "في محاولته لاختراق سطح الحقيقة وصولا إلى ما وراءها" الرمز "يستخدم فيضا متراكما من الصور وألوانا من التجسيم لإعطاء بعد ثالث للصورة حتى ينجح في أن يطفو فوق سطح الكلمات وقيودها التي تغرقه في العادية والتفاهة"⁽³⁾

"وبهذا تكتسي الألفاظ معان جديدة بعيدا عن معناها المعجمي، فتصبح دلالاتها لامتناهية تدفع بالمتلقي إلى فك شفرات هذه الرموز، وبذلك تتحقق العملية الإبداعية الثلاثية الأبعاد بين مبدع ومتلق ونص رموزه مادة خام احتاجت إلى المتلقي كطرف فعال"⁽⁴⁾

إن المتفحص لمقامات البشير الإبراهيمي يجدها مجالا خصبا لدراسة الدلالة الرمزية، باعتبار مقاماته كلام يطبعه التلميح والإشارة، وأول محطة هي الرموز بشكلها العام، فكان الكاهن وكلامه اللبنة الأساسية لدراسة الرمز عند الإبراهيمي.

1- رمز الكاهن: استخدم الإبراهيمي أسلوب القناع و ذلك حين اعتماده رمز الكاهن قناعا ولفظ الكاهن كرمز يستدعي منا التعريف بشخصه أولا، إذ يعرفه الجرجاني بقوله: "الكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب"⁽⁵⁾. "مما سمح بأن يخترق الحقيقة وينقل رؤياه للآخرين"⁽⁶⁾، و ما يميز هذه الشخصية "دجها للماضي بالحاضر من أجل استشراف المستقبل والعمل من أجله، فأسلوب القناع يقوم على دمج أبعاد الزمن الثلاثة الماضي الحاضر والمستقبل وتوحيدها"⁽⁷⁾ ومن هذا المنبر الذي أراده الإبراهيمي أن يكون كهانة بالحالة الراهنة، وصف كلام هذا الكاهن قائلا: "الكاهن لا يداري ولا يدهن، كلامه رمز، ليس فيه

(1) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت) و (د ط)، ص 125.

(2) الرمزية، تأليف تشارليز تشادويك، تر: نسيم إبراهيم يوسف، المطبعة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، د ط، ص 39.

(3) المصدر نفسه، ص 22.

(4) ظهرت الرمزية كمذهب أدبي استمد وجوده من الرومنسية كمذهب يعتمد على اعتماد الطبيعة كرمز أو كلبنة أساسية لأعمالها الفنية وبذلك تبعد كل البعد عن الأعراق في الواقعية المتصفة بالجماد والانغلاق.

(5) التعريفات، للجرجاني، ص 192.

(6) الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف، ص 58.

(7) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط 1، 2003 م، ص 350.

لمرعاذ غيره بالتصريح فعاد بالتجريح، ولاذ هو بالكهانة، فأمن المهانة⁽¹⁾. يتضح من هذا أن الإبراهيمي باعتماده الكهانة فقد اتخذ من هذا العنوان «سجع الكهان» قناعا لإبداء رأيه في العرب وأحوالهم الراهنة فكان هذا الكاهن ذو فكر استشرافي، حلل فيه واقع العرب المأساوي، فكانت الكهانة أسلوبا فنيا غير مباشر تبلغ غاية الكاهن هروبا من واقع سياسي واجتماعي قاهر، ثم لحماية نفسه من القوى السياسية وأجهزتها. فامتزجت هنا إيحائية الرمز "الكاهن" بالواقع، فدل كلامه على تصوير أحداث الحياة العربية بجميع أبعادها الاجتماعية والحضارية.

كما اعتمد الإبراهيمي ثنائية رمزية تمثلت في ثنائية العرب والغرب كثنائية تمثلت فيها إيحائية الصراع الإيديولوجي، أطرافه تحكمهم علاقة عداوة عرفت منذ القديم بجميع تجلياتها في الصراع الديني، الثقافي والحضاري.

2 - دلالة رمز العرب: اتخذ الإبراهيمي من لفظ العرب رمزا يوحى بالضياع والتشتت نظرا لوقوعه ضحية مؤامرة كان القصد من ورائها ضرب المقومات الدينية والحضارية للعرب أجمعين فكان الطرف الأضعف في هذه المعادلة، فتكدست الرموز لتدل على صراع نفسي وتوتر طبع مقامات الإبراهيمي، نظرا لإحساسه بالتزامه التام نحو قضايا وطنه باعتباره وطنيا حتى النخاع، ثم نحو قضايا أمته العربية الإسلامية، والتي تفاعل معها بنوع من التحسر والألم، فقال في ذلك: "أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو من محارب؟ دبّت بينكم العقارب، وأنتم أقارب، فتكدرت المشارب، وتقوضت المضارب، وكهمت المضارب، وغاب المسدد في الرأي والمقارب"⁽²⁾ خاطب الإبراهيمي في هذه الفقرة الأعراب الذين "يعيشون في صراع باطن مترجحين بين ماضٍ مقضي عليه بالفناء، اختلج في أكفانه، ومستقبل تتجاوز آفاقه المشعة دائرة ما ألفوا من وعي... فيعانون تمزقا باطنا"⁽³⁾، فكانت الرموز الخارجية الدالة على مشاعره الداخلية كثيرة وصف بها العرب وكان الضعف والعجز والتشتت الطابع العام الدال على انحطاط الفكر والمكانة، فقال غضبا "قرءوكم سطورا لا رجالا وحفظوكم شعرا بلا روي، وفكرا بلا روية، فأخذوكم ارتجالا وخالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، وحسبوكم عمدا في التركيب الأُمي فألفوكم مفاعيل وأحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، وعاملوكم معاملة المهملات، وراضوكم على المهانة حتى

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 519.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 524.

(3) في النقد التطبيقي والمقارن، محمد غنيمي هلال، مؤسسة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ت) و (د ط)، ص 145.

ذل جانبكم ووطئت مناكبكم فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، ولا يأهون لسخطكم لأنه لا يضر، إن الغضبة لا تعقبها وثبة، وهي غضبة الدليل العاجز، ولو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر، إن غضبة العاجز لا تبكي ولا تنكي، تشتعل في الحنايا ولا تخدم الحنايا، تحرق صاحبها ولا تحرق الناس، وتلك هي غضبتكم حين تغضبون"⁽¹⁾.

استمدت مقامات الإبراهيمي رموزها من واقع ملئ بالمتناقضات كان فيه الوطن نقطة جامعة، تلتقي فيها أفئدة العرب فقال مناديا: "أي جيران الشمال ومعاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة وهي الأم، وبالوطن وهو الهم والأم"⁽²⁾ شكلت الأم معادلا موضوعيا لكل من الوطن والعروبة فكان ارتباط رمز الأم أولا بالعروبة، فكانت أما جامعة تمثلت فيها معاني الحب، الحنان والرقّة فاتخذها الإبراهيمي مقسما به نظرا لمكانتها في نفس كل عربي، فهي قاسم مشترك تمثل نخوة العرب وقوميتهم، أما الوطن فرمز إليه الإبراهيمي بالأم وهو رمز ثابت تتراءى من خلاله صورة الوطن الحقيقي بجميع أبعادها، فيرد الوطن متصلا بكل ما يمت للأم بصلة باعتبارها الحضن الدافئ الحنون، هذا الوطن الذي يرمز إلى العزة والكرامة والإباء، فأحسّ الإبراهيمي بثقل المسؤولية، والتي اقتضت منه التعبير عن قضايا وهموم وطنه، والتي حسب رأيه بسبب شخوص كان لهم الدور الكبير في انكسارات هذه الأمة المتوالية.

أما رمز الغرب في مقامات الإبراهيمي فارتبط بالعداوة الأبدية والاستعمار الغاشم فجاء الغربي في مقامات الإبراهيمي "رمزا للعقلية الغربية بقوته واستقامته في السعي إلى غايته وطموحه وبعده عن الكسل وبغضه للفوضى"⁽³⁾، ثم أشار الإبراهيمي بلفظ الغرب إلى هذا الزائر القادم من خلف البحار، والذي كانت غايته الاستيلاء على الأرض وما تخفيه من كنوز قال: "وقف الغرب بالباب فلم تتحركوا، ثم أنشبالظفر والناب فلم تستدركوا، ثم دس أنفه في التراب، فوجد رائحة الزيت، ثم طلب الوقوف بالأعتاب فوطأتم له أكناف البيت"⁽⁴⁾، نستشف من هذه الفقرة المقامية ورود الغرب كرمز دال على الاستعمار والانتهاك.

(1) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 524 .

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 534.

(3) دراسات أدبية مقارنة، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (دت) و(د ط)، ص 83.

(4) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 525.

ثم يقول في موضع آخر: "وحدثني الولي، يا ولية أيهما كان عليك بلية ذاك الذي وردك زائر، أم هذا الذي وردك خائراً؟ إنهما لا يستويان ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، وهذا حلف وجار، رزقه على الجار، وذاك يعيش على فرائسه، وهذا يعيش على فضلات سائسه، ذاك رمز إقدام وهذا موطن أقدام، ذاك ورد الفرات زئيره، وهذا جاوز الفرات تزويره، ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، وهذا مشغول.... بغرس الغول"⁽¹⁾ فجاء اسم الإشارة "ذاك" الدال على البعيد هذا الزائر الوافد والذي وصفه الإبراهيمي بالأسد الذي يعيش على فرائسه فتجسدت فيه صفات "القوة والإغراء والخداع والإغراق في الملذات والكبرياء وحب السيطرة والاعتداد بالنفس وبراعة الحيلة"⁽²⁾ كما نلاحظ في هذه الفقرة المقامية لجوء الإبراهيمي إلى إجراء مقارنة شكلية بين العرب والغرب باستعمال اسم الإشارة هذا وذاك، وهذه "الكثافة التقابلية تقدم شبكة من العلاقات التي تتقاطع في خطوط متشابكة بل ومعقدة في بعض الأحيان"⁽³⁾، فتكرر لفظ الغرب في مقامات الإبراهيمي بشكل ملفت، حتى غدا من رمز يدل على فضاء مكاني إلى رمز للريادة والسلطة الفكرية والمادية، ثم الاستعمار بجميع أبعاده الإستعمارية.

ومن أنماط الرمز التي استخدمها الإبراهيمي، الرمز الديني وفيه استدعى الشخصوس الدينية من التراث الإسلامي ما اختص منها بالقصص القرآنية أو الأحداث البطولية، فكان الأنبياء رموز للخير والنور والحق ثم المعانات بجميع أبعادها ما كان منها نفسياً أو جسدياً، فاعتمد في الأولى مقاماته الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم رمزا مقترنا بالحق وذهاب الجهل والظلام، فأوحت شخصيته بالتسامح وفيه قال للإبراهيمي: "فلما جاء محمد بالحق فاء الناس إلى ضمائرهم، فحكموا هـدية

في سرائرهم وردوا الغيب إلى عالمه فاستراحوا"⁽⁴⁾ فشكّل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - رمزا لظهور النور وخروج العرب من غياهب الجهل والظلمات إلى حياة أحكمت بالقرآن الكريم وسنة خير خلق الله محمد عليه صلوات الله، فمجئته شكّل انحرافاً شكلياً في حياة العرب ونقطة فارقة انتقلت بهم إلى عالم وصفه الإبراهيمي بالمريح.

(1) المرجع نفسه، ج 3، ص 520.

(2) دراسات أدبية مقارنة، محمد غنيمي هلال، ص 07.

(3) بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، دار المعارف، مصر، ط2، 1995م، ص 186.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 519.

كما استدعى الإبراهيمي قوم ثمود وقوم هود كرمزين دالين على خراب وقع بأرض العرب، فكلا القومين عاشا فترة زمنية تمكنا فيها في الأرض ولكن طغيانهما ومخالفتهما لأوامر الله بعبادة الأصنام جعل منهما عبرة للخراب والدمار، وتلتقي دلالة هذين الرمزين لتدل على واقع مرير ميز الحياة العربية، فإعراضهم عن طاعة الله سبحانه وتعالى جعلهم يعيشون نفس ما عاشته هذه القبائل من هلاك ودمار.

ومن قصص القرآن الكريم استعمل الشيخ سد مأرب وهو سد أثري يقع في اليمن ذكر في القرآن الكريم " كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين، فعمدوا "أهل اليمن" في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدا حتى ارتفع الماء، فحكم على أعالي الجبلين، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة.... وكان اتساعه فرسخا في فرسخ وكانوا غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة"⁽¹⁾ إلا أن أهل سبأ كفروا بالله سبحانه وتعالى فكذبوا برسله وانتهكوا حرماته فكان مآلهم الخرب والدمار، بسقوط ذلك السد ودماره، فتفرق أهل سبأ في البلاد فجعلهم الله أحاديث. وتتمثل إيحائية الرمز الديني هنا في عرض الإبراهيمي لحياة هذه القبائل ومطابقتها لما هو حاصل عند العرب الآن وكأن التاريخ يعيد نفسه، فأهلك الله العرب لأنهم جاحدون لنعمته وضالون عن طاعته، فأبدلهم العيش الرغيد بالمر والسلى، وسلط عليهم أبرهة الغرب الذين قسموا البلاد ونشروا فيها الفساد والهلاك، واستحضر الإبراهيمي لهاته الحكايات الرمزية إنما ليحكي عن الحاضر المؤلم.

⁽¹⁾ قصص القرآن، لابن كثير، تح: مجدي محمد الشهبوي، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر، (د ت) و(د ط)، ص 139.

الرموز التاريخية:

ارتبطت توظيف الرموز التاريخية عند الإبراهيمي بحقبة زمنية توالى فيها انكسارات العرب ونكباتهم، ومحاولتهم الفاشلة في المحافظة على الإرث الثقافي، وإعادة بعث أمجاد العرب وبطولاتهم التي أصبحت ذكرى بعد سقوط الدول العربية تحت الاستعمار، والذي طمس التاريخ الإرث والهوية، فاقرنت الحية العربية بالكيان الصهيوني، هذا الجسم الغريب الذي زرع في جسد الأمة، فكانت القضية قاسما مشتركا لجميع العرب شكلت وعيا قوميا لديهم، فاستخدموا "فلسطين كرمز وقناع من أجل استنهاض الشعوب، والدفاع عن الشرف المسلوب، فإن الشاعر أو الكاتب اختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والمهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي"⁽¹⁾.

فتجلى الرمز التاريخي في مقامات الإبراهيمي "باستحضار شخصيات ومواقف من التاريخ الإسلامي قصد إعطاء المفارقة بين الأمس وانتصاراته، واليوم وانكساراته"⁽²⁾ فقال الإبراهيمي متحسرا "نأر للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة من يقطين، وشياطين تتروا لإغراء إثر شياطين، ويوم فيأعناقكم بيوم حطين، تنسيه غريزة الماء والطين، فتذكره نكرة الجنس والدين"⁽³⁾.

إن المتفحص للرموز التاريخية في هذه الفقرة يجدها متصلة بالقضية الفلسطينية مثل: فلسطين رمز النكبة وضياح الشرف العربي، رمزا للخراب والدمار، أما حطين فرمز تاريخي مكاني اقترن ببطولات العرب وانتصاراتهم على الكيان الصهيوني في معركة حطين، والتي شكلت حقدا توارثته الأجيال اليهودية فجعلت منه نقطة قوتهم، وفي ذلك قول الإبراهيمي: "تھاووا من كل صبيذوبان تقدمها رهبان، وغربان تضللها صلبان، بنفوس من الحقد ثائرة، وقلوب بالبغضاء فائرة، تنازعكم إرث الإسلام، ومعراج نبي الإسلام؟ أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين؟ إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرون، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود؟ أم أين كنتم يوم جاءوكم بالفهود في المهود؟ أم أين كنتم يوم آمنوا بإسحاق وكفروا بيهود؟ كل ذلك وقع وأنتم شهود ولكنهم كانوا أيقاظا وأنتم رقود"⁽⁴⁾. تتداخل الرموز في هذه الفقرة المقامية تدخلا شديدا صعب تصنيفها، فعمدت إلى دراستها حسب ورودها في السياق، فتلاحمت الرموز لتدل

(1) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشيري زايد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، (د ط)

ص 120 .

(2) الرمز التاريخي ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي، السحمدي بركاتي، جامعة باتنة، 2008/2009، ص 56 .

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 532.

(4) المرجع السابق، ج 3، ص 533.

على إيجابية المواقف التاريخية وقديستها، فجاءت متوالية على النحو الآتي: "ذؤبان، رهبان، غربانصلبان، إرث الإسلام، معراج، نبي الإسلام، صلاح الدين، أمسكم، يومكم، العهود، اليهود الفهود، إسحاق، هود.

تمثلت رموز الذؤبان والرهبان والغربان والصلبان، لتدل على هذا الحقد الذي يكنه الغربي للعربي المتأصل في نفسه، "فكانت الصلبان والرهبان رموزا لها إشعاعاتها على ما قصد إليه من معاناة على مستوى الشخصي والسياسي"⁽¹⁾، لكنها وظفت في مقامات الإبراهيمي لترمز إلى قوة العدو ومكره، أما الصلبان فشخصت عقيدة هذا المستعمر، لتدل على إعادة بعث الأحقاد الصليبية الخفية، والتي اتخذت من فلسطين قضية تسوى فيها جميع الحسابات العقائدية منها والحضارية، فاليهودي بفكره الماكر وقلبه الحقود، لم ينس صلاح الدين وما فعله بالمعتدين.

فهذا التواتر للرموز دلّ على نفسية الإبراهيمي المضطربة والمنفعلة، لأن القضية هي ثأر دفين كانت فلسطين فيه ضحية مؤامرة غريبة، فتفاعل معها الإبراهيمي بالألم والحسرة ثم الاستسلام ويظهر ذلك في قوله: "تالله ما ضاعت فلسطين اليوم ولكنها ضاعت يوم وعدوا بها فركنوا إلى العمل وركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندر ولم تأخذوا الحذر"⁽²⁾ تظهر في هذه الفقرة إشارة رمزية إلى وعد "بلفور"، والذي جعل من فلسطين هبة لصهيون جراء وقوفه مع الإنجليز في الحرب العالمية الأولى. الملاحظ هنا أن هذا الوعد السياسي حربي سيق في مساق تاريخي وديني فجعل من هذا الاحتلال قضية مبدأ ثم وطن وأمة.

وظّف الإبراهيمي في مقاماته رموزا أدبية ركّز فيها على استدعاء بعض الشخصيات الأدبية وتوظيفها في مقاماته، نظرا لوزنها الأدبي والعلمي، فكان من هؤلاء الجهابذة المتنبّي، حيث وظفه الإبراهيمي كرمز دال على الكهانة، إذ يقول: "إنّأبا الطيب المتنبّي لمن موالينا، وممن تلقى الكهانة عن أوالينا، وإنه ما دعي بالمتنبّي إلا لأنه كان شاعرا كاهنا، ليناقض النبي الذي لم يكن كاهنا ولا شاعرا، وقد نفيا عن النبي مجتمعين، فثبتا في المتنبّي مجتمعين، وإن كثيرا من شعره كهانة ملتفّة بالشعر، يوطيها في جمل ويغطيها بممدوح أو جمل وستظهر أخبارها، وتعلم أنباؤها، وإن قوله وقعت على الأردن منه بليه هو من الكهانة الكاهنة بالحالة الراهنة"⁽³⁾

(1) الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف، ص 293 .

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص533.

(3) المرجع السابق، ج3، ص 520.

جُرد رمز المتنبي من دلالاته على رمزية تاريخية إلى رمز للكهانة ما اختص منها بالحالة الراهنة وما تعيشه الأمة العربية من شتات وضياح، فكان التقابل هنا واضحا بين طرفي معادلة هي المتنبي والذي ثبتت فيه الكهانة حسب الإبراهيمي، نظرا لما تحمله من نظرة استشرافية لما حل بالعرب والملاحظ هنا أن رمز المتنبي ارتبط بمقامات الإبراهيمي وظهر في جميعها بشكل ضمني، إذ أن الإبراهيمي انطلق من مقولته بهلاك الأردن.

تأتي الشخصيات الأدبية متتالية نجح الإبراهيمي في استدعائها وتوظيفها معادلا رمزيا للخلاعة والعهر في مقامته العزيمة فيقول: "وان كنت شاعرا عزمنا عليك بشعر والبة ابن الحبابوأي نواس المرتاب، والخليع، وأولئك الأصحاب"⁽¹⁾، وفي هذه الصورة تحول هؤلاء الشعراء إلى رمز معادل لكل ما تعلق بالخلاعة والفساد الخلقي، إذ أراد هنا الإشارة إلى العفريت، فجعل هؤلاء الشعراء معادلا رمزيا لفعال العفريت الذي يتسبب في تمزيق رسائل الإبراهيمي وإضاعتها.

أما الرمز الطبيعي فوظفه الكاتب بشكل قليل، لذا حاولت جاهدة التركيز على بعض العينات منها: رمز النخلة: والذي ارتبط بأصالة الحياة العربية "ووقوفها شامخة دلالة على عزة العروبة وكرامتها، التي لا تنحني أبدا للعوامل الطبيعية"⁽²⁾، فكانت في مقامات الإبراهيمي معادلا موضوعيا للأمان والطمأنينة، وفي ذلك قول الإبراهيمي: "واتخذ أبناء قبيلة في ظلال النخل مقيلا واتخذت غسان منه إلى جنان الشام سبيلا، فماذا أغنى أخلافك اليوم؟ إنهم عراة بالسراة وظماء بلا ماء، ورعية لراع غير ترعية، حطمهم رعاة البر، فأصبحوا خولا لرعاة البحر"⁽³⁾

يشكل البحر في مقامات الإبراهيمي معادلا موضوعيا يرمز إلى هذا الزائر الغريب الذي اتخذ من البحر سبيلا للوصول إلى العرب، فكان الصراع هنا ظاهرا بين رعاة البر ورعاة البحر كما تبرز هنا دلالة البحر على الخوف من المجهول الآخر.

أما الألوان باعتبارها رموزا تدخل ضمن إطار الطبيعة فلم تظهر بكثرة في النسيج اللغوي لمقامات البشير الإبراهيمي، فنراه يقول في هذه الفقرة المقامية: "ويا أخلاف، ماذا صنعتم؟ وبماذا اقتنعتم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها وجهلتم مواضعها، فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب

(1) المرجع نفسه، ج2، ص106.

(2) الرمز التاريخي ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي، السحمدي بركاتي، ص 35.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 530.

غير منحول؟ ويلكم! إن الألوان على الدلالة أعوان، سود بنو العباس لسؤددهم، وبيض العلويون لطهارتهم وخضر العبيديون لدعواهم ودعائهم، وزرقتكم.... لماذا؟..."⁽¹⁾.

رسم الإبراهيمي في هذه الفقرة المقامية صورة تعددت فيها الألوان وتداخلت منها ثنائية الأسود والأبيض ثم الأخضر والأزرق، فخطب الإبراهيمي اليمنين بقوله: "زرقتكم... لماذا؟..." يشير الإبراهيمي هنا إلى أن "زرقتهم" غير مبررة ودالة على الضياع فلم تعلم دلالة هذه الزرقة مما جعل الدلالة هنا باهتة صامتة.

تمثل مقامات البشير الإبراهيمي شحنات رمزية، تواترت فيها الرموز وتكدست لتصبح صورة خلفية لشخصية الإبراهيمي والتزامه الواضح نحو قضايا وطنه ثم أمته "وما يتوق إليه الكاتب حقيقة هو فردوس مفقود وهو ما نجد رمزا له في ذكرى مضت تختبئ وراءها الحقيقة"⁽²⁾. فجاء الإبراهيمي بهذا الزخم للتعبير عن مكنونات فكرية ووطنية تحت قناع الكاهن.

الدلالة السياقية : ارتبط المعنى عند رواد النظرية السياقية بمصطلحي الكلمة والسياق وكان تركيزهم على الكلمة يتعلق بالطريقة التي "تستعمل بها" أو الدور الذي تؤديه "⁽³⁾ باعتبارها عنصرا ينتمي إلى نسق لغوي وضعت في ذلك النظام إنما لتأدية دور ما يكشف عنه السياق"⁽⁴⁾ وبذلك "أصبح طريق رفع اللبس في الدلالة يمر عبر السياق اللغوي أو الخطابي أو معاينة المقام الذي يتمثل في المعطيات الخارجية والنفسية"⁽⁵⁾ وهذا "التعريف يسمح لنا بأن نقول أن السياق هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المحمل من خلال علاقة المفردات ببعضها البعض في أي سياق من السياقات المختلفة"⁽⁶⁾

ويتضح من جميع هذه التعاريف أن قيمة السياق تتمثل في كونه مسؤولا عن إنتاج الدلالة في أي نص مهما كان نوعه، "وقد اقترح AmmatK تقسيما للسياق ذا أربع شعب يشمل :

(1) المرجع السابق، ج3، ص 531.

(2) الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف، ص 61.

(3) علم الدلالة، ص 68.

(4) "عرفت مدرسة لندن ماسمي بالمنهج السياقي Contextual Approach أو المنهج العملي Operational Approach تزعم هذا الاتجاه

اللغوي الإنجليزي فيرث "firth" ينظر: المصدر نفسه، ص 68.

(5) علم الدلالة أصوله ومباحثه، منقور عبد الجليل، ص 77.

(6) نظرية السياق، الموجود مصطفى، مقال منموقع: <http://almaktabah.net> - ديسمبر 2008م، ص 1.

- 1- السياق اللغوي: Linguistic context.
- 2- السياق العاطفي: Emotional context.
- 3- سياق الموقف: Situational context.
- 4- السياق الثقافي: Cultural context⁽¹⁾

1- السياق اللغوي :

يهتم السياق اللغوي بالكلمة الواقعة في سياقات لغوية متنوعة أو " هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتساق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاص محدد للمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدد ومحمّل، في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم⁽²⁾ حاولت هنا الوقوف على بعض العينات منها:

لفظ **اللسان** و " اللسان جارحة الكلام، وقد يكنى بها عن الكلام واللسان المقول، يذكر ويؤنث، والجمع ألسنة وإن أردت باللسان لغة⁽³⁾

ورد اللفظ في مقامات الإبراهيمي مرتين في قوله: "مت فمات اللسان القوال"⁽⁴⁾،، وسلام على على أعوان كانوا معه بناء الصرح وحماة السرح، وكانوا سيوف الحق التي بها فصول وألسنة الصدق التي بها يقول"⁽⁵⁾. يتضح من هذا السياق اللغوي اقتران ومجاورة كلمة اللسان لكلمة صدق، جرّدها من معناها الدال على جارحة من الجوارح إلى الدلالة على الشئ الباقي وذلك في قول ابن منظور: "يقال إن لسان الناس عليك حسنة وحسن، أي ثناؤهم واللسان الشئ مصداقا لقوله عز وجل ﴿وَاجْعَلْ لِّلْإِنسَانِ صِدْقًا﴾⁽⁶⁾ الشعراء، الآية:

⁸⁴ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مريم، الآية: 50 فعبر " بلسان الصدق هنا على الشئ الحسن"⁽⁶⁾ الباقي على مر الدهر سيقّت هذه العبارة في أثناء مدح الإبراهيمي لزميله ابن باديس.

(1) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 69.

(2) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، نسيم عون، دار الفرابي، بيروت لبنان، ط1، ص 159.

³⁰ لسان العرب، مادة لسن، ص 4029.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2 ص 58.

(5) المرجع نفسه، ج3 ص 55.

(6) الكشف الزمخشري، تج: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ص 27.

الكرسي : "وهو معروف واحد الكرسي وهو الذي يعتمد عليه ويجلس عليه وما هو ما ثبت"⁽¹⁾ وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى "﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾" البقرة، الآية: 255، وهو تصوير لعظمة الله سبحانه وتعالى"⁽²⁾. أما في مقامات البشير الإبراهيمي فوردت كلمة الكرسي في قوله: "أحاجيكم، ولا أناجيكم مملكة في أفحوص، وعاصمة ليس لها (فحوص) ودولة بلا صولة، وخزينة من أصفار و خزانة بلا أسفار، وكرسي بلا قوائم و عرش بلا دعائم."⁽³⁾ إن الكرسي الذي يشير إليه الإبراهيمي هنا هو كرسي الملوك أو " ما تعرفه العرب من كرسي الملوك "⁽⁴⁾ دلت على ذلك مجاورته لكلمتي قوائم وعرش .

(1) لسان العرب، مادة كرس، ص3855.

(2) الكشف، الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ص 481.

(3) عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 522.

(4) لسان العرب، مادة كرس، ص3855.

2- السياق العاطفي : " فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً"⁽¹⁾ وفي هذا السياق قال الإبراهيمي : " قولاً لصاحب القبر عني، يا ساكن الضريح بنجوى نضو طليح صادرة عن حفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكراك"⁽²⁾ .

تبدو هذه الفقرة المقامية مثقلة بمشاعر الإبراهيمي المتسمة بالحزن العميق والتأثر البالغ اثر فقدانه لهامة من هامات الجزائر وقامة أدبية وعلمية فجاءت الكلمات الدالة على ذلك مشحونة بالحزن والمعاناة مثل: قريح وجريح في سياق كلامي سبقت الأولى بجفن، والثانية بخافق بين الضلوع، استعان هنا الإبراهيمي بكلمتي قريح وجريح، صيغتي مبالغة عوضاً عن قوله مثلاً: خافق بين الضلوع متألم، فكانت قريح للدلالة على كثرة بكائه حتى أصيب جفنه بالقرح، أما جريح فلشدة ألم الجرح، ويتضح من خلال هذا الموقف الانفعاليالجو الحزين المخيم على هذه الفقرة المقامية، فترجمت هذه الكلمات المتراسة في هذا السياق، شجوناً رهيباً طبع هاته المقامة .

3- سياق الموقف : "أما سياق الموقف فيعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة"⁽³⁾ وفيه يشترط أن يكون الكاتب ملماً بالظروف المحيطة بمقام الكلام " المكان والزمان والأفراد المشاركين في الحدث والمناسبة التي قيل فيها"⁽⁴⁾ وفي هذا العنصر نركز على مقامة الإبراهيمي " مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" والتي أرسلها " الرئيس الجليل (الإبراهيمي) إلى مقيمي الذكرى الأولى لابن باديس، وتلاها في حفل مختصر كاتب هذه الكلمة (الغسيري) فأبكت العيون وجددت الأسى "⁽⁵⁾ وكان الإبراهيمي قد كتبها في " آفلو 22 ربيع الأول 1360 هـ / 9أفريل 1941" ⁽⁶⁾

وفيها يقول الإبراهيمي معزيا : " وعزاء فيك لأمة أردت رشادها، وأصلحت فسادها ونفقت كسادها، وقومت منادها، وملكت بالاستحقاق قيادها، وأحسنتم تهيتها للخير وإعدادها وحملها

(1) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 70.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 57.

(3) علم الدلالة، ص 71.

(4) الظاهرة الدلالية، صلاح الدين زرال، ص 381.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 54.

(6) المرجع نفسه، ج2، ص 58.

على المنهج الواضح على صخرة الحق وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضع ثقتك الغالية فيهم، من إخوانك العلماء العالمين، الصالحين المصلحين. "(1)

استهل الإبراهيمي هذه المقامة بكلمة "عزاء" في موقف مهيب دعا فيه الشعب الجزائري إلى الصبر على ما فقدوه، فيرجو فيهم عزاء حسنا على هذه المصيبة، فاقتضى الموقف هنا ذكر مناقب ومآثر ابن باديس إكراما لشخصه .

والملاحظ في هذا السياق أن الإبراهيمي أراد من هذا الموقف أن يحث الجزائريين على مواصلة ما كان قد بدأه ابن باديس من نشر لرسالة العلم، فكان غرضه إصلاحيا .

3- **السياق الثقافي :** " فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة "(2) لتدل على المستوى الثقافي لمستعملها ولا يخفى على أحد سعة ثقافة الإبراهيمي، فتراه في هذه الفقرة يستعمل كلمة صرف بمعاني مختلفة قال : " وضع الأجداد العقل للرجل فنقلته الأحفاد إلى الرأس، وعدلوا به من الأبعاد إلى الناس وما بين النقل والنقل ضاع العقل والتصرف للألفاظ كالصرف في الأموال فيه القصد والصرف "(3)

استعمل الإبراهيمي هنا لفظي التصريف والتصرف استعمالا حددده السياق الثقافي، والذي خصها في المقام الأول بالصرف، كعلم من علوم العربية، الذي يهتم ببنية الكلمات والتغيير الطارئ عليها، وهنا لا يجد دارس العربية أي التباس، لأنه على علم بماهية علم الصرف، أما مصطلح التصريف فجاء مقترنا بكلمة الأموال والتي يفهمها المصرفي بكونها تختص بتحويل العملة النقدية من فئة إلى فئة، أو قطاع المال والتجارة بصفة خاصة .

وفي سياق آخر يقول الإبراهيمي "تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، ولكنها ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالندى ولم تأخذوا الحذر"(4)، استخدام الإبراهيمي كلمة **صهيون** للدلالة على هذا الاحتلال الغاشم الذي استوطن أرض فلسطين وتصبح بذلك القضية قضية قومية وانتماء، يفهمها كل عربي مهما كانت صفته، والمثقف بالذات يعي البعد التاريخي لكلمة صهيون كونها ترمز إلى اليهود المتطرفين، وتصبح بذلك قضية ثقافية ثلاثية الأبعاد تاريخي وديني وسياسي.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 58

(2) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 71.

(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 526.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص533.

إن السياقات هي متنوعة في مقامات الإبراهيمي مما زادها تأثيرا وإبرازا للمعنى المقصود في نصه، إذ التحليل السياقي كانت وظيفته الغوص في دلالة النص واستخراجها شرط إخضاعها للسياق بأنواعه .

الحقول الدلالية لمقامات الإبراهيمي

"تعتبر طريقة تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية الطريقة الأكثر حداثة في علم المعاني، فهي لا تسعى إلى تحديد البنية الداخلية للمدلول المونميات، وإنما إلى الكشف عن نية أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد معين من المونميات"⁽¹⁾، فعرف الحقل الدلالي بكونه " مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثل الكلمات الدالة على الألوان في العربية يمكن أن تقع تحت المصطلح العام «اللون» وهو قطاع متكامل من الناحية اللغوية يعبر عن مجال معين"⁽²⁾

أما "كريستيان توراتي Christian Touratier فيعرفه في كتابه "الدلالة" بقوله: "الحقل الدلالي هو حقل يجمع عددا لا متناهيا من الكلمات المتحدة دلاليا"⁽³⁾ والإتحاد الدلالي شرط وضعه اللغويون ومنهم إبراهيم بن مراد حين تحدث عن الحقل الدلالي فقال: "ولكي تنتظم المفردة في علاقة ما مع مفردات حقل دلالي معجمي ينبغي أن تكون أحادية الدلالة. أو أحادية المعنى"⁽⁴⁾ وهو ما سعت إلى تحقيقه في الدراسة التطبيقية للحقول الدلالية، إلى جمع ألفاظ المقامات المتقاربة دلاليا ووضعها ضمن حقول دلالية اختلفت وتنوعت، دلالة على ثراء المعجم اللغوي للإبراهيمي فنراه يستمد شرعيتها من ثقافته الدينية باعتماد التراث الإسلامي، أما قوة إيحائيتها فجاءت من حنكته السياسية التي يتميز بها مع نظرته الاستشرافية للواقع العربي، فاختلاف الحقول الدلالية وتنوعها راجع أساسا إلى ثقافة الرجل الواسعة، والتي كانت تحصيلًا لنشأته السوية، فجاءت الحقول الدلالية كالتالي :

(1) مدخل إلى علم الدلالة الألسني، موديس أبو ناصر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، العددان 18 و19، 1982 ص35.

(2) دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت)، ص26

(3) "laSémantique" Christian Touratier-collection curus. Lettre armand colin paris, 2000, page 32.

(4) مقدمة لنظرية المعجم، إبراهيم بن مراد، ص124.

1- **حقل الإنسان وما تعلق به:** جمعت في هذا الحقل كل ما يدور حول الإنسان وما اختص به فقسمته إلى حقول عديدة، كان فيها الإنسان الدلالة المركزية ،فكان الحقل الأول ما دل على الفئات العمرية والجنس: الجنين، الفتى، الغلام، الرجل، والشيخ ، النساء، أبناء آدم، شخص.

2- **حقل الألفاظ الدالة على أعضاء الجسد:**

1- **ألفاظ الرأس والوجه:**

الرأس، العقل، الأذن، العين، الأنف، الأفواه، الثغر، الشفاه، اللسان .

2- **حقل الألفاظ الدالة على الجسد:** تحكمها علاقة تقارب دلالي كالآتي :

الأعناق ← الرقبة ← الروح.

الصدور ← النفوس، السرائر، الضمير، الزفرات

القلوب(الأحشاء) ← خافق، الدماء

اليـد ← الأصابع ← الظفر

الأقدام ← الأصابع ← الظفر

الفروج ← العانة

3- **حقل العائلة:**

الأب، الأم، الولد، الأبناء، الإخوان.

4- **حقل القرابة:**

الأجداد ← الأبناء ← لأحفاد

الأهل العم، العميم، الخويل، الأقارب.

جاءت كلمتي العميم والخويل متسلسلتين في فقرة مقامية دلّ بها الإبراهيمي على تقاسم الهم فقال "ويل للعرب، من حبل قد اضطرب، وشر قد حل ولا أقول اقترب، قسم الويل، على العميم والخويل"(1)

5- **حقل العلاقات الاجتماعية:**

الجار، الرفق، الأصحاب، العدو

6- **حقل أخلاق الإنسان الايجابية:**

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص522

مفهوم الأخلاق: "وهي نظام من العمل من أجل الحياة الخيرة، أي طراز السلوك وطريقة التعامل مع الغير أيا كان هذا الغير إنسانا كان أم حيوانا أو غير حيوان من حيث ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك كسلوك إنساني تجاه الغير، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسؤوليته التي يجب أن ينهض بها وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة"⁽¹⁾ و أهم هذه الأخلاق حسب الإبراهيمي هي:

1- الأخوة: "أن يشارك الإنسان الإنسان في جميع لوازم الحياة سرورا و حزنا، لذة و ألما، مشاركة معقولة تنتهي إلى حدود لا تتعدها، بحيث يعلم الجاهل، و يرشد النبيه الغافل، ويواسي الغني الفقير، ويقع التعاون المتبادل بين الناس في كل جيل"⁽²⁾

2- الصدق: يعرف الصدق بأنه قول الحق، وبأنه القول المطابق للواقع و الحقيقة، قولاً أما الأعمال الصادقة فهي الأعمال التي تكون دلالتها التعبيرية مطابقة في نفس فاعلها و قلبه، وهي التي ليس بينها وبين ما يخفيه فاعلها في نفسه و قلبه منافاة ولا تعارض، فالمجاهد في سبيل الله الصادق في جهاده هو الذي يكون عمله ترجمة صادقة، و الصادقون هم الذين صدقوا في إسلامهم، وصدقوا في إيمانهم، و صدقوا في أعمالهم أن يبتغوا بها وجه الله تعالى."⁽³⁾

3- الشكر : "واللفظ المعبر عن ذلك الحمد لله"⁽⁴⁾، و "الشكر أن تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك و من تحت قدميك ،صحة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء و هواء وماء، فكرر واشكر الله تعالى"⁽⁵⁾

7- حقل صفات الإنسان السلبية: جاوزت الصفات السلبية الايجابية ورودا في مقامات الإبراهيمي وذلك راجع لنقده اللاذع والذي تبني فيه سياسة التركيز على الصفات السلبية أكثر قصد تقويمها وهي:

1- الفجور: في اللغة هو في أصله الميل والانحراف عن الحق، وفيه معنى الإقبال الشديد، يتدفق إلى ارتكاب القبائح والمعاصي والآثام، فالفاجر هو المائل المنحرف عن طريق الهداية، المنبعث بتدفق وقح

(1) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد ياسجن، مكتبة الخانجي، مصر - ط 1، 1392 هـ - 1973م - ص 47

(2) عاثر الإمام البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 57.

(3) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تج: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر و التوزيع، (د ت) و(د ط)، ص 530.

(4) الإسلام، حقيقته و موجباته، محمد عقله، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، (د ت) و(د ط)، ص 95.

(5) لا تحزن، عائض القرني، دار البرهان، بيروت-لبنان، ط 19، 2006م-1427هـ، ص 16.

ذميم إلى ارتكاب القبائح والمعاصي والآثام، ومن أجل ذلك يطلق الفجور على هذا الانبعاث المتدفق الوقح⁽¹⁾

2- النفاق: هو انحراف خلق خطير في حياة الفرد، وفي حياة الأمم وتبدوا خطورته الكبيرة حينما نلاحظ أنه يدخل في الدين أعظم القيم في الحياة، وحينما نلاحظ أيضا أثاره على الحركات الإصلاحية الخيرة إذ يقوم بعمليات الهدم الشنيع من الداخل، وصاحبه آمن مستأمن لا تراقبه الأعين، ولا تحسب حسابا لمكره ومكايده⁽²⁾.

3- الحقد: "وهو العداوة الدفينة في القلب، وهو حمل ثقيل يتعب حامله، يحمله الجاهل في صدره فيشقى به وينفسه ويفسد به فكره، ويشغل له بال، ويقتض به مضجعه، ويكثر به غمه، إنه كحمل من أحمال الشوك الملتهب الحار وعناصر الحقد هي:

ü الكراهية الشديدة إلى حد البغض العنيف.

ü الرغبة بالانتقام وبإزالة السوء عن يكرهه الحاقد

ü إمساك العنصرين السابقين في قرارة النفس، وتغذيتهما بالأوهام والتصورات، أو بمثيرات جديدة للكراهية والرغبة بالانتقام.⁽³⁾

أ- العداوة: "وهي كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حد إفنائه وإلغائه من الوجود."⁽⁴⁾

8- حقل المعاناة والصراع النفسي:

الرعب، أغضبت، العشق، الغضبة، السخط، الذل، الجراح، الصاب، المن، الاخفاف، الخسران، الفوت، السراب، ممزق، الخراب والغراب، حطم.

جاءت هذه الصفات الدالة على الهلاك متوالية في مقامته قال: "إن للظماء مآرب في ماء مأرب، إنها تلوب على مطلوب، كوّنه الحي فكون به الحياة، فلا تجد إلا السراب والخراب والغراب"⁽⁵⁾ ومنها: والغراب"⁽⁵⁾ ومنها:

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن جبتكة الميداني، دار القلم - دمشق، ط5، 1420هـ - 1999م، ص 538-539

(2) المصدر نفسه، ص 561.

(3) المصدر نفسه، ص 581.

(4) المصدر نفسه، ص 785.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص530

الضعف، الانحلال، ضاع، الهائمون، النائمون، الراضون، الذل، العبيد، الرق، العداوة، متشردين، العار، الحرقه، الخزي، الأسى، منقسمون، التقسيم، القلق، الأحران.

9- حقل الانتماء المكاني:

العربي، الغربي، العجم، الأعاجم، الأعراب، النجي، اليمانون، بنو العباس، العلويون، العبيديون، اليهود، جزائري، تونسي، مغربي.

10- حقل الموت والفناء: شكلت علاقة التقارب الدلالي العلاقة المميزة لألفاظ هذا الحقل فجاءت دالة على الموت والفناء والزوال:

الأموات، الممات، الموت، المقابر، التواييت، الأحداث، الرفات.

القبر ← رمس ← حفرة ← تربة

الحافرين ← المشيعين ← الدفين

الثرى ← الضريح

ويأتي العزاء أخير بعد دفن الميت.

وفي ذلك قول الإبراهيمي "ياقبر... فويح الحافرين، ماذا أودعوا فيك حين أودعوا؟ وويح المشيعين، من ذا شيعوا إليك يوم شيعو؟ ومن ذا ودعوا منك إذا ودعوا؟ إنهم لا يدرون أنهم أودعوا بناء أجيال في حفرة، وودعوا عامر أعمال بقفرة، وشيعوا خدن أسفار وطليلة استنفار إلى آخر سفرة"⁽¹⁾

نكون هنا قد خرجنا من الألفاظ المتعلقة بالإنسان جسدا وصفة، إلى ما تعلق بفكره بالتركيز على الدين، باعتباره منهج حياة وفكر، والإبراهيمي بفعل نشأته الدينية جعل من التراث الإسلامي رافدا مهما استلهم من قصصه، فاستحضر بعض ألفاظه فكانت كالاتي:

1- الله، الجلالة، القرآن، الإنجيل الكتاب، كلام الله، الوحي، الجنان، الجنتان، الرسول، النبي، محمد، السنة، هود، إسحاق قوم عاد، قوم ثمود، قوم هود، الدجال، الجحيم، المصلي، يحج، يعتمر، المساجد، الأئمة، الإمام

2- حقل المذاهب الفكرية:

المذاهب الساسانية، الكلامية، الكسروية والقيصرية، المسلمين.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ج2، ص 57

3- حقل الألفاظ السياسية:

ويستقر بنا المطاف إلى الحقل الأكثر أهمية في مقامات الإبراهيمياد "البنية الدلالية لهذا النص تستمد حضورها من الخطاب السياسي الذي فرض نفسه على الخطاب"(1)

فاضطرتني ذلك إلى اعتماد شيء من التفصيل، نظرا لأهمية الحقل، ونلاحظ هنا طغيان علاقة التقارب بين ألفاظ عديدة، فجاءت ألفاظ الحقل على النحو التالي:

1- الأمة: قال ابن القطاع : الأمة الملك، والأمة أتباع الأنبياء ، والأمة الرجل الجامع للخير، وأمة الرجل: قومه والأمة الجماعة وقوله في الحديث "إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين" يريد أنهم بالصلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم كلمتهم وأيديهم واحدة، وأمة الله: خلقه يقال وأمة ما رأيت من أمة الله أحسن منه.

والأمة القرن من الناس، يقال: قد مضت أمة أي قرون ، وأمة كل بني من أرسل إليهم بين كافر ومؤمن، الليث : كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليهم فهم أمتة وقيل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم كل من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر ، قال: وكل جيل من الناس هم أمة على حدة ، والأمة الجيل والجنس من كل حي ". (2)

2- الدولة: "هي كيان تنظيمي وهرمي يعكس الإرادة الجماعية الضرورية لتحقيق الوحدة العقلانية الهادفة لإعطاء هذا التجمع المعنى الأخلاقي لوجوده"(3)، ومن أهم خصائص الدولة:

أ-السيادة: و هو مبدأ "يفيد أن السلطة و السيادة للأمة التي لا قيد عليها فهي تختار الحكم ولو نظريا و تسن و تعدل و تلغي القوانين دون قيد عليها"(4) و السيادة إما داخلية تتمثل في وحدانية الشعب "

و في هذه الوحدانية الدليل على أن السيادة في الدولة إنما هي الأساس للسيادة الخارجية، لأن السيادة الداخلية إذا ما تركزت و استقرت و مارسها الشعب بذاته و رضخ بالتالي إلى حكامه

(1) أدوات النص دراسة، محمد تحريشي - منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000م-1421هـ، (د ط)، ص 24

(2) ورد اللفظ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ النحل، الآية: 36، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾، النحل، الآية: 89، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، النحل، الآية: 93، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ النحل، الآية: 120، بمعنى معلما للخير، جاء اللفظ بمعان كثيرة منها "الأم والأمة الوالدة، الأمة القائمة، وأمة الرجل وجهه، والأمة العالم، وأمة الرجل قومه، وأمة الله خلقه، وأمة الطريق معظمه " ينظر: لسان العرب، مادة أمم، ص 135.

(3) Introduction à L'analyse Politique, Belange André & J Lumieux Vincent, Presse de L'université de Monteriel, 1999 , P 146

(4) - القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة، السعيد بو لشعير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2003 م، ص 56.

الذين يختارهم بمفعول سيادته، تتحقق عندئذ في الدولة بجميع أوصافها الديمقراطية، فتبرز في الخارج بسلطانها، الذي يستمد إرادته من شعبها، و هو السلطان الذي تظهر عليه ملامح الاستقرار و الشرعية المعتمدة بمقتضى أحكام القانون الدولي، كأساس لاعتراف سائر الدول بوجودها و ثبات حكومتها" (1)

ب- **النظام السياسي:** عند "لداوين اون بارتالانفي" "Ludwig on bertalanffy" كل منظم والذي فيه جميع العناصر في علاقة قوية ويمتلك تنظيما داخليا، إنه ينبثق في بيئة فيها الإجماع والقسر ويستقبل المطالبات، ثم يتصرف منتجا القرارات، أيضا هناك تيار من التبادلات المستمرة تقام بين النظام وبيئته، مع آلية من مفهوم رجعي يضمن استقرارها (2)

أما من وجهة نظر "دافيد أستون" David Easton، فالنظام السياسي "يشكل صندوقا أسودا لا يمكن التعرف على طبيعته إلا من خلال هذا التفاعل المتنوع بين النظام والبيئة المحيطة من حوله وعليه ومن أجل معرفته فلا بد من تحليل آليات هذا التفاعل بمعنى آخر معرفة آثار وأنواع التأثيرات التي يتعرض لها والكيفية التي يتعامل معها" (3)، ويعرف "بول ويس" Paul Weiss النظام السياسي بقوله "هو كل ما يملك التجانس بشكل كاف وذلك من أجل أن يستحق الاسم" (4)

ج- **الحكومة:** يستخدم لفظ الحكومة "للدلالة على نظام الحكم في الدولة أي كيفية أعمال السلطة العامة و ممارستها في جماعة سياسية معينة، و هذا هو المعنى الأوسع للتعبير عن الحكومة." (5)

أو "الجهاز الجماعي المكون من مجموعة من الوزراء وفي بعض الأحيان ينظم إليهم وكلاء الوزارات، ويترأسها شخصية تسمى بتسميات مختلفة حسب النظام السياسي المطبق وطبيعته، فقد يسمى برئيس الوزراء كما هو الحال في أغلب دول العالم، أو مستشار كما هو الحال في ألمانيا أو رئيس المجلس كما هو الحال في إيطاليا أو الوزير الأول كما في فرنسا، وهذا الجهاز يمتلك الصلاحيات المنوطة له من قبل الدستور لإدارة الدولة" (6)

(1) الوسيط في القانون الدستوري العام، أومون رباط، دار العلم للملايين، ط2، 1971، ج2، ص331

(2) مدخل إلى الفكر الاستراتيجي، صلاح نيوف، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، (د ت) و(د ط)، ص87.

(3) المصدر نفسه، ص18.

(4) المصدر نفسه، ص87.

(5) مبادئ الأنظمة السياسية "الدول والحكومات"، ابراهيم عبد العزيز شيحا، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، (د ت) و(د ط)، ص124

(6) دراسات في علم السياسة، سويم العزي، منشورات الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك (د ت) و(د ط)، ص75.

د-الدستور: يعرف الدستور بكونه "مجموعة الأحكام التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها وسلطاتها وطريقة توزيع هذه السلطات وبيان اختصاصاتها، وبيان حقوق المواطنين وواجباتهم ومن ثم فإن دستور الدولة هو مرآة نظامها، والفيصل بين الحاكمين والمحكومين والانعكاس البليغ للضمير الجماعي لشعبها ولذلك فهو سيد القوانين وأعلى هرمها، يتضمن مجموعة المبادئ القانونية العامة والقواعد الأساسية الكلية التي تخضع لها القواعد القانونية العادية، المنظمة للحياة العامة والخاصة فيها وتعتبر الوثيقة الدستورية صورة صادقة عن مدى وعي القوى السياسية والشعبية في الدولة وعن مدى التأصيل الحضاري والتأصل الحضاري والتطلع إلى المستقبل لديها جميعاً"⁽¹⁾ ويتكون جهاز الحكم من :

1-**الملك**: "الليث، الملك هو الله و ملك قوما فلانا على أنفسهم و أملكوه، صيروه ملكا، والملك احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية و المملكة سلطان الملك و عبيده"⁽²⁾

2-**الأمرأء**: "الأمير الملك لنفاذ أمره بين الإمارة والأمانة، والجمع أمرأء، وأمر علينا يأمر أمرأ وأمر كولي، قال: قد أمر المهلين ن فكرنبواودولبوا حيث شئتم فاذهبوا.

وأمر الرجل بأمر إذ صار عليهم أميراً، وأمرأ إمارة إذ صير علماً، ويقال مالك في الإمارة خير، بالكسر، وأمر فلان إذ صير أميراً"⁽³⁾.

والكبراء كما سماهم الإبراهيمي من ملوك وقادة وأباطرة وأمرأء ورعاة، وصفهم الإبراهيمي بالديكتاتوريين، نظراً لفكرهم الطاغوي واعتمادهم على سياسة الحديد والنار في حكمهم. وكلمة **ديكتاتور**: هي آتية من فعل "ديكتارة" Dictare باللاتينية التي يعني فرض، أما مفهومها الاصطلاحي "فهو تعبير ترجع أصوله إلى اللاتينية، عندما كان في الرومان من يتولاها، بحكم النظام الدستوري، الذي كان قائماً، يدعى ديكتاتور Dictator لمدة ستة أشهر وذلك بناء على طلب من الشعب، فتنحصر السلطات جميعها في شخصه"⁽⁴⁾ أما الديكتاتورية المعاصرة لا تظهر بشكل الطغيان الفردي الذي كانت ترتديه الديكتاتوريات اليونانية و الرومانية في العهود القديمة، بل هي حريصة على أن تستمد وجودها وقوتها من حزب منظم، خاضع لقوانين شديدة، و صلبة."⁽⁵⁾

(1) مواضيع وأبحاث سياسية، هائل نصر، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1704، 15/10/2006، ص4.

(2) لسان العرب، مادة ملك، ص4267.

(3) المرجع نفسه، مادة أمر، ص128.

(4) الوسيط في القانون الدستوري العام، أومون، رباط، ج2، ص679.

(5) المصدر نفسه، ص681.

المسؤولية، إنما يعمل نيابة عن أعضاء الأمم المتحدة، وتنقسم العضوية إلى دائمة وغير دائمة، فالعضوية الدائمة قد قررها الميثاق لخمسة دول وهي: الصين، بريطانيا، فرنسا، روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، لهل حق الفيتو إذ يكفي اعتراض عضو واحد لمنع صدور قرار ما⁽¹⁾ إن المتفحص لمقامات البشير الإبراهيمي يجدها تحوي من هذه الألفاظ ما يجعلها ذات طابع سياسي، طغت فيه الرعة الإصلاحية، ما اختص منها بالجانب السياسي أكثر، فتداخلت هنا الألفاظ الدالة على النظام السياسي قديما مع الحديث منها، شكلت الأمة نقطة جامعة كون ما يميز أبناء الأمة الواحدة وحدة كلمتهم ثم أيديهم، فهي تحوي أبناء وحدتهم الهوية الدينية بجميع أبعادها كوحدة المرجعية الدينية عكس المملكة التي يكون فيها أبناءها منقسمين ما بين مؤيد ومعارض، لأن هذا النظام يعتمد الوراثة في حكمه مما يجعله رهين عائلة واحدة، فسميت أمة محمد بهذا الاسم لوحدة المجال الجغرافي ووحدة القضايا القومية والوطنية وهو المعنى المراد من استخدام لفظ الأمة في مقامات البشير الإبراهيمي

أما الوطن فمفهوم مجرد للفظ الأرض المحسوس، يتشارك أبناءه وحدة المقومات الوطنية من دين ولغة ومجال جغرافي وهو جزء ينتمي إلى الأمة. والعرش أو الشعب والرعية، فاستوقفني قول الإبراهيمي الذي شكّل حلا سياسيا وجب على العرب اعتماده، حل مشاكلهم العالقة والانتهاز من تبعية الغرب المضنية، فقال: "لن نفلحوا ولن تصلحوا إلا إذا رجع أمرهم إلى الشعب، واجمع الشعب على رأي واحد، واتفق الرأي على نظام واحد وتمخض النظام بدستور واحد، وملك واحد"⁽²⁾

4- حقل الألفاظ العسكرية:

الجيش: واحد الجيوش، والجيش الجنود، وقيل: جماعة الناس في الحرب، والجمع جيوش، الجيش جند يسرون في الحرب أو غيرها، ويقال جيش فلان أي جمع من الجيوش⁽³⁾.

(1) التنظيم الدولي، النظرية العامة و المنظمات العالمية الإقليمية التخصصية، جمال عبد الناصر مانع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، (دت) و(دط)،

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص525.

(3) لسان العرب، مادة جيش، ص783.

الكتيبة : ما جمع فلم ينتشر، وقيل هي الجماعة المستحيزة من الخيل، أي في حيز على حدة إذ أغارت، ومن المائة إلى الألف، والكتيبة الجيش وفي حديثه السقيفة، نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش⁽¹⁾.

الأسير: الإِسار القيد ويكون حبل الأكتاف، ومنه سمي الأسير، وكانوا يشدونهم.....بالقد فسمي كل أخيد أسيرا وإن لم يشد به، يقال أسرت الرجل أسرا وإسارا، فهو أسير ومأسور والجمع أسرى وأسارى، وتقول استأسر أي كن أسير لي والأسير : الأخيد، وأصله من ذلك وكل محبوس في قد أو سجن :أسير، قال مجاهد : الأسير المسجون، والجمع أسراء وأسرى وأسارى⁽²⁾ القادة، القواد، القائد، ، الجيش النظامي، السيف، التجافيف، المضارب، الكتيبة، الرماح، الجهاد.والطليعة.

5- حقل الألفاظ الأدبية:

السجع	صحائف	←	ديوان	العرب	←	شعر	←	الخواطر	←
الشعر	←	القصيد	←	القوافي	الروى	←	الحولاء	←	←
البلاغة	←	البيان	←	البديع	←	الكناية	←	←	←
الجميل	←	المبتدأ	←	الخبر	←	الضم	←	الفتح	←
المقامات، النقد.	←	←	←	←	←	←	←	←	←

(1) المرجع نفسه، مادة كتيب، ص3818.

(2) المرجع نفسه، مادة أسر، ص78.

6- حقل الشعراء:

المتنبي، امرؤ القيس، والبة بن الحباب، أبو نواس، ابن سكرة، ابن حجاج، زهير، ليبيد، الخليل

7- حقل الطبيعة:

تندرج تحت هذا العنوان العام حقول أخرى ما اختص منها بالطبيعة كحيز مكاني أو أفاظ الحيوانات.

1- حقل البر:

العراء، البيد، الإطلال، الدمن، الغابات، التراب، الأرض، الكرة، الطين، الرمال، النخل، الجسر، الصخر، الأعاصير

2- حقل البحر:

البحر، البحيرة، الماء، السد، الأودية، السيف، الشط، السفينة، الفلك، البحر الميت، الفرات، الروافد.

3- حقل الجو:

السماء، الكوكب، الشمس، الأنواء، الكون، الكفيف، السحب.

4- حقل الحيوانات:

الأسد، الضراغمة، الأشبال، الذؤبان، الذئب.

الفهود، العقارب، الثعبان.

الإبل، الظبي، الكلاب.

غربان، نسر، حمر.

5- حقل النباتات:

النخل، البرير، الهبيد، اليقطين، الشجرة، الأزهار، الغرب، العبير، الريحان، النبت، الحلتيت، الخمط،

الأثل، الثمام

6- حقل الألوان:

الأصفر، الأبيض، الأسود، الأخضر، الأزرق.

7- حقل المكان:

تكريت، صرخد، تعظميث، العاصمة، غرب النيل. برقة، فزان
شرق الأردن، شرق ساباط، غربي الأغواط، جنوبي الرباط، شمالي الفسطاط، الأردن، فلسطين، تل
أبيب.

اليمن، صنعاء، عدن، حضرموت، ظفار، عاد، سبأ
مصر، العراق، النجف، البصرة، الأحياء، تونس.

8- حقل أسماء القبائل:

حرب، محارب، غامد، يافع، عاد، ثمود، حاشد، هاشم، أولاد دراج، أولاد نائل.

9- حقل الزمان:

الأزمنة ← القرون

الأمس ≠ اليوم

النهار ≠ الليل

الصباح ≠ العشي

الشهور ← الأيام ← الساعات.

10- حقل الألفاظ الدخيلة :

نعتمد في هذا الحقل على الاقتراض المعجمي وهو: "أخذ دوال من لغة مصدر وإدخالها في لغة
مورد"⁽¹⁾ تم فيه نقل الكلمات نقلا حرفيا من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية مع تغيير طفيف في
نطق بعض الصوائت، وهنا قمت بإرجاع الكلمات إلى "أصلها الأعجمي برسم حروفه
الأصلية"⁽²⁾، فكانت الكلمات كالتالي:

(1) مقدمة لنظرية المعجم، إبراهيم بن مراد، ص 161.

(2) المصطلح الأعجمي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1985 م، ج 1، ص 104.

الكلمة	المقابل باللغة الأجنبية	المعنى
مسطرا طور	Administrateur	مدير، محافظ
ميتر	Maitre	الأستاذ، القائد، الملك
الليطر	Lettre	رسالة، خطاب، كتاب
الطيتر	Titre	عنوان، المكانة، القيمة ⁽¹⁾

أشار الإبراهيمي في مدونته إلى هذا المخاطب بقوله: "وان كنت فرنسا قلنا لك: ياميطر، تعطيل الليطر، ليس مما يشرف الطيتر"⁽²⁾

11- حقل الألفاظ العامية:

يعدّ العامي "من العربي ما ليس بفصيح وليس بمولد، قد وضعه العلماء، بل هو مما تستعمله العامة من العرب في لهجاتهم استعمالا ساذجا عفويا"⁽³⁾، وقد وردت هذه الألفاظ العامية في مقامات الإبراهيمي في شكل جمل خاطب بها الإبراهيمي أشخاصا معينين فجاءت الألفاظ مختلفة باختلاف اللهجات منها: الجزائرية، التونسية، المغربية، ثم حاولت ربطها بمعانيها:

1- الجزائرية:

- الجادور ← الحصان.
- تروميث ← اللغة الرومية، أي إحدى اللغات الأوربية وهي هنا باللهجة البربرية.
- تيهوديث ← باللهجة البربرية معناها اللغة اليهودية، وتطلق عادة على المكر والخبث.
- تروونها ← كلمة دارجة معناها تخلطها.
- البروات ← جمع "برية" كلمة دارجة معناها الرسالة أو الجواب.
- الخروات ← جمع "خرى"، كلمة دارجة معناها براز أو الفضلات تطلق للدلالة على انحطاط القيمة⁽⁴⁾.

الرحبة ← كلمة دارجة معناها سوق شعبي تباع فيه المستلزمات اليومية.

2- التونسية:

⁽¹⁾ المنهل — قاموس: فرنسي - عربي، سهيل إدريس، دار الآداب - بيروت، لبنان - ط 41 - 2010

⁽²⁾ عاثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص107

⁽³⁾ مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص135

⁽⁴⁾ أورد أحمد طالب الإبراهيمي شروحا للألفاظ العامية الواردة في المقامات و ذلك لإزالة اللبس عنها نظرا لاختلاف اللهجات و تباينها .

ماهوشي ← ليس

جواب ← الرسالة

3 - المغربية:

ما يتجسس شاي ← لا يتجسس

البرا ← الرسالة

المرأ ← المرأة

استقر بنا المطاف هنا إلى التصريح بأن الحقول الدلالية في مقامات الإبراهيمي هي متنوعة وثرية ثراء معجمه اللغوي، والذي يبدو هنا ثقافته الواسعة وإطلاعه لا محدودة على الثقافات واللغات الأخرى.

خاتمة

يصل بنا المطاف إلى نهاية هذا البحث المتواضع والموسوم بـ: "المعجم اللغوي لمقامات محمد البشير الإبراهيمي، دراسة دلالية"، والذي حاولت فيه تسليط الضوء على الدرس المعجمي كعلم قائم بذاته له مصطلحات الإجرائية ثم انتقلت إلى التركيز على فن المقامة في الجزائر ومقامات البشير الإبراهيمي خاصة، وبعد إخضاعها للدراسة الدلالية المعتمدة على المسح الآلي لجميع المستويات اللغوية، كانت النتائج المتوصل إليها كالآتي:

1- تمثل مقامات الشيخ البشير الإبراهيمي فسيفساء عابرة للعلوم، تلاحمت فيها جميع العلوم كاللغة و الفلسفة و التاريخ و السياسة، فكانت بذلك سجلا لأفكار سياسية دقيقة و قضايا محددة لأنها كانت تضم بين دفتيها نقدا للنظام السياسي الفاسد و تنفيسا عن الكرب الذي أصاب الوطن والأمة على أيدي المستبدين من الحكام، مع تأنق في بناء العبارة وعناية شديدة بالأسلوب.

2- امتاز المستوى الصرفي بالتنوع بين صيغ الأسماء وأزمنة الأفعال، حظيت المشتقات منها بالنصيب الأوفر في النسيج اللغوي لمقامات البشير الإبراهيمي، فجاءت المصادر متنوعة الصيغ بغرض تحقيق دلالات معينة منها: فَعَالٌ، اسْتَفْعَالٌ، تَفْعِيلٌ، إِفْعَالٌ، أما أسماء الفاعلين فكان غرضها الدلالة على اتصاف الموصوف بها على سبيل الدوام، فأكثر من ذكر أسماء الفاعلين الدالة على صفات سلبية تدل على ضعف العرب الهائمون، النائمون الراضون بعيشة العبيد. أما اسم المفعول فكانت دلالته على من وقع عليه الحدث، وهنا حاولت كذلك رصد ورود بعض المشتقات كاسم المكان واسم التفضيل والمرءة وصيغ المبالغة.

3- كانت الألفاظ المفردة في مقامات الشيخ البشير الإبراهيمي بغرض الاختزال التعبيري أو التخصيص، ثم الجمع بأنواعه والذي اختلفت صيغه تبعا لاختلاف أنواعه منها: فاعلين، مفعلين، مفاعل، فعائل، فُعُول، لتدل على التعميم وشمولية الحكم. أمّا فيما يخص الأفعال فكانت مساوقة للزمن خاضعة له بدءا بالفعل الماضي ثم المضارع ثم الأمر.

4- وبعد دراستي للجمال لاحظت اعتماد الإبراهيمي الجمال القصيرة بغرض التأثير في المتلقي مع هيمنة الجمال الاسمية بغرض وصف عام هدف من خلاله الإبراهيمي إلى الدلالة عن واقع العرب المرير ونقد لاذع للحكومات وسياستها، ثم وصفا لقوة الغرب الفكرية والمادية دلالة على الوصف، أما الجملة الفعلية، فكانت معظم أفعالها هادئة الدلالة دلت نسبيا على تخافت في الحركة، ومن الجمال الواردة جملي النداء والاستفهام، فكان النداء موجهها في طابعه العام إلى جميع العرب أكثر فيه الإبراهيمي من طرح التساؤلات والتي كانت تصب في قالب واحد ألا وهو : ما مصير العرب؟ وما الذي قدموه لعروبتهن؟

فحققت هذه الجمال بأنواعها تآلفا تركيبيا فيما بينها، ومما زاد في هذا التآلف ظواهر تركيبية كالتقديم والتأخير والذي غلب فيه تقديم الخبر (جار ومجرور) عن المبتدأ، أما الحذف والاعتراض فكان ورودهما قليلا مقارنة بالظاهرة الأولى، أما دلالتها فكانت إما تأكيدا للمعنى تارة أو للحفاظ على الشكل الموسيقي تارة أخرى .

5- أما الدراسة المعجمية فأول نقطة نسجلها فيها ورود الظواهر الدلالية بكثرة ما أضفى على مقاماته أناقة أسلوبية واضحة، كانت الظاهرة الأولى ظاهرة التقابل الدلالي والتي اعتمدها الإبراهيمي بكثرة فجاءت في أكثر الأحيان مقابلة بين الأسماء كالموت والحياة وهي الثنائية الأكثر حضورا في مقاماته، ثم نجد تقابلا من نوع ثان كان بين الأفعال جاءت في معظمها لتدل على عكس حالة النظر منها: (نتقدم # تتأخر)، (عاشت # ماتت)، (ذهبت # بقيت).

6- إن المشترك اللفظي باعتباره نوعا من العلاقات الدلالية، كان يرد بين الحين والآخر ليزيد من جمال الأسلوب وأناقته وهذا رصد لبعض مواقع: (اسم الجنس ولام الجنس والفصل والجنس ولا التبرئة النافية للجنس)، (السيف، السيف)، (المضارب، المضارب) .

أما التقارب الدلالي فكان أكثره جامعا لألفاظ سياسية مثل (الملك، الأمراء، القواد، الإمبراطور والمملكة والعرش والشعب) باعتبار مقاماته إصلاحية طغت عليها الموضوعات السياسية.

7- احتفت التجربة الرمزية عند البشير الإبراهيمي بالزخم والثراء فتواترت الرموز وتعانقت في مقاماته لترجم لنا أفكاره الإصلاحية وعنايته الفائقة بقضايا أمته والتزامه الواضح نحوها فكانت هذه الرموز شفرات كان فيها رمز الكاهن الأكثر حضوراً، أما الرموز الدينية فكان لشخصيات الأنبياء حضور كبير منها (محمد، هود، إسحاق، أما التاريخية فاستدعى منها الإبراهيمي (صالح الدين، فلسطين، حطين)، كما استحضر الإبراهيمي بعض الشخصيات الأدبية كـ (المتني، امرؤ لقيس، وأبو نواس) ويتضح من خلال هذا الثراء الرمزي ثراء المعجم اللغوي للبشير الإبراهيمي.

أما الدلالة السياقية، فركزنا فيها على السياق كطرف منتج للدلالة، فجاءت السياقات متنوعة لتفرز دلالات عميقة زادت من جمال المقامات وتأثيرها في المتلقي.

8- إن الحديث عن الحقول الدلالية عند البشير الإبراهيمي يستدعي منا الإشارة إلى أسلوبه، والذي يمتاز في أكثر الأحيان باستعمال ظاهري الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين، وإن دل ذلك فإنما يدل على تأثر الإبراهيمي الواضح بأسلوب القرآن الكريم وألفاظه، كما لاختلاف الموارد الثقافية دخل كبير في ثراء معجمه وذلك من خلال اطلاعه على أمات الكتب العربية في جميع العلوم، فجاءت الحقول الدلالية لمقاماته متنوعة تبعا لثراء معجمه اللغوي.

تعد هذه مجمل النتائج التي توصل إليها البحث وإن كانت هناك نتائج قد أغفلنا عن ذكرها فسوف يتطرق لها الدارسون لإثراء الموضوع

الملاحق

مقامة في رثاء الإمام ابن باديس مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة*

تقديم محمد الغسيري

الوفاء قليل في البشر، وأوفى الأوفياء من يفي للأموات، لأن النسيان غالبا ما يباعد بين الأحياء وبينهم، فيمغطون حقوقهم، ويحددون فضائلهم.

وما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم والعمل في الحياة، وجمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما، مثلما رأينا إمامي النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، رحم الله الميت، ومد في عمر الحي حتى يحقق للجزائر أمنيتها.

من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل ورئيسنا الأكبر محمد البشير الإبراهيمي من شرف الخلال (نكران الذات) فهو لا يزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات وتنوء بها العصب، وهو مع ذلك لا ينسب الفضل إلا لإخوانه ورفقائه الأموات الأحياء.

يصرح بذلك في خطبه الدينية، ومحاضراته الجامعة، ويقول: إن كل فضل في هذه الحركة العلمية النامية يرجع على جمعية العلماء، وإنه لولا جمعية العلماء لما كان هو، ونحن أبنائه نشهد وإخوانه يشهدون أنه لولا علمه ولسانه وصبره وتأثيره الذي يشبه السحر، لما كانت جمعية العلماء، ولولا براعته في التصريف والتسيير لما سار لجمعية العلماء شراع في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن.

مات ابن باديس، في حين أن رفيقه في الجهاد وقسيمه في العلم والعمل محمد البشير الإبراهيمي منفيا في قرية "آفلو" من الجنوب الوهراني، بحيث لم يحضر دفنه، ولم يؤبنه بكلمة، فعوض ذلك بسائل تعزية كتبها إلى إخوانه بث فيها حزنه للمصيبة، وصور فيها آثارها، ولم تنسه الفجعة ما يجب من النصائح بالثبات، واستمرار السير، فجاءت رسائل من ذلك الطراز الساحر الذي لا يحسنه إلا الإبراهيمي، ولا أدري أيتفظ إخواني بتلك الرسائل الفنية أم ضيعوها؟

ولما مضت على موت الأستاذ سنة، ورفيقه لا يزال في المنفى، أرسل الرئيس الجليل من منفاه هذه المقامة إلى مقيمي الذكرى الأولى لابن باديس وتلاها في حفل مختصر كاتب هذه الكلمة، فأبكت العيون، وجددت الأسى.

* نشرت في العدد 76 من جريدة البصائر، 18 أفريل 1949 م، وقد كتبت في أفريل 1941.

رغبنا إلى أستاذنا أن ننشر هذه المقامة في ذكرى هذه السنة، إذ كان عاجزا عن كتابة كلمة خاصة بها لمرضه واشتغاله، فأذن - أبقاه الله - بعد امتناع لأن أستاذنا - حفظه الله - لا يرى السجع معبرا عن النوازع العميقة، وإن كان هو ، إمام العصر بلا منازع في هذه الطريقة الأندلسية البديعة التي لا يحسنها إلا من جمع بين الطبع والصنعة، وملك أزمة اللغة والغريب ... وحلت في الأخير رغبتنا منه محل القبول، حرصا على هذه المقامة أن تضيع إن لم تسجل، وكم من نفائس مثل هذه المقامة، وكم من رسائل، وكم من تحف فنية من أدب الهزل والنكتة، وكم من ملاحم شعرية، بلغت الآلاف من الأبيات مازالت مطمورة في أوراق الأستاذ، وفي حافظته العجيبة، وإذا لم يحرص أمثالنا من تلامذة الأستاذ على استخراجها ونشرها ضاعت، وخسر الأدب والعلم خسارة لا تعوض، وهاهي ذي المقامة الباديسية، وننبه إلى أن الأستاذ حذف منها كثيرا مما لا تسمح الظروف بنشره.

تلمسان

محمد الغسيري

سلام يتنفس عنه الأقاح بإزهاره وإبراقه، ويتسم عنه الصباح بنوره وإشراقه.
وثناء يتوهج به من عنبر الشجر ويتبلج به من بدر التمام، على الركب الخابط في الظلام،
منيره.

وصلوات من الله طهورها الروح والريحان، وأركانها النعيم والرضوان، وتحيات زكيات تنزل
بها - من الملاء الأعلى - الملائكة والروح، ونفحات ذكيات تغدو بها رسل الرحمة وتروح،
وخيرات مباركات يصدق برهان الحق قولها الشارح بفعلها المشروح.

وسلام من أصحاب اليمين، وغيوث من صوادر الوعود، لاصوادر الرعود، لا تخلف ولا
تمين. وسحائب من الرحمت تنهل سواكبها، وكتائب من المبشرات تزجي مواكبها.
وسوافح من العبرات تنحل عزاليها، ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها.
على الجحدث الذي التأمت حافته على العلم الجم والفضل العد، ووارى ترابه جواهر الحجا
والذكاء ولعزم والجد، وطوى البحر الزخار في عدة أبار، فأوقف ما لاحد له عند حد، واستأثر

بالفضائل الغزر، والمسعى الغر، والخلال الزهر، فلم يكن له في الأحداث ند، وأصبح من بينها المفرد العلم كما كان صاحبه في الرجال العلم الفرد.

وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، كصوت الحق الشهير، مدويا في جنباتها مسموعا.

مشاهد كان يراوحها للخير والنفع، وكنت آفاقها بأنواره مسفرة. ومعاهد كان حادي زمرها إلى العلم، وهادي نزاعها إلى الإحسان والسلم، فأصبحت بعده مقفرة.

ومدارس، ما مدارس مهدها لعلوم والإصلاح مغارس، ونصبها في تحو المبطلين حصونا ومتارس، وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومحارس.

ولام على شيخه الذي غذى وربى، وأجاب داعي العلم فيه ولى، وأثر في توجيهه خير الإسلام، فقلد الإسلام منه صارما عضبا، وفجر منه للمسلمين معينا عذبا، فلئن ضايقته الأيام في حدود عمره. فقد أبقت له منه الصيت العريض، والذكر المستفيض، ولئن سلبته الحلية الفانية فقد ألبسته من مآثره حلل التاريخ الضافية، ولئن أذاقته مرارة فقده، فقد تمتعه بقلوب أمة كاملة من بعده، ولئن حرمت له لذة ساعات معدودة، فقد أسعدته به سعادة غير محدودة.

وسلام على إخوان كانوا زينة نادية، وبشاشة واديه، وكانوا عمار سامره، والطيب المتضوع من مجامره، والجوارح الماضية في تنفيذ أوامره.

وسلام على أعوان كانوا معه بناء الصرح، وحماة السرح، وكانوا سيوف الحق التي بها يصول، وألسنة الصدق التي بها يقول، أبت لهم عزة الإسلام أن يضرعوا أو يذلوا، وأبت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه أو يضلوا، وأهلك العالم زلل العلماء فتقاسموا بشرف العلم أن لا يزلوا، تشابهت السب على الناس فاتخذوا سبيل الله سبيلا، واقترق الناس شيعا فجعلوا محمدا وحزبه قبلا.

ولقد أقول على عادة الشعراء - وما أنا بشاعر - لصحابين من تصوير الخيال أو من تكيف الخيال تمثلهما الخواطر تمثيل صفاء، وتقييمهما في ذهني تمثال وفاء: بكرا صاحبي فالنجاح في التبكير، وما على طالب النجاح بأسبابه من نكير، تنجحا لصاحبكما طية، لا تبلغ إلا بشد الرحل وتقريب المطية، فقد ختمت - كما بدئت - الاطوار، بدولة الرحال والاكوار، فادفعا بالمهريّة

القدود، في نحر الوديقة الصيخود، ولا تخشيا لذع الهواجر، وإن كنتما في شهري ناجر، ولا يهولنكما بعد الشقة، وخيال المشقة، ولا الفلوات يصم صاداها، ويقصر الطرف عن مداها، وإلا السراب يترجرج رقرقه، ويخدع الظامي الحرور مراقه.

سيرا — على اسم الله- في نهار ضاح، وفضاء منساح، ضاحك الأسرة وضاح، وتخللا الأحياء فستجان لاسم من تنتجعانه ذكرا ذائعا في الأفواه، وثناء شائعا على الشفاه، وأثرا أزكى نماء وأبقى بركة على الأرض من اثر الغمام المنهل، فإذا مسكما الملال، أو غشى مكيكما الكلال فاحدوا بذكراه ينبعث النشاط، وينتشر الاغبتا، وتغنيا بها عن حمل الزاد، وملء المزاد، وتأمنا غول الغوائل، من افناء دراج ونائل.¹

سيرا —روحي فداؤما من رضيعي همة، وسليلمنجة من هذه الأمة — حتى تندفعا في مسي خامس، له يوم الترحل خامس، إلى الوادي الذي طرز جوانبه آذار، وخلع عليه الصانع البديع، من حلي الترصيع، وحلل التفويف والتوشيع، ماتاه به على الأودية فخلع العذار. وأتيا العدو الدنيا فثم المنتجع والمراد، وثم محلة لصدق التي لا يصدر عنها الرواد، وثم مناخ المطايا على إحلال الحق، وجيرة الصدق، وعشراء الخلود، الذين محا الموت ما بينهم من حدود، اهتفا فيها بسكان المقابر عني:

ما للمقابر لا تجيب الداعي أو ما استقلت بالسميع الواعي

وخصا القبر الذي تضمن الواعي السميع، والواحد الذي بذ الجميع، فقولاً له عني: يا قبر، عز على دفينك الصبر، وتعاصى كسر القلوب الحزينة على من فيك أن يقابل بالجبر، ورجع الجدال، إلى الاعتدال، بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر. يا قبر، عز على دفينك الصبر، وتعاصى كسر القلوب الحزينة على من فيك أن يقابل بالجبر، ورجع الجدال، إلى الاعتدال، بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر. يا قبر، ما اقدر الله أن يطوي علما ملأ الدنيا في شبر.

¹ أولاد دراج، مجموعة قبائل ترجع أصولها إلى هلال بن عامر جد القبائل العربية التي أغارت على شمال إفريقيا، فخرىوا، ولكنهم عربوا، ومواطن أولاد دراج إلى الآن هي ما بين المسيلة (الحمدية) وطبنة من مقاطعة قسنطينة، وأولاد نائل مثلهم ولكنهم أكثر عددا، ومواطنهم تتصل بمواطن إخوانهم أولاد دراج ولكنها تتسع في مقاطعة الجزائر، ولا تزال المخايل والسمات العربية ظاهرة في هذه القبائل.

يا قبر، ما عهدنا قبلك رمسا، وارى شما، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكا
دائرا، وتحبس كوكبا سائرا.

يا قبر، قد فصل بيننا وبينك خط التواء، لا خط استواء، فالقريب منك والبعيد على السواء.
يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أي الجواهر حويت؟ إنك احتويت على أمة، في رمة،
وعلى عالم واحد.

يا قبر، أيدري منخط، وقارب شطك، أي بحر ستضم حافتاك؟ وأي معدن تزن كفتاك؟
وأي ضرغامه غاب ستحتبل كفتاك؟ وأي شيخ كشيخك وأي فتى كفتاك؟ فويح الحافزين ما ذا
أودعوا فيك حين أَدعوا؟ وويح المشيعين من ذا شيعوا إليك يوم شيعوا؟ ومن ذا ودعوا منك إذ
ودعوا؟ إنهم لا يدرون أنهم أودعوا بناء أجيال في حفرة، وودعوا عامر أعمال بقفرة، وشيعوا خدن
أسفار، وطليلة استنفار، إلى آخر سفرة.

يا قبر، لا نستقي لك كل وظفاء سكوب، تهمي على تربتك الزكية وتصوب، ولا نستدعي
لترويض ثراك المثقلات الدوالخ، والغوادي والروائح، ولا نخذو في الدعاء لك حذو الشريف
الرضي، فنستعير للنبت جنينا ترضعه المراضع، من السحب الهوامع، تلك أودية هامت فيها أخيلة
الشعراء، فنبذهم بالعراء، وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهاجه، وراغوا عن طينته ومزاجه، بل
تلك بقية من بقايا الجهل، ما أنت ولا صاحبك لها بأهل.

قولا لصاحب القبر عني: يا ساكن الضريح، نجوى نضو صليح، صادرة عن جفن قريح،
وخافق بين الضلوع جريح، يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكراك، فيحملان إليه على أجنحة الخايل
من مسراك، اللهب والريح، وتؤدي عنهما شؤونه المنسوبة، وشجونه الملتهبة، وعليهما شهادة
التجريح.

إن من تركت وراك، لم يحمد الكرى فهل حمدت كراك؟ وهيهات، ما عان كمستريح.
ياساكن الضريح، أأكني؟ أم أنت كعهدي بك تؤثر التصريح؟ إن بعدك، أتعب من بعدك،
لقد كانوا يلوذون من حياتك الحية بكنف حماية، ويستندون من كفاءتك للمهمات بحصن كفاية،
ويستدفعون العظائم منك بعظيم، وأيم الله لقد تلفتت بعدك الأعناق واشربأت، وماجت الجموع
واتلأبت، تبحت عن غمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ ويسد الثلمة، فما عادت إلا بالخيبة، وصفر
العيبة.

يا ساكن الضريح، مت فمات اللسان القوال، والعزم الصوال، والفكر الجوال، ومات الشخص الذي كان يصطرع حوله النقد، ويتطير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمت الاسم الذي كانت تقع به البرد، تتحلى به القوافي الشرد، ولا الذكر الذي كانت تطنطن به الأنباء، وتتجاوب به الأصداء، ولا الجلال الذي كانت تعنو له الرقاب، وتنخفض لمجلاه العقاب، ولا الدوي الذي كان يما سمع الزمان، ولا يبيت منه إلا الحق في أمان.

مات الرسم، وبقي الاسم، واتفق الودود والكنود على الفضل والعلم. وعزاء فيك لأمة أردت رشادها، وأصلحت فسادها، وفقت كسادها، وقومت منادها، وملكت بالاستحقاق قيادها، وأحسن تهيئتها للخير وإعدادها، وحملتها على المنهج الواضح، والعلم اللائح، حتى أبلغتها سدادها، وبنيت عقائدها في الدين والحياة على صخرة الحق، ومثلك من بني القائد وشادها، أعليت اسمها بالعلم والتعليم، وصيرت ذكرها محل تكريم وتعظيم، وأشربتها معاني الخير والرحمة والمحبة والصدق والإحسان والفضيلة فكنت لها نعم الراحم وكنت بها البر الرحيم.

ولقد حييت فما كانت لفضلك جاحدة، ومت فما خبيت من آمالك إلا واحدة.¹ وهنيئا لك ذخرك عند الله مما قدمت يداك من باقيات صالحات، وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضع ثقتك الغالية فيهم، من إخوانك العلماء العاملين، الصالحين المصلحين. فهم كعهديك بهم رعاة لعهد الله في دينه، وفي كتابه، وفي سنة نبيه، دعاة إلى الحق بين عباده، يلقون في سبيله القذى كحلا، والأذى من العسل أحلى.

وسلام عليك في الأولين، وسلام عليك في الآخرين، وسلام عليك في العلماء العاملين، وسلام عليك في الحكماء الربانيين، وسلام عليك إلى يوم الدين.

آفلو²، 22 ربيع الأول 1360 هـ/9 أبريل 1941.

¹ هي القيام بثورة جارية تكسح الاستعمار الفرنسي، وتنتزع بها منه حريتها واستقلالها، فهذه هي الأمنية التي كنا نتناجى بها ونعمل لتصحيح أصولها، وقد حققت الأمة الجزائرية المأجدة هذه الأمنية بعد نحو أربع عشرة سنة على أكمل وجه.

² آفلو قرية نائية في جبل العمور من الجنوب الوهراني، وهذه القرية هي التي اختارتها السلطة العسكرية الفرنسية منفى لكاتب هذه الكلمات في أول الحرب العالمية الثانية ففضى فيها ثلاث سنوات.

هذه العزيمة

تقديم الحسن القادري

أنشئت هذه "العزيمة" على طريقة مشاهير "اليقاشين" المعروفين من طلبة علم الجدول والأوقاف، وأصحاب التمايم والعزائم، للتحكم في أمر الجان، وإخراج العفريت من جسد الإنسان، والتغلب عليه لتصريفه في كل شأن، بأسماء القهر والزجر للإذعان، وتذليله بكل ما يربح ويخيف، من كل أمر سخيف، وكل شرير خبيث، في العالم القديم والحديث.

وهذه "العزيمة" حوت من ذك طائفة من أسماء الإنسان والحيوان، والأماكن والبلدان، والأشياء الملعونة، والمعاني المعفونة، في الجزائر وفي غير الجزائر، والأشخاص من عرب وعجم، ممن يقدح فيه أو يذم، وبذلك جاءت العزيمة تحفة أدبية وملحة طريفة من إنشاء الأديب المبدع حامل لواء البلاغة والبيان، الحافظ العلامة أستاذنا الكريم فضيلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حفظه الله، أملاها على يوم زرته بمنفاه في بلدة "أفلو" بالجنوب الوهراني سنة 1941، وقد بعث بها يوم ذاك إلى أخيه العلامة فقيدهم الجزائر الشهيد العظيم فضيلة الشيخ العربي التبسي رحمه الله رحمة واسعة، وكان شيخنا -رعاها الله- راسله بها إلى تبسة جوابا فكاهيا وتسلية ممتعة عن تدمره وحيرته عن عدم وصول مكاتبيه التي كانت كثيرا ما تضيع بالبريد، فلم تصل إلى الشيخ بأفلو، ولما أشعره بذلك كتب إليه متسائلا في حيرة: "من هو هذا الذي يتسلط على رسائلي فيتلفها ولا يتركها تصل؟ إلى آخر الحكاية التي أنشأت من أجلها "العزيمة".

وإلى إخواني الأعزاء الذين يروق لهم هذا الضرب من الأدب الرفيع المنتزع من صميم حياة المجتمع الجزائري في ذلك العصر المظلم من عهد الاستعمار البائد إلى غير رجعة - أقمها لهم بنصها الكامل، نزولا عند رغبة منشئها شيخنا الكريم - شفاه الله وأطال بقاءه - وقد كنت كتبت منها عدة نسخ بأفلو سنة 1941 لم تبق بيدي إلا نسختي الخاصة، فأعود إلى انتساخها مرة أخرى بوهران لخطي الفاني بتاريخ 1 يونيو 1963.

الحسن بغداددي القادري

أيها العفريت النفريت، الذي هو أنتن من الحتيت، وأثقل من الكبريت، وأهدى إلى رسائلي من الدليل الخريت، وأمضى في تمزيقها من السيف الإصليت، مالك؟ عريت وهريت، وقطعت

وفريت، إن كنت إنسا فعصرت وخريت، أو جنا فأحرقت وذريت، واذبت كالزئبق وأجريت. ويلك ! أغريت بالشر أم أغريت؟ وضريت على المكر أم ضريت؟ وتطوعت لهذا العمل أم كريت؟ والتزمتة مياومة أو على حول كريت؟

أقسمت عليك بصرخد وتكريت، وأمبابة وشبرخيت، وعانه وهيت، وبكل امرأة قالت لرجل هيت، فأبى وقال إني نهيت، فإن كنت لا تعرف هذا فأقسم عليك بالسلولة والكباريت، وآفلو وتعظميت¹، وإن كنت لا تحسن إلا "تروميت"²، فأعزم عليك بروميو وجولييت، وعطيل وهملت، وماري أنطوانيت، وفكتوريا وإليزابيث، وسكان التواييت، وقطان الحوانيت، وإن كنت لا تعرف إلا تيهوديت³، فأقسم عليك بدلاديت، ومانديليت، والبيض المصالييت، والإبطال المفاليت، الذين خربوا البيت، وكسروا الجرة وأراقوا الزيت، أن تكف وتعف، وتسرع في إيصال رسائل وتخف، ولا تدر ولا تلف، ولا ترونها⁴ ولا تسف.

وأقسم عليك بالصور والطور، والقانون المسطور، والقايد⁵، والمسطراطور⁶، الذي شبع فانتفخ فأصبح إمبراطور، وبالناطور الحامل للساطور، وبالجمل المقطور، في عربات الحنطور، والشيخ أبي طرطور، الذي هو على المكؤ مفطور، وأسألك بالبور والتور، والشيطان المتور، وشيخ الدستور، في مكث وتستور، وبأمشر وهاتور، وكل دكتور، يسمى باستور، وكل دكتاتور، سيفه باتر ورأيه مبتور، وكل من في رعيتك من فكتور، وكل من على يدك من رزق موسع أو مقتور. يا عرفيت ! إن كنت من الجن، فأسألك بمن مضى ن عالم الجن، وبمرديدك غواة الفن، وهواة الدن، وإبطال القذف والزن، والرنا والطن، وكل مغن، بمحاسن الظي الأغن، وكل متلب مكتن، تحت السحاب المزجن، وكل مفن، يتقى بالراح لا بالجن، وكل من في سبيل الدرهم يستن، وفي جلبيه يفتن، في الخلوة يكتن، وبالصوف يجتن ولا دين بالآخرة إلا بالطن، وبأصحابك الذين طرقوا الكن، وقرعوا السن، وقعقعوا الشن، واتخبثوا الطيب واستطابوا الصن، وبأتباعك

¹تعظميت: منطقة بالصحراء الجزائرية.

²تروميت: أي اللغة الرومية، أي إحدى اللغات الأوروبية. و"تروميت" باللهجة البربرية.

³تهوديت: باللهجة البربرية ومعناها اللغة اليهودية. وتطلق عادة على الخبث والمكر.

⁴ترونها: كلمة دارجة معناها تخلطها.

⁵القايد: شخص مسؤول عن القرى، يقابله شيخ البلدية في المدينة.

⁶المسطراطور: من الكلمة الفرنسية administrateur أي المتصرف

الذين يفوا السكر واشتفوا البن، ولعقوا العسل وتركوا المن، وأذلوا في سبيل كلحر وقن، وقيل لهم وإن، فقالوا وإن، ولم يقنعهم برهان اللم ولا برهان الإن.

وإن كنت من الإنس-وما الإنس هكذا تفعل - فأسألك باسم الجنس، وعلم الجنس، ولام الجنس، والفصل والجنس، لا التبرئة النافية للجنس، وأسألك بعربات الكنس، والأب "لامنس"، وما في كلامه من دنس، وبكل أمون عنس، لها في سلالة شدم قنس، أن تمجر هذه الفعال، وتتم بتصرف الأفعال، وتنظيف الكعال وتجفف النعال، وتلطيف السعال، والتأدب بأدب جعال، وكل من اسمه فعال، حتى نقول: إنك قائم بوظيفتك عال وفوق العال.

يا عفريت! أسألك بدمتك الخبرة، ورمتك الخبرة، فإني اتصورك أبشع على الأحوال، إذ دلت على ذاتك الفعال، وبكل من اتبعك من الغاوين، الكلاب العاوين، وما منهم إلا ذو ضمير معروض على الرحبه، للبيع بحبه.

وإن لم تصغ لكلامي، فإني أسلط عليك "مامي"¹، وسامي، جيرولامي، والشيخ الحمامي، والشيخ ابي الشامات الشامي، ثم أغزوك بالجيش النظامي، من المذهب الكلامي، وحواشي الجاربردي وملا جامي.

واسألك شرقي ساباط، وغربي الأغواط، وجنوبي الرباط، وشمال الفسطاط، مواطن الخنا والزنى واللواط، وبكل مناك الفساق، من نهج الملاحف بتونس غلى عشش الترجمان ببولاق. وأسألك بشيخ مزغنه²، واحلاف بوكردنه³، وكل من فيها من كنة، معنة، مفنة، سمعنة نظرنه، إلا تره تظنه، وبمحمد او هو درقاوه، وعيساوة وعليواه، وحملاو⁴، وكل من أخذ الإتاوه، الإتاوه، وأكل الشوك كالبقاوة، ادرد الزجاج كالحلاوة، وبمطوشات قدور، وماهتك من خذور، إلى انعمي كالجادور⁵، وبأضغان الصدور، ومحاق البدور، وأوضار القدور، التي عليها أمر المعاش

¹ "مامي": هو شخص يسمى "مامي إسماعيل"

² مرغنة: الاسم القديم للجزائر.

³ بوكردنة: هو عبد الرحمن بوكردنه صيدلي بالجزائر العاصمة.

⁴ حمداوة، درقاوة، عيساوة، عليواو حملاوة: أسماء طرق صوفية

⁵ الجادور: الحصان

يدور، وأسألك بسلام الحي، وعبد الحي¹، وغير الحي، الثالث الذي صبر على الكي، فانهى به الحال إلى الشي.

ياغفريت ! إن كنت متألها فأسألك بالمذاهب الساسانية، والنحل الخراسانية، والفرقة الكسانة، والخمور البيسانية، التي اغتالت الغنانية، وبما في "يتيمة الدهر" من القصائد الواسانية، وبكل دجال، وبكل محتال، منمسيمة الكذاب، إلى البها والباب، ومن صالح ان طرف، إلى أحمد القادياني، ومن المقنع الخراساني إلى احمد التيجاني.

وإن كنت فقيها فأسألك بكل من شرع الحيلة، وفرق بها الحيل والحليله، وترخص في الدماء والفروج، وأباح للنساء التبرج والخروج، وبكل من عطل الحدود، وارخى العنان للشهود، وتساهل في الأموال، وقلد يحيى بن أكتم فيبعض الأحوال، وبكل قاض بالنهار يرتشي، وبالليل ينتشين وكل عدل يسرق في الصباح ويفسق بالعشي.

وإن كنت شاعرا عزمنا عليك بشعر والبة بن الحباب، وأبي نواس المرتاب، والخليع وأولائك الاصحاب، وابن سكرة وابن حجاج، وابن العفيف والحلاج، وبالأعمى المخزومي ولسانه المرهوب، وبالأعمى الخنقي² وما قاله في ابن الموهوب³.

وإن كنت صحافيا قرانا عليك مجلة الصباح، وجريدة النجاح⁴، وأضحكناك بجريدة جحجوح وأحبها الجحجاح، وأتحفناك بصحيفة الروح وما يدبرها من أرواح، وتلونا عليك السعادة والوداد، والبلاغ¹⁵ والرشاد¹⁵، وشددنا عليك الوثاق، بجريدة الوفاق¹⁵، المنفقة للنفاق، الملفقة للكذب والاختلاق، وبصاحبها الملاق، المخلوق بلا خلاق، وعزمنا عليك بمجلة البدائع، وفحشها الذائع، وذكرناك بجريدة المعيار¹⁵، وكتابها الأعيار، وبجريدة الجحيم¹⁵، وربك غفور رحيم.

¹ عبد الحي: لعله عبد الحي الكتاني.

² الأعمى الخنقي: هو الشيخ عاشور المنسوب إلى مدينة "حنقة سيدي ناجي".

³ ابن الموهوب: هو الشيخ المولود بن الموهوب الذي كان مفتي مدينة قسنطينة.

⁴ النجاح، البلاغ، الرشاد، الوفاق، المعيار، والجحيم: أسماء صحف جزائرية وكلها ضد جمعية العلماء ما عدا جريدة الجحيم.

يا عفریت ! إن كنت عربيا فصيحاً قلنا لك: لا يتعدي على حرمة البريد، إلا كل شيطان مريد، وإن كنت جزائرياً قلنا لك: تعطيل البراوت¹، ما يفعلوه إلا الخراوات، وإن كنت تونسياً قلنا لك: ماهوشاصواب، تعطل لنا كل جواب، وإن كنت مغربياً قلنا لك: ما يتجوسس شاي²، على البرا غير المرا³، وإن كنت فرنسياً، قلنا لك: ياميطر⁴، تعطيل الليطر⁵، ليس مما يشرف الطيطر⁶.

يا عفریت ! لا أسألك بالرجل المذء، ولا بخالد الحذاء، ولا بمن جرى مجراهما، واستمسك بعراهما، ذلك نسب إلى طبع كان يغلب عليه، وهذا إلى رجل كان يجلس إليه، ذلك حقق عدالة الحكم، وهذا أدى أمانة العلم، ولست منهما ولا كرامة ... إلخ
وهي طويلة فارجع إليها إن شئت في كتاب "برد العزائم في سرد العزائم"، أو في كتاب "إتقان النقشة، في علم اليقشة"، تجدها بنصها الكامل

حاشية:

قرأت في بعض كتب الفن أن من شروط هذه العزيمة: أن تقرأ في جوف الليل، عند ارتقاء عرى الليل، عند ارتقاء عرى الذيل، عند اقتران الثريا بسهيل، فمن الاحتياط، أن لا تغفل هذه الأشرطة.

¹البراوت: جمع "برية" كلمة دارجة معناها الرسالة أو الجواب

² ما يتجوسس شاي: باللهجة المغربية ومعناها لا يتجسس.

³البرا-المرا: الرسالة - المرأة.

⁴ميطر: كلمة فرنسية معناها أستاذ، وتطلق على الخامي.

⁵الليطر: كلمة فرنسية معناها الرسالة.

⁶الطيطر: كلمة الفرنسية معناها العنوان، ويعني المكانة والقيمة المعنوية.

سجع الكهان*

هذه فصول، إن لا تكن فيها روح الكاهن ففيها من الكاهن سجعه، وإن لا يجلب في جوانبها صدى الكهانة ففيها من ذلك الصدى رجعه، فيها الزمزمة المفصحة، والتعمية المبصرة، وفيها التقرير والتبكيث، وفيها السخرية والتنكيث، وفيها الإشارة اللامحة، وفيها اللفظة الجامحة، فيها العسل للأبرار، وما أقلهم، وفيها اللسع للفجار، وما أكثرهم، فلعلها تهمز من أبناء العروبة جامدا، أو تؤز منهم خامدا، فنحني شيئا من ثمرة النية، ونغير أواخر هذه الأسماء المبنية.

وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعده المتخلفون من كتابنا غربيا، وما غرابته في أذواقهم، إلا كغربة الاعلاق النفيسة في أسواقهم، ولو حفظوه ورعوا معانيه واقرؤه في مواضعه من كلامهم، وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم، لأحيوه فحيوا به، ولأصبح مأنوسا لا غربيا، وأصبحوا به من لغتهم قريبا، ولكن أعياهم الإحسان، فغفروا في وجوه الحسان، وعجزوا فيحني الثمرة عن المصير، فرضوا من اللغة بما يباع في "سوق العصر"¹.

منشئ الفصول

"نحن الكهان، أفراس رهان منا السابق المصلي، ومنا الآبق المولي، كنا إرهابا للنوبة، ودليلا للضعف إلى القوة، فلما جاء الحق، وحيص² الشق، اندحرنا وانجحرنا، فلما عادت الكسروية إلى شرائعها، والقيصرية إلى ذرائعها، آن أن نعود إلى الإنذار، ونصرخ في وجوههم: حذار حذار، إن بطش الله لشديد، وإن الحرير قد يفل الحديد".

كاهن قديم

"الكاهن، لا يداري ولا يدهن، كلامه رمز، ليس فيه لمز. عاذ غيره بالتصريح فعاد بالتحريح، ولاذ هو بالكهانة، فأمن المهانة. كان ... فكان الزاجر الرادع، للفاجر الخادع، وكان ... فكان نذير السارق والمارق، والخاتل والقاتل، والمحتال والمغتال، والقاذف والحاذف، والمبتهر والمبتثر³. تحف قواهم إذا نوفروا إليه، وتحف لهواتهم إذا وقفوا بين يديه، لاستتارهم بالعيب،

* نشرت في العدد 69 من جريدة "البصائر"، 28 فيفري سنة 1949.

¹ سوق العصر عند العامة هو السوق الذي تباع فيه الأشياء القديمة المستعملة (الخردة والاسقاط)

² حيص: خيط، ومنه المثل: أن دواء الشق أن يحاص.

³ الابتهار ادعاء الفاجر الفجور كاذبا، والابتثار ادعاؤه صادقا.

واستهاتارهم بالغيب، فلما جاء "محمد" بالحق فاء الناس إلى اليوم عادوا إلى الجاهلية، وتقبلوا في أرحام حنظلية وأصلاب باهلية، فماذا نصنع؟ أنتقدم منذرين، أم نتأخر معتذرين؟ بل نحبي الاسم، ونميت - كما أمات الإسلام - الرسم".

كلام الكاهن ليس بالواهي ولا الوهان، كأنما وخزه الماء، أو لمستته السماء، ففيه من الماء إيرا، وفيه من السماء إشراق. شارف مكامن الغيوب ولما ... وورد معين العربية فورد جما، عمر صحائف من ديوان العرب، وكان من شعرهم كالكر من القرب¹، بل كن هو الشعري أول أدواره، وكان قارع باب البيان وفارع أسواره ... اصطنع الكهان السجع ليروقوا السامع ويروعه، وليسهل على الناس فيحفظوه ويعوه. لهم في حوك الكلام مقامات حسان، أخذ منها ابن دريد والهمذاني تلك المقامات الحسان. سبقوا في السجع فما سبقتهم إلا الحمائم، وأخذوه طبعاً فما لحقهم فيه صنعا إلا "بعض ذوي العمائم". وما عدا هذا من الأسجاع، فهي غصص تتبعها أوجاع".

لا أقسم بذات الحفيف، والجنح الخفيف، المشاركة في جوها للكفيف² وبالسر المودع في التجاويف والتلايف، وبالمغيرات صبحا عليها التجايف، والمغيرين على الحق كالعاهر ابن العفيف³. وبالسباغات والسوايغ من الدروع والجلابيب، وبالأخذين أمس من تل أيب بالتلايب، وبالبحر والسفينة، والخبر "الدفينة"⁴، إن أبا الطيب المتنبى لمن موالينا، وممن تلقى الكهانة عن أوالينا، وإنه ما دعي بالمتنبى⁵ إلا لأنه كان شاعرا كاهنا، ليناقض النبي الذي لم يكن كاهنا ولا شاعرا، وقد نفيا عن النبي مجتمعين، فثبتا في المتنبى مجتمعين، وإن كثيرا من شعره كهانة ملتفة بالشعر، يوطيها في جمل، ويغطيها بممدوح أو جمل، وستظهر أخبارها، وتعلم أنباؤها ... وإن قوله: وقعت على الأردن منه بلية، هو من الكهانة الكاهنة (بالحالة الراهنة). قالوا أراد أسدا قانصا، وقلنا أراد رجلا ناقصا. قالوا: أراد كلبا، روع قلبا، ومزق خلبا، وأوسع المهج سلبا، وقدم ضراغمة غلبا، أوطنها غابات غلبا وذاد عنها أشاوس غلبا، قلنا: إنما أراد رجلا ركب صعبا، وباع شعبا،

¹ حبل يشد في باقي عراقي القرية.

² السماء لأنها مكفوفة

³ ابن العفيف التلمساني، له نزعات شاذة في الاعتقاد.

⁴ طعام معروف عند اليهود.

⁵ بدر بن عمار الذي قتل الأسد

وعق لؤيا وكعبا، وسلك بنو أبيه شعبا، وسلك وحده شعبا، وخذلم في الجلى فملاً القلوب
رعبا، واشتف صباة المال، فلم يدع لبائس حلسا ولا لبائسة قعبا... لميرد أسدا خادرا، وغنما
أراد رجلا سادرا، يظهر في زمن نحس، ويبيع ضفتي الأردن بثمان بخس، وأين ليث عفره بدر
بسوط، من شخص كفره صدر بنوط.

أيتها البحيرة¹، مالك في حيرة؟ لقد شهدت لبدر بن عمار بالفتوة، فهل تشهدين لأبي الطيب
بالنبوة؟... حدثني الولي يا (ولية)، أيهما كان عليك بلية، ذاك الذي وردك زائرا، أم هذا الذي
ورك خائرا؟ إنهما لا يستويان، ذاك أسد غاب، رزقه في الناب، وهذا حلف وجار، رزقه على
الجار، ذاك يعيش على فرائسه، وذا يعيش على فضلات سائسه، ذاك رمز إقدام، وهذا موطن
أقدام، ذاك ورد الفرات زئيره، وهذا جاوز الفرات تزويره، ذاك مشغول البال بتربية الأشبال، وهذا
مشغول... بعرس الغول.

أيها الصاعد في العقبة، المجاحش عن خيط الرقبة، البائع لجار السوء صقبه، لا يكن صوتك
الصيت، لو أحييت البحر الميت.

أيها الخاذل للغزى²، ما أنت لهاشم... إنما انت لعبد العزى، أغضبت سراة الحي، وأزعجت
الميت منهم والحي، من لؤي إلى أبي نمي. فويحك، أما تخاف أن تهلك، يوم يقال: يا محمد أنه ليس
من أهلك.

كاهن الحي

¹ المراد بحيرة طبرية.

² جمع غاز.

سجع الكهان*

ألية بترية الكواهن، ما حازم في أمره كواهن.

ويل للعرب، من حبل قد اضطرب، وشر قد حل ولا أقول قد اقترب. قسم الويل، على العميم والخويل. فويل للعرب من ملوكهم، ويل للعجم من لسوكهم، وويل للروم من صعلوكهم، جنت على الأصفر ناره، وعلى الأبيض ديناره، وعلى الأسود فدامته واغتراره، وعلى العربي ركه، ولسانه النبطي.

ما أكثر الملوك واهون العنا، وما أكثر السيوف وأقل الغنا، سيوف، كالدراهم الزيوف، هذه لا تقني، وتلك لا تغني، ونعيز العروبة بالله من ملك لا يدفع، وسيف لا يقطع. أحاجيكم، ولا أناجيكم، ملكة في أفحوص، وعاصمة ليس لها (فحوص)، ودولة بلا صوة، وخزينة من أصفار وخزانة بلا اسار، وكروسي بلا قوائم وعرش بلا دعائم... عرش كعش الحمامة، عود من غرب¹ وعود من ثمامة.

قد لصه² قعيده في هيعه ناله بالبيع لا بالبيعه

وسيوف مجربة، تخيرن من يوم "تربة"، وجيش دربه الغير، وجربه إلا في الخير، وبطانة مد بها الشيطان أشطانه، وحاشية كالماشية، وأسماء بلا مسميات، ومجازات لا حقائق لها، ومجازات كلها حقائق، وملك يأتمر ولا يحج ولا يعنمر، يحسن فيه التمثيل بملك (التمثيل). بت الجلالة منه كما بكى الخز من روح³، وضاق بسره وشره ومن لها بالبوخ؟ عشقها يافعا، والتمس لوصلها شافعا، فكان الشافع عدو وطنه وقومه، وظالم أمسه ويومه، فأين يقع هذا من ارض الله؟ فإن عرفتموه فسلوه من ملكه، بعد ما لأكه وعلكه، وفي خت الإبرة سلكه؟ ومن صيره غراب بين، وجالب حين؟ ومن أعجم تعرييه، أو حكم على الشر تدرييه.

أنشد ابن خلكان في القرن السادس هذا البيت:

كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيرا فلما شب بيع بقيراط

* نشرت في العدد 70 من جريدة "البصائر"، 7 مارس سنة 1949.

¹ الغرب والثمائم: عودان رخوان.

² لصه: سرقه، ومنه اللص.

³ روح بن زنباع المقول فيه: بكى الخز من روح وأنكر جسمه.

وقال: إن عبد الله هذا لم يعرف أحد من هو. فمن لقي ابن خلكان فليخبره أن كاهن الحي عرف عبد الله صاحب السنور...

أيها العربي: الحق سافر، والعدو كافر، والقوي ظافر، فعلام تنافر خصمك إلى خنافر¹؟ يلك إن المنافرة لا تكون إلا في المشكوك، وإن الحق تحميه السيوف لا الصكوك، ويحك إن منافرة الكهنة إلى الكهنة، بالخبيبة مرتهنة، مجلس الأمن مخيف، والراضي بحكمه ووضع ذو عقل سخيف، غنهم ليسوا من شكلك، وأنهم متفقون على أكلك.

¹خنافر بن التوأم الحميري، كان كاهنا في حمير، ثم اسلم على يد معاذ بن جبل، وأخبره مع صاحبه شصار مبسوط في كتب الأدب وكتب الرجال.

سجع الكهان* -3-

أيها الأعراب، هل فيكم بقايا من حرب أو من محارب¹؟ دبت بينكم العقارب، وأنتم أقارب، فتكدرت المشارب، وتفوضت المضارب²، وكهمت المضارب³، وغاب المسدد في الرأي والمقارب، ولم تغن النذر والمثالات والتجارب، إن لدهاة المغارب يدا خفية المسارب، قرأوكم سطورا لا رجالا، وعرفوكم بطاء على الجلى لا عجالا، وحفظوكم شعرا بلا روي، وفكروا بلا روية فأخذوكم راتجالا، وخلوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا، وحسبوكم عمدا في التركيب الأُممي فالفوكم مفاعيل وأحوالا، فأعربوكم إعراب الفضلات، وعاملوكم معاملة المهملات وراضوكم على المهانة حتى ذل جانبكم، ووطئت مناكبكم. فأصبحوا لا يبالون برضاكم لأنه لا ينفع، ولا يأبهون لسخطكم لأنه لا يضر، إن الغضبة لا تعقبها وثبة، هي غضبة الذليل العاجز، ولو افترت كل بارقة منكم عن صاعقة، لما حمد شائموها القطر، إن غضبة العاجز لا تبكي ولا تنكي. تشتعل في الحنيا ولا تهدم الحنايا، تحرق صاحبها ولا تحرق الناس، وتلك هي غضبتكم حين تغضبون.

إن للغرب فيكم مطايا ذللا، ولرائده منكم أدلة أذلة، هم أصل البلاء والعلة، قادكم بسلوك من الأمراء والملوك، فقادوكم على الهاوية، فانزعوا المقادة من هؤلاء القادة تفلحوا، ولن تفلحوا ولن تصلحوا مادام يلقاكم بوسيط واحد، فتلقونه بسبعة سفراء، ويلقاكم برأي جميع، فتلقونه بسبعة آراء، ويلقاكم بكتيبة ملمومة، فتلقونه بشراذم شتى ... ويحداكم نذيره بإنجيل واحد، فتعارضونه بوحناء ولوقا ومتى.

لن تفلحوا ولن تصلحوا إلا إذا رجع أمركم إلى الشعب، واجمع الشعب على رأي واحد، واتفق الرأي على نظام واحد، وتمخض النظام بدستور واحد، وملك واحد، فإن قلتم: إن هذا عسير، فعيشوا عيشة الأسير أو موتوا ميتة الحسير، شبر في الحياة وقبر في الممات.

* نشرت في العدد 71 من جريدة البصائر 14 مارس سنة 1949.

¹ حرب ومحارب: قبيلتان من العرب.

² تقوضت المضارب: المضارب الخيام.

³ كهمت المضارب: كهمت كللت والمضرب ما ضرب به من السيف والمضارب جمعه.

جاءتكم النذر تترى، والمعجزات شفعا ووترا، وقامت عليكم الحجة من ثلاثين حجة، فتغافلتكم أولا، وتخاذلتكم أخيرا، وضاعت العروبة بين التغافل والتخاذل.

إن الفارق بين لفظي العرب والغرب نقه، وفيها كل السر، وفيها كل الشر. وقف الغرب بالباب فلم تحركوا، ثم أنشب الظفر والناصب فلم تستدركوا، ثم دس أنفه في التراب فوجد رائحة الزيت، ثم طلب الوقوف بالأعتاب فوطأتم له أكناف البيت. إن الزيت إدام، ازدحمت عليه الأقدام، فحرمه الجبان وحازه المقدام، وكان حظكم منه حظ الطباخ الصائم: وهما في اليد ورائحة في الأنف، فيا أرض ابلعي زيتك، وأحي ميتك، وإلا خرب (أبرهة) الغرب بيت الله وبيتك.

ألا إن الغرب جاهد في أن يلحق بلفظ السبع منكم حرفين فإذا هو (سبعون)، وأن يزيد في عدد السباع من ملوككم فإذا هو سبعون.

أيها العرب: ما أضيع حكمة الأسلاف عندكم، لقد أبقوا لكم من وحي السماء وحكمة الحكماء، ما لا يبليه التراب، ولا تنسيه الأحقاب، وما لو عملتم به لسدتم الكون أئمة، وقدم الكائنات بالأزمة، ولفللتهم السيوف بالآراء، ودحضتم الآراء بالسيوف، ولكنكم أضعتم التراث بتشاكس الوراث، وإذا كان الوارث غير همام ولا حارث، غارت العين الفوارة، وقحلت الأرض الغوارة:

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا البيت الرفيع تعاورته بناءة السوء أوشك أن يضيعا

أيا العرب: أطمعتم الكبراء فأضلوكم، وخضتم للأمراء فأذلركم، حتى لنتم للعاجم، ودنتم للأعاجم، وحتى ألقيتهم بالمقاود، لمن سماهم أجدادكم رقاب المزاود، فويحكم: أغني ويقترض، ومحجوج ويعترض ويعترض؟ عز الداء وغاب الآسي ... لم يأس جراحكم ألف "دكتور" فهل يأسوها "ديكتاتور"؟ ..

وضع الأجداد العقل للرجل فنقلته الأحفاد إلى الرأس، وعدلوا به من الأباغر إلى الناس، وما بين النقل والنقل، ضاع العقل... والتصريف للألفاظ كالتصرف في الأموال فيه القصد والسرف. كاهن الحن.

سجع الكهان * -4-

أبد لها صابا بمن ¹	أخني الزمن على اليمن
مهزولة على سمن	جيش الشقا لها كمن
دستورها: لا تفهم	مغصوبة بلا ثمن
سل سيفها ² أنت لمن؟	لا تقرأن لا تعلمن
أغربة على دمن	سل سيفها بيد من؟
عد للحمى يابن اليمن	لا ناصر لا مؤتمن
إن لم تذد عنها فمن؟	جد بالدماء من غير من
روح جنت على البدن	يا ذا جدن ³ أين ⁴ عدن؟
شر الملا لها سدن	فهو الحوا ⁵ وهي الفدن
يا نائيا لا تبعدن	قرن البلا فيها شدن
يا ساهيا لا ترقدن	يا وانيا لا تقعدن
ولا تغب بل اشهدن	يا حاملا لا تزهدن
لا تعتصر في غير دن	ولا تدن ما لم تدن
تخشى الردى فلتخلدن	تبغي الهدى على الهدن ⁶

* نشرت في العدد 72 من جريدة "البصائر"، 21 مارس سنة 1949.

¹ الصاب: مر، والمن قرين السلوى في القرآن.

² سيف البحر بكسر السين ساحله، والسيف الثاني واحد السيوف وهو معروف.

³ ذو جدن من أذواء اليمن.

⁴ أين: لغة فصيحة في أين الاستفهامية.

⁵ الحوا: أبيات حقيرة، والfdن القصر.

⁶ الهدن جمع هدنة، وحياة الهدنة مضلة

يا بلاد الأذواء¹، لا أقول: وقيت الاسواء، ولا أقول: سقيت الأنواء، ولكن أقول: ثكلت الأبناء،
يا مطارح الأبناء²، فكل أدوائك من أبنائك، وإذا كان الولد سخنة عين ومجلة عر وشين، فالثكل
فيه نعمة لارزية، والعقمبه فضل ومزية.

سموك السعيدة فشقيت بمن ولدت، وما سعدوا ولا سعدت، فأين أنت اليوم ممن كنت سعيدة بهم
وكانوا عدااء بك؟ أين أنت من سعد العشيرة وحماة الأهل والجيرة؟ أين أنت من حمير وأشياعه
وتبع وأتباعهم؟ أين؟ لا أين ...

أما ظفار، فد حالف عهدا الإخفار، وخالف ظلامها الإسفار، وأما حضر موت، فقد ساورها
الموت، وجاورها الخسران والفوت، وحاورها النجي فما سمع لها صوت، وأما صنعا، فما أحسن
بنوها صنعا، قد أصبحت خرقاء، وعطلت من طوق الوراق، وعقمت أن تتمخض عن
امعية (زرقاء)، ما حاكت في عبقرى الأزمنة ولا وشت، وطار الناس فما حبت ولا مشت.

انعكست الخصائص وغلبت النقائص، وأعوز الجو الطائر حين أعوز البحر الغائص.
أيها العامد إلى غامد³، والدافع إلى يافع⁴، هلا وقفت بالاطلال، من عبد كلال⁵، وهبطت
التلاع، من ذي كلاع⁶، فهتفت بالرفات، من الأموات، عليهم يسمعون فيهطعون، قل - وخلاك
ذم - قد دخلت الدار من جميع الأقطار، فهل من المقاتل الصيد، حارس بالوصيد، إن الصائد قد
صيد، وإن الشاعر قد أحلى⁷، فلا بديع في البيت ولا بيت في القصيد.

كذب الرعد، وأخلف الوعد، وأورد الإبل سعد، فضاع (قبل) ولم يحفظ (بعد). فكأن أمؤ القيس
أورى زنده، واستعرض مستقبل بني أبيه من كنده، فقال: زدع عنك نهبا صيح في حجراته، وها
هي ذي مواطن قومه نهب مقسم، وقد كذبت المخايل من توسم.

¹الأذواء: أمراء اليمن في القدم، جمع ذو.

²الأبناء: طائفة من الفرس استوطنوا اليمن.

³غامد: قبيلة يمنية

⁴يافع: كذلك، ثم أطلق على موطن باليمن.

⁵عبد كلال: أبو قبيلة يمنية

⁶ذو كلاع: من أذواء اليمن.

⁷أحلى الشاعر إذا كان شعره ليس فيه معنى جيد.

سا سبا، هل جاءها النبأ، وقل صدق المثل¹ فيك مرتين، وأعاد التاريخ نفسه كرتين، لقد سار أعقابكم في الزمن الحثيث سيرة وانية، فبادوا في الجيل الحديث بيده ثانية.

ناد -مسمعا- في الجمع الراشد، من بكيلى وحاشد²، فإن أصاحوا إصاحه الناشد، فقل: دهمكم السيل فلکم الويل، هذه آثار أسلافكم مجفوة وهذه قدروكم الراسيات مكفوة، وهذه الرقاع من البقاع غير ملتامة ولا مرفوة، طمست السواقي، ما خلدت القوافي، وهفت الهواقي بالقوادم والخوافي، وفرست العوافي³ ما نامت عنه العيون الغوافي⁴، ماتت الأذواء وعاشت الأذواد، وذهبت وذهبت الأقيال⁵ وبقيت الأقياد.

إن الزمان الذي جر إلى جرهم، وختا على خثعم، قبل أن يأتهم بنذير، أو يبلوهم بتحذير، قد جاءهم من الغرة بعذير: أما اليمانون فلهم من الإسلام محجة، وعليهم من زمانهم ألف حجة، فهم كثمود، حين لاح لهم البرهان عمود، فضلوا، أو كقوم هود، حين أخذت عليهم العهود، فزلوا.

كاهن الحي

¹ المثل هو: تفرقوا أيدي سبا.

² بكيلى وحاشد: قبيلتان باليمن ما زال اسمهما محفوظا.

³ عوافي الطير والسباع هي المفترسات منها.

⁴ الغوافي: النائمة.

⁵ الأقيال: الملوك في عرف اليمن القديم.

سجع الكهان*

-5-

والعتاق الضمر، والعقبان والحمر¹، والهامة ودمر²، والزامر إذا زمر، والخادع وما دمر، والعامر إذا عمر، والشمري إذا شمر، ومن حبس الجيوش جمر، ومن دخل ظفار فحمر³، إن للظماء مآرب في ماء مارب⁴، أنها تلوب على مطلوب، كونه الحيا فكون به الحياة، فلا تجد إلا السراب والخراب والغراب.

ياعاد، أودى درم⁵، فما عاد، ويا سبأ، هل كنت من سيل العرم على ميعاد؟ أغنى أسلافك عن ماء مأرب، ماء يثرب، وبرد أحشاءهم ماء بردى، واتخذ أبناء قبيلة في ظلال النخل مقبلا، واتخذت غسان منه⁶ إلى جنان الشام سبيلا، فما أغنى أخلافك اليوم؟ إنهم عراة، بالسراة، وظماء بلا ماء، ورعية لراع غير ترعية⁷، حطمهم رعاة البر، فأصبحوا خولا لرعاة البحر، حف مارب وروافده، فخرّب اليمن ومحافذه.

يا أخلاف لم يسبق مخلاف، بنيتم السد وأحكمتم للثغور السد، وأحسنتم لأواخي الأخوة الشد، وحدثتم للأبناء ما بناه الجد. هلا وجهتم العناية إلى هذه الآية ﴿لقد كان لسيا في مسكنهم آية﴾ إنها - وأبيكم - عبر العبر، في وصل المبتدأ بالخبر، أي الجنتان عن يمين وشمال؟ وأين البلدة الطيبة؟ أنها اليوم رمال، وأين القرى الظاهرة والعمارة المتكاثرة؟ أنها اليوم قفار، وأين تقدير السير بالأميال، لتيسير الاتصال؟ أنها اليوم مجاهل، يضل فيها القطا، ويقطع فيها من المطايا المطا⁸. أجذبت الخمط والأثل، فضلا عن الكرم والنخل.

* نشرت في العدد 74 من جريدة البصائر 4 أبريل سنة 1949.

¹ نوع من الطير.

² متزهان بظاهر دمشق.

³ صار جيريا، وهو مثل.

⁴ مأرب: سد أثري في اليمن، وقصه في القرآن.

⁵ مثل، ودرم رجل في عاد غاب ولم يرجع، وأودى هلك.

⁶ الضمير إل غسان لأنه الأصل اسم ماء نزلوا عليه.

⁷ الترعية بالكسر والتخفيف: الذي يحسن الرعي.

⁸ المطا: الظهر.

أعرض أسلافكم عن هدى الله فباعد بين أسفارهم، وجعلهم أحاديث، ومزقهم كل ممزق. وأعرضتم عن سنن الله فباعد بين قلوبكم، وكنتم أهون عليه من أن يسير فيكم حديث، أو يسطر في شأنكم قصص، أولئك أخذوا على قوة، فالأحاديث عنها تملأ المسامع، وتهز المجامع، وأنتم أخذتم على ضعف وانحلال، فالحديث عنكم لا يثر عزة، ولا ينير السبيل إلى قدوة.

لم بذل الكهان، معز وما هان، في أن يأتوا بمثل قوله ﴿فجعلناكم أحاديث﴾¹ لما حصلوا، ولو رقوا إلى سماء البلاغة بسلم وكان فيهم العض¹ والملمهم والمكلم، لما وصلوا، جل كلام الله، وقل كلام الكاهن.

يا أسلاف، ورثتم الحكمة وسيرتم الأمثال والفقر، وعمرتم من التاريخ صحائف بالحمد، وشغلتم القرون بالحديث عنكم، وشدتم الباقيات للحضارة، وزينتم الحياة بالقوة والبأس الشديد، وسبقتكم العالم إلى موارد العزة في الدنيا، ووقفتم في نصف هذه الكرة تحكمون وتحكمون، وتصلون شرقها بغربها وتقسمون، فبدتم وما بدت آثاركم ولا أخباركم.

ويا أخلاف، ماذا صنتعم؟ وبماذا اقتنعتم هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، وجهلتم مواضعها، فهل النسب مدخول؟ أو الانتساب غير مدخول؟ ويلكم ! إن الألوان، على الدلالة أعوان، سود بنو العباس لسؤددهم، وبيض العلويون لطهارتهم، وخضر العبيديون لدعواهم ودعايتهم، وزرقتكم² ... لماذا؟ ...

¹ العض: العالم الخبير، والعضان زيد بن الكيس ودغفل أعلم العرب بالنسب.

² لبستم الزرقة، وبدو اليمن يعشقون هذا اللون.

سجع الكهان*

6

أقسم بالذئب الأطلس، والثعبان الأملس، إن المتجر بالأحرار لمفلس، وإن العاقل بين الأشرار لمبلس، وإن العربي لزنيماً إذا بقي في المجلس¹، ذهب العز الاقعس، وحل الجلد الأتعس، ونزل من غير الزمان ما أنسى النسيب في الكثيب الأوعس، والتبيب بالثغر الالعس.

أيها الهائمون في البيد، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشة العبيد، على البرير والهبيد² لن تزالوا كذلك أبد الأبيد، لا عمر لبد أو لبيد، حتى تعملوا بقول الأشعر: ومن ومن، فهو دين كل زمن³.

كتب الله أن الصداقة مطوية على العداوة، وأن الحضارة متصلة الطرفية بالبداءة، وأن في الإنسان جبلة من الحيوان، ما زال في التزوع إلى أصلها غير وان، وأن الضعيف طعام للقوي، وأن الرشيد في أبناء آدم مجرور بالغوي، وأن من لم تبسط يدك لتقتله بسط يده لقتلك، وأن من قصرت في ختله جد في ختلك.

ثار للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة من يقطين، وشياطين تتزو للإراء إثر شياطين، ويوم في أعناقكم بيوم حطين، تنسيه غزيرة الماء والطين، فتذكره نعة الجنس والدين، أنسيتم يوم تنادوا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتداعوا مصطلحين، وتعاونوا من كل حذب، وتهاووا من كل صيب، ذؤبان تقدمها رهبان، وغربان تظللها صلبان، بنفوس من الحقد ثائرة، وقلوب بالبغضاء فائرة، تنازعكم إرث الإسلام، ومعراج نبي السلام؟ أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين؟ إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرون، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود؟ أم أين كنتم يوم جاؤوكم بالفهود في المهود؟ أم أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود؟ أم أين كنتم يوم جاؤوكم بالفهود بالمهود؟ أم أين كنتم يوم أمنوا بإسحاق وكفروا بهود؟ كل ذلك

* نشرت في العدد 75 من جريدة البصائر، 11 أبريل سنة 1949.

¹ مجلس الأمم المتحدة على الباطل.

² البرير: ثمر الأراك، والهبيد: حب الخنظل.

³ إشارة إلى قول زهير في معلقته:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه ... الأبيات.

وقع وأنتم شهود، ولكنهم كانوا أيقاظا وأنتم رقود، أمعنوا في الاستعداد وأمعنتم في الرقاد، اعتمدوا على العلم و(الريال) واعتمدتم على الجهل والخيال، جاؤوكم بصف واحد كملمومة الصخر، وجئتموهم بصفوف متخاذلة، جاؤوكم على قلب رجل واحد، وجئتموهم بقلوب متنافرة، قادهم إلى الظفر قائد واحد ورأي جميع، وقادكم إلى العار قواد متشاكسون ورأي شتيت، ما أضاع السيادة إلا توزيع القيادة، اجتمعوا وافترقتم، فسلموا واحترقتم.

تالله ما ضاعت فلسطين اليوم، ولكنها ضاعت يوم وعدوا بها، فركنوا إلى العمل، وركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون، منذ نبت قرن صهيون، فتماريتم بالنذر، ولم تأخذوا الحذر. لا تقولوا إن شر دين، ما جر التشريد للمتشردين، فإن شرا منه عقلكم الذي جر العار للعرب أجمعين، وكر بالخزي على جميع المسلمين.

جاء النصر من مصر، فلماذا تخلفت البصرة عن النصر؟ قلب وجف بالنجف، بعد ما رقأ الدم وجف، وآخر خفق بالمنتفق، بعد مغيب الشفق وافتراق الرفق، ما أغنى الخفوق من قلب الشقوق، وما أجدى الجيف بعد ما سد الباب واجيف¹.

أيها العرب: بعضكم أبرار، وجلكم أشرار، وكلكم أغرار...

¹ أحيف الباب: أغلق مصراعه.

سجع الكهان*

-7-

بارق في برقة، شئنا من بعيد برقه، فإذا أصوات رجعتها في الآذان خلاف وفرقة، ووقعها في النفوس أسى وحرقة، وإذا فرق من رفاق الجهاد تعادي غفرقة فرقة، وإذا إنتاج ذلك كله وليد في خرقة، وقابلة تجهد في الاهباط وتقول: ارقه. وإذا الغرب من ذلك الهيكل الملموم يزايل شرقه، وإذا الوتد مفروق، والقاعدة فروق، والحمى بالشعواء الصامته مطروق، وصواع بني الأب بأيدي بني الأم مسروق، وإذا القيصرية - المحروبة في كل وطن - تبدو في هذا الوطن المحروب قرونها، ويأبى إلا التقحم في المهاوي حرونها، وإذا صفحة من تاريخ ملوك الطوائف تعاد، فتلقى ممن يعيشون على التفريق الإسعاد

أي جيران الشمال، ومعاهد الآمال، أعيدكم بالعروبة وهي الأم، وبالوطن وهو الهم والأم، وبعمر، حادي الزمر، عمر الشهيد، وما عهده بالعهد، وبما أرقتم من دموع ودماء، لم يبق منها إلا الدماء، وبالإسلام - وهو الذمام - أن تختلفوا في الحق، فترضوا بالشق، أو توسعوا الشق، فتقعوا جميعا في الرق، واعيدكم أن تغتروا بالوعود الخالصة من الدول الغالبة، فإنما ذلك إبساس من الأيدي الخالصة، واعيدكم أن تنكروا التقسيم وأنتم منقسمون، واعيدكم أن يكون غرب النيل كشرق الأردن ... واعيدكم أن ترضوا بالخفض، ولا تقبلوا (الضم)، إن الضم علامة (البناء)، وىية (استقرار) البناء، فاجهدوا في إثبات الضم وخلاكم ذم.

إن هؤلاء الأقوياء كلما عجزوا عن قيادة الجمع قادوهم بواحد ... فاحذروا ذلك الواحد، وإن الجانب الغربي لكم عدو، فاتخذوه عدوا، واحذروهم رواحا وغدوا، واحذروه قلقا وهدوا. ويح فزان، هل أتاها نبا وزان؟ شال بها الميزان، فهي رهينة أحزان.

وويح برقة البوارق، من الدخيل الطارق، ومن الأصيل المارق، ومن اللص السارق. عتبات الفتح بنيت على الكسر، وآسرة الصيد منيت بالأسر، وصائدة المناسر صاها النسر، وجسر العروبة إلى المغارب، عصفت بع الأعاصير ... فتداعى الجسر، وباذلوا الماعون في ساعة العسر، جزوا في العاقبة بالخسر، ثم كانت خاتمة الكيد، إرجاعهم إلى القيد.

* نشرت في العدد 88 من جريدة البصائر، 25 جويلية سنة 1949.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم - رواية ورش

- 1- ءاثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ج2، ج3، ط1، 1997م.
- 2- أبنيه الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد العراق، ط1، 1965م _ 1385هـ.
- 3- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد ياسين - مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1392 هـ - 1973م.
- 4- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبتكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1999م - 1420هـ.
- 5- أدوات النص، دراسة، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000م، (دط).
- 6 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشيري زايد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م (دط).
- 7- إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 2003م.
- 8- الإسلام، حقيقته وموجباته، محمد عقله، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، (د ت) و(دط).
- 9- أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830م-1954م، بوعلام بسايح، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، (د ت) و(د ط).
- 10- ألفاظ الغفران في القرآن الكريم، دراسة لغوية، سحر ناجي فاضل المشهدي، إشراف محمد حسين، جامعة الكوفة، العراق، 2007م-1428هـ.
- 11- الألسنية محاضرات في علم الدلالة، نسيم عون، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2005م.

- 12-الألمعية في الدراسات المعجمية، العمري بن القلعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر (د ت) و(د ط).
- 13- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار أحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988م _ 1408 هـ.
- 14-البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م.
- 15-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمان حاج صالح، موفم للنشر، الجزائر ج2، 2007 م (د ط).
- 16-بديع الزمان الهمذاني، مصطفى الشكعة، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983م _ 1403 هـ.
- 17-بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، دار المعارف، مصر ط2، 1995م.
- 18 _ البيان والتبيين، الجاحظ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ج3(د ت) و(د ط).
- 19 _ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1964 م _ 1394 هـ.
- 20 _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعة مصر، ط1 2005م _ 1426 هـ.
- 21 _ التحليل النحوي أصوله وأدلتها، فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع لوانجمان، ط1، 2002م.
- 22 _ تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، (د ت) و(د ط).
- 23 التركيب اللغوي لنقائض جرير، لخضر بلخير، جامعة باتنة، 1991م - 1412 هـ.

- 24- التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ت) و(د ط).
- 25_ التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2008م _ 1482هـ.
- 26_ تطور النثر الجزائري الحديث، عبد الله التركيبي، معهد البحوث والدراسات العربية، دار نافع للطباعة، مصر، 1976م(د ط).
- 27_ التفكير اللغوي الدلالي، حمدان حسين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط12002م-1423هـ.
- 28- التنظيم الدولي، النظرية العامة و المنظمات العالمية الإقليمية التخصصية، جمال عبد الناصر مانع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، (د ت) و(د ط).
- 29- جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي، محمد عبد المطلب الشركة المصرية العالمية للنشر، لوبنجمان، مصر، ط1، 1995م.
- 30- الجمل في النحو، للخليل دراسة تحليلية لمحمد إبراهيم عبادة، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ت) و(د ط).
- 31_ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان، ط2، 2007 م _ 1427 هـ.
- 32_ الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، سليمان فياض، دار المريخ للنشر والتوزيع الرياض، 1990م-1410هـ، (د ط).
- 33 _ الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، (د ت) و(د ط).
- 34_ الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000 م _ 1420هـ.
- 35 _ دراسات أدبية مقارنة، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع، (د ت) و(د ط).

- 36_ دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت) و (د ط).
- 37- دراسات في علم السياسة، سويم العزي، منشورات الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك (د ت) و (د ط)، ص 75.
- 38_ دلائل الاعجاز القرآني، الجرجاني، تح: محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007 م _ 1428 هـ.
- 39 _ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، 1982م.
- 40_ دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، محمد أحمد موسى مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987م _ 1408هـ.
- 41_ دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله دار دجلة، عمان، ط1، 2009م.
- 42 _ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمن، تر: كمال بشير، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، (د ت) و (د ط).
- 43 _ ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 2003م _ 1424هـ.
- 44 _ ديوان ليبد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، (د ت) و (د ط).
- 45 _ رأي في المقامات، عبد الرحمان ياغي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1985م، (د ط).
- 46- الرمزية، تأليف تشارلز تشادويك، تر: نسيم إبراهيم يوسف، المطبعة المصرية العامة للكتاب، 1992 م، (د ط).
- 47- الرمز التاريخي و دلالاته في شعر عز الدين ميهوبي، السحمدي بركاتي، جامعة باتنة، 2008م - 2009م.
- 48- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان ط1، 2003م.

- 49 _ زهر الآداب، الحصري، تح: زكي مبارك ومحمد محي الدين، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ط3، 1953م.
- 50 _ شذا العرف في فن الصرف، أحمد حملاوي، قدمه: محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت) و (د ط).
- 51 _ شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى لبنان ط11، 1963م _ 1383هـ.
- 52 _ شرح مفصل الزمخشري، ابن يعيش، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ج1، ط1، 2001م _ 1422هـ.
- 53 _ شرح مقامات الحريري، شرح وتعليق: يوسف البقاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م (د ط).
- 54 _ الشعر والشعراء، لابن قتيبه، عالم الكتب، بيروت، ج1، ط1، 1982م
- 55 _ صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط11998م _ 1418هـ.
- 56 _ الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت) و (د ط).
- 57 _ الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م _ 1429هـ.
- 58 _ العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، مركز النشر الجامعي تونس، 2003م، (د ط).
- 59 _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع الكويت، ط1، 1982م _ 1402هـ.
- 60 _ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتب العرب، 2001م (د ط).
- 61 _ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، تقديم: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان الأردن ط1، 2007م _ 1427هـ.

- 62 _ علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007م (د ط).
- 63 _ علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، دار الأزمدة ط1، 1988 م.
- 64 _ عناصر تحقيق الدلالة في العربية، صائل رشدي شديد الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م.
- 65 _ العين، الخليل، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، (د ت) و (د ط).
- 66 - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر و التوزيع، (د ت) و (د ط)،
- 67 _ فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 1999 م _ 1320هـ.
- 68 _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م _ 1403هـ.
- 69 - فن المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).
- 70 - فن المقامات في الأدب العربي، عبد الملك مرتاض، الطباعة الشعبية للحبش الجزائر، 2007 م (د ط).
- 71 _ فنون النشر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.
- 72 _ في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م _ 1406 هـ.
- 73 _ في النقد التطبيقي والمقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر (د ت)، ط1.

- 74- القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة، السعيد بو لشعير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2003م.
- 75_ قصص القرآن، لابن كثير، تح: مجدي محمد الشهابوي، دار الرحاب للنشر والفنون المطبعية الجزائرية، (د ت) و (د ط).
- 76_ الكتاب، سبيويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ج3، ط3، 1988م _ 1408هـ.
- 77_ الكشف، الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وفتح عبد الرحمان، مكتبة العبيكان، الرياض، ج6، ط1، 1998م.
- 78_ لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (د ت) و (د ط).
- 79_ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م _ 1427هـ.
- 80_ اللمع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988م، (د ط).
- 81- لا تحزن، عائض القرني، دار البرهان، بيروت-لبنان، ط19، 2006م -1427هـ.
- 82- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الأزريطة، مصر ط2، 2000م.
- 83_ المثل السائر في أدب الكاتب، ابن الأثير، قدمه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة للطبع والنشر، مصر، ج3، (د ت) و (د ط).
- 84_ المجاز وقوانين اللغة، علي محمد سليمان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م _ 1420هـ.
- 85- مدخل إلى الفكر الاستراتيجي، صلاح نيوف، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنرك، (د ت) و (د ط).

- 86_ المدخل الصرفي، على بهاء الدين بوخودود، مؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1977م _ 1408هـ.
- 87_ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، ملتزم الطبع والنشر ط2، 1958م _ 1377هـ.
- 88- المزهري في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، شرح و تعليق: محمد أحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج1، ط3، (د ت).
- 89- مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
- 90- المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي، خليل أحمد عمايرة، دار وائل عماد الأردن، ط1، 2004م.
- 91- المصطلح الأعجمي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1985م.
- 92- المعجم العربي تطور و تاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، البدرائي زهران، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2009 م، 1430هـ.
- 93- المعجم العربي نشأته و تطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة والنشر، ج1، ط2، 1968 م
- 94- معاني أبنية الصرف، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، الأردن، ط2، 2007-1428هـ.
- 95- مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003م، (د ط).
- 96- مقدمة لنظرية المعجم، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1997م.
- 97- المقامات و التلقي، نادر كاظم، مطبعة سيكون، بيروت، ط1، 2003م.
- 98- مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1982م-1402هـ.
- 99- مقامات السيوطي الأدبية و الطبية، شرح و تعليق محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، (د ت) و(د ط).

- 100-المتنع الكبير في التصريف، ابن عصفور الاشيلي، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1996 م.
- 101-منايات و مقامات الوهراني، تح: إبراهيم شعلان و محمد نغش، وزارة الأوقاف، (د ط) و(د ت).
- 102- مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، فرج الربيعي، تقديم عبده الراجحي، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001 م، د ط .
- 103-المنهل، قاموس فرنسي-عربي، سهيل ادريس، دار الآداب، بيروت لبنان، (د ت) و(د ط).
- 104-الموجز في القانون الدولي العام، سهيل حسين الفتلاوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م-1430هـ.
- 105-المواقف، الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، دمشق سوريا، 1977م، (د ط)، ج1.
- 106- النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر ط1، جوان 2009م.
- 107-النحو والدلالة، حماسة عبد اللطيف، دار الشروق القاهرة، ط1، 2000م.
- 108-نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م-1945م، عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1983م
- 109- الوسيط في القانون الدستوري العام، أومون ربّاط، دار العلم للملايين، ط2، 1971م، ج2

▪

المراجع الأجنبية

110-100 FICHES POUR COMPRENDRE LA LINGUISTIQUE, GILL SIOFI, Dan Van RAEM DONCK- Brael Rosny-1999.

111- LA SEMANTIQUE, Christian Touratier, Collection Curus, Lettre Armand colin Paris, 2000.

112- Introduction à L'analyse Politique, BelangeAndrè& J Lumieux Vincent, Presse de L'université de Monteriel, 1999, P 146.

المجلات والدوريات

113- الأثيل والدخيل، الجيلالي حلام، 24/02/2010 العدد 48 من موقع:

www.ARABISATON.ORGCOM/MAJALLAH/48

114- إشكالية الدلالة في المعجمية العربية، علي القاسم، المنظمة العربية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، (دت).

115- دراسة في المعاجم العلمية المختصة، جيلالي بن يشو، مجلة دراسات أدبية، العدد 02 جانفي 2008 م-1430هـ.

116- منهجية في بحث الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، عبد الله شريط، حوليات جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، العدد 1، 1987.

117- مواضيع وأبحاث سياسية، هائل نصر، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1704، 15/10/2006م.

118- ظاهرة التقابل في علم الدلالة، احمد ناصف الجنابي، مجلة المستنصرية، العدد 10-1984م.

119- ظاهرة الحذف بين النحو و البلاغة، سليمان أبو عيسى، مقالات متعلقة، الإنترنت تاريخ الصدور 09/10/2007م.

120- مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، العدد 18/19، ط 1982م.

121 الموسوعة اللغوية، ن، ي، كونج، ترجمة محي الدين حميدي و عبد الله الحميدلن، جامعة الملك سعود للنشر و التوزيع العلمي و المطابع، الرياض، 2000م-1424هـ.

122- نظرية السياق، الموجود مصطفى، ديسمبر 2008م، من موقع: [Hhttp://Almaktaba.net](http://Almaktaba.net)

فهرس الموضوعات

أ-د	مقدمة
-----	-------

مدخل: في مفهومي المعجم والمقامة

06	مفهوم المعجم
07	شروط المعجم
07	وظيفة المعجم
08	التأليف المعجماتي
10	طرق شرح المعنى
12	أنواع المعاجم
18	مفهوم المقامة
22	موضوع المقامة
24	فن المقامة في الجزائر
25	أنواع المقامة
28	مقامات البشير الإبراهيمي

الفصل الأول: المعجم الإفرادي وأثره في تحقيق الدلالة

38	الدلالة الصرفية
40	دلالة أبنية المصادر
44	صيغ أبنية المشتقات
55	الإفراد وفروعه
60	دلالة صيغ الأفعال

الفصل الثاني: المعجم التركيبي وأثره في تحقيق الدلالة

68	دلالة الجملة النحوية
69	الجملة الاسمية
72	الجملة الفعلية
75	الجملة الاستفهامية

80	-----	جملة القسم
83	-----	جملة النداء
87	-----	الظواهر التركيبية
87	-----	التقديم والتأخير
90	-----	الحذف. الاعتراض

الفصل الثالث: الحقول والمساحات الدلالية وأثرها في تحقيق المعنى

96	-----	التقابل الدلالي
101	-----	المشترك اللفظي
104	-----	التقارب الدلالي
107	-----	الدلالة الرمزية
116	-----	الدلالة السياقية
120	-----	الحقول الدلالية
136	-----	الخاتمة
140	-----	الملاحق
168	-----	المصادر والمراجع
179	-----	فهرس الموضوعات

ملخص المذكرة باللغة الأجنبية (الإنجليزية)

Abstract

Lexicology is a part of semantics that studies the meaning of lexical units; are simple or complex, they belong to lexicon or to vocabulary of such language, it calls lexical semantics

In my research entitled the **lexicon of Al-Ibrahimi s' Assemblies** ; in which I spot the light on: The first step I focus on key words : « Lexicology » , I talk about its definition , Types & Functions. Then, I move to the word « Assembly », here I focus on its definition, types & the beginning of this art. Then, I try to speak more about this art especially in Algeria with « AL-WAHRANI ».

I divide my survey into four chapters, includes in addition, definition, & a series of books.

The first chapter is **Morphological semantics**, I follow the appearance of structures of: nouns (singular, plural), in the second step verbs s' structures in the past, present & future.

The second chapter is called: **Grammatical semantics**, I mention first the definition of sentence since it is the main element here. After that I move to types of sentences with their meaning: nominal, verbal, interrogative.....etc. . . Then, I analyze the rules of syntax: arrangement & the setting out together.

Third chapter is about the **lexical** side include: synonymy, homonymy, and antonymy. Then, I move to the role of context in producing the meaning above its types. I finish with semantics field, which are several, with the domination of the political one since « Al-Ibrahimi s' assemblies contain his political opinions, he describes the corruption in the country.

In conclusion, I arrive to many results among my research concerning the assemblies.

Finally, I want to say thanks for my teachers § **LAKHDHER BELKHIR & MOHAMED BOUAMAMA & EL JOUDI MERDASSI & EL TAIB BOUDERBALA AMAR CHALWAY** §.